

الاتجاه الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني ونسيم حجازي

(دراسة مقارنة)

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



الإعداد

خليق أحمد

الإشراف

الدكتور محمد أبوبكر بهته

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد - باكستان

العام الدراسي: ٢٠١٧-٢٠٢٣ م

الاتجاه الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني ونسيم حجازي

(دراسة مقارنة)

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

العام الدراسي، ٢٠١٧ - ٢٠٢٣ م

© خليق أحمد





استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد أخرجوا بنتائج طيبة حولها ونلتمس من هيئة الدراسات المتكاملة الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

الاتجاه الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني ونسيم حجازي

(دراسة مقارنة)

إعداد: خليك أحمد رقم التسجيل: ١٧-PhD/Ara/s-٦٦٢

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتور محمد أبوبكر بهته

التوقيع	المشرف
	الأستاذ الدكتور جميل أصغر جامي
التوقيع	عميد كلية اللغات
	الدكتور سفير اعوان
التوقيع	المدير العام
	اللواء المتقاعد شاهد كياني
التوقيع	رئيس الجامعة

التاريخ: / /

يمين الباحث

أعلن أن أطروحتي : "الاتجاه الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني ونسيم حجازي" (دراسة مقارنة) التي أعدتها تحت إشراف الدكتور محمد أبوبكر بهته، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل .

خليق أحمد

الباحث

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

فهرس المحتويات

أ	استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة
ب	يمين الباحث
ت	فهرس المحتويات
ج	Abstract
ح	الإهداء
خ	كلمة الشكر
١	المقدمة
٧	التمهيد
الباب الأول: حياة الروائيين وأعمالهما الأدبية.	
٢٢	الفصل الأول: حياة ونشأة "نجيب الكيلاني" وأعماله الأدبية.
٣٢	الفصل الثاني: حياة ونشأة حجازي وأعمال الأدبية.
الباب الثاني: عرض وتلخيص لروايات الروائيين	
٤٠	الفصل الأول: عرض وتلخيص "الطريق الطويل" و"السد الأخير"
٥٩	الفصل الثاني: عرض وتلخيص "النداء الخالد" و"حكاية مجاهد".
٦٨	الفصل الثالث: عرض وتلخيص "ملكة العنب" و"محمد بن قاسم".
الباب الثالث: الصياغة الفنية ودورها في إبراز الأفكار	

الإسلامية	
٨٩	الفصل الأول: الصياغة الفنية في روايات نجيب الكيلاني وحجازي.
٨٩	الوصف و الصراع
٨٩	الأسلوب و اللغة
٩٦	الحدث
١٠١	السرد و الحوار
١٢٨	الشخصية
١٦٣	نشأة المنهج الاجتماعية تطوره
	الفصل الثاني: الأفكار الاجتماعية في روايات الروائيين
١٧٢	الأفكار الاجتماعية في روايات نجيب الكيلاني
٢٠٥	الأفكار الاجتماعية في روايات نسيم حجازي
٢١٢	أوجه التشابه والتخالف بين روايات الروائيين بوجه عام
٢١٩	الخاتمة والتناج
٢٢٣	التوصيات والاقتراحات
٢٢٥	فهرس الايات
٢٢٥	فهرس الأحاديث
٢٢٦	فهرس الأبيات

٢٢٧	فهرس المصادر والمراجع
٢٣٦	فهرس الأعلام

Abstract

of the PhD thesis entitled:

(The Social Trend in the Novels of Najeeb Al-Kilani and Nassim Hijazi)

The novel is the imaginary prose literary genre, trying to capture what is essential and dialectical in the human relationship with history, to contribute effectively and presently to presenting its perception of this relationship according to its own artistic perspective, and within the various fields of art and literature along with other human sciences such as sociology, mathematics, and others. The literary novel, as it produces the social novel, the realistic novel of all kinds, and the historical novel.

The historical novel has a special relationship with history, derived from the nature of its topic and style, and the historical novel shares with other types of novels in general the presence of a historical structure on which it is based.

Likewise, Nassim Hijazi is considered one of the most important narrators in Pakistan, who was distinguished by the historical novels that distinguished Islamic novelists, as he wrote realistic novels of a global level. On jihad against the enemies and defending the homeland and Islam, as well as his novels express the need to defend the sanctities and leave the pleasures of the world.

Given the importance of the historical novel, I chose these two novelists because they have historical novels that include both Islamic and social ideas.

I have divided this thesis into Abstract, Preface, Three chapters, Bibliography and list of contents.

First chapter the life of novelists and their literary works.

Second chapter Presentation and summary of novelists' novels

Third chapter Form and content and their role in highlighting Islamic ideas

الإهداء

إلى الذي أخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهداية، النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم سيد الكونين والثقلين .

وإلى والدي حفظه الله الذي رفع رؤية العلم والتدريس، والذي علمني الصلاة والقرآن وعني بتربيته وشجعني على تحصيل العلم.

وإلى والدتي الحنونة التي ربته تربية صالحة وشفقت علي كثيراً.

وإلى أصدقائي وأحبائي الذين ساندوني في مسيرة هذه العلم الطويلة.

الباحث:

خليق أحمد

كلمة الشكر

أحمد الله تعالى الذي يسر لي مهمتي وأعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع. وبعد !

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ط﴾

(سورة إبراهيم، رقم الآية/ ٧)

مطبّقاً بقول الله تعالى أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من مدّ إلي يد العون في هذا البحث ، وبخاصة الأستاذ الدكتور جميل أصغر جامي عميد الكلية اللغات الذي لم ييخل علي بمشورته وتوجيهه ونصحه أثناء كتابة البحث .

كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لسعادة الدكتور محمد أبو بكر بهته، الذي حمل مسؤولية الإشراف على هذا البحث وقدم إلي يد العون والمساعدة في كل مشكلة ولم ييخل بتوجيهاته ونصحه طيلة فترة إعداد هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى أخي الدكتور حبيب الله خان الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد، فأسأل الله لهما أن يحفظهما من كل بلاء وأن يجزيهما خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

الباحث:

خليق أحمد

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وعلمه البيان وعلمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاخترت "الاتجاه الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني ونسيم حجازي، دراسة مقارنة" موضوعاً لبحثي لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات اللغوية والأدبية.

تعريف الموضوع وأهميته:

إن الرواية هو الجنس الأدبي الثري التخيلي، يحاول التقاط ما هو جوهري وجدلي في علاقة الإنسان بالتاريخ، لتسهم بشكل فاعل وحاضر في تقديم تصور لها هذه العلاقة وفق منظورها الفني الخاص، وضمن حقول الفن والآداب المختلفة جنباً إلى جنب مع العلوم الإنسانية الأخرى كعلوم الاجتماع والرياضيات وغيرها، والرواية الأدبية إذ تفرز الرواية الاجتماعية، والرواية الواقعية بأنواعها، والرواية التاريخية.

والرواية التاريخية لها علاقة خاصة بالتاريخ، مستمدة من طبيعة موضوعها وأسلوبها، وتشترك الرواية التاريخية مع أنواع أخرى من الروايات بصورة عامة في وجود بنية تاريخية تتأسس عليها،

وكذلك يعتبر نسيم حجازي من أهم الرواة باكستان، الذي تميز بالروايات التاريخية التي ميزت الروائيين الإسلاميين، حيث كتب روايات واقعية ذات مستوى عالمي، فألف عدة روايات التي توضح صورة وحقيقة الحوادث التي وقعت أثناء انقسام الهند إلى هند وباسكتان من ظلم الإنجليز والهندوس على المسلمين، وليحث على الجهاد ضد الأعداء والدفاع عن الوطن والإسلام، وكذلك تعبر رواياته عن ضرورة الدفاع عن الحرمات وترك ملذات الدنيا.

فنظراً لأهمية الرواية التاريخية اخترت هذين الروائيين لأن لهما روايات تاريخية التي تتضمن فيها الأفكار الإسلامية والاجتماعية معاً.

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

اختيار موضوع مقارنة بين الرواية العربية والأوروبية لشهادة الدكتوراه يمكن أن يكون له عدة أسباب وجيهة، منها:

١. *الأهمية الأكاديمية*: يقدم هذا الموضوع فرصة لدراسة الأنماط الأدبية المختلفة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية، مما يعزز الفهم الأكاديمي للأدب والتاريخ الثقافي.
٢. *التنوع الثقافي*: يسمح بفهم تأثير الثقافة والتاريخ على الأدب في مناطق مختلفة، مما يعزز التقدير للتنوع الثقافي والأدبي.
٣. *النقد الأدبي*: يمكن أن يقدم تحليلاً نقدياً للروايات من خلال مقارنة البنية، والموضوعات، والأساليب، والشخصيات، مما يساهم في تطوير النقد الأدبي.
٤. *التراث الأدبي*: دراسة الرواية العربية والأوروبية تسلط الضوء على التراث الأدبي الغني لكلتا الثقافتين، وتساهم في الحفاظ عليهما.
٥. *التطور التاريخي*: يساعد على فهم تطور الرواية عبر الزمن في كلتا الثقافتين وكيفية تأثرها بالأحداث التاريخية.
٦. *التبادل الثقافي*: يمكن أن يبرز أوجه الشبه والاختلاف بين الثقافات، مما يساهم في التبادل الثقافي والفكري بين الشرق والغرب.
٧. اخترت مجال الرواية لأن لهما أهمية كبيرة لسرد الوقائع والأحداث خاصة الروايات التاريخية، فإتحتها تدل على تأريخ المسلمين وعلى ماضيهم ، لذا اخترت الرواية موضوعاً للدراسة.
٨. رغبتي الشديدة في قراءة الروايات العربية والأردية.
٩. عرفة مكانة الرواية التاريخية في الأدب العربي والأردني.
١٠. لأهمية المقارنة أردت أن أقارن بين روائيين التاريخيين لذا اخترت نجيب الكيلاني من رواة العربية، ونسيم حجازي من رواة الأردنية.

١١. كان نجيب الكيلاني وحجازي كاتبان كبيران وبثا في قلوب المسلمين الفكر الإسلامي والاجتماعي والحب للشعائر الإسلامية والاجتماعية، والدفاع عن وطنهم ودينهم في رواياتهما.

هذه الأسباب تجعل من هذا الموضوع اختيارًا ممتازًا لشهادة الدكتوراه، حيث يوفر أرضية واسعة للبحث والتحليل ويساهم في تعزيز الفهم والتقدير للأدب العالمي.

أسئلة البحث والتحقيق:

- ١: ما هي الرواية في الأدب العربي والأردني؟
- ٢: ما هي العناصر الأساسية لتكون الرواية؟
- ٣: كم نوعا للرواية؟ أو ما هي أنواع الرواية؟
- ٤: ما المراد من السرد؟
- ٥: ما هي أنواع السرد القصصي؟
- ٦: ما المراد من الشخصية؟ وما هي أنواعها؟
- ٧: ما ذا تعرف عن علاقة الأدب بالمجتمع؟
- ٨: ما هي الأفكار الاجتماعية في روايات نسيم حجازي؟
- ٩: ما هي الأفكار الاجتماعية في روايات نجيب الكيلاني؟
- ١٠: ما هي أوجه التشابه والتخالف بين روايات الروائيين بوجه عام؟

حدود البحث:

ألف الكيلاني وحجازي كثيرًا من الروايات التاريخية، ولا أستطيع أن ألقى الضوء على جميع رواياتهما نظرًا لضخامة الموضوع، فلذا اخترت ثلاث روايات لكل منهما.

ومن روايات العربية: لنجيب الكيلاني

- ١- الطريق الطويل
- ٢- الندار الخالد، وعدد
- ٣- ملكة العنب، وعدد

ومن روايات الأردنية لنسيم حجازي:

- ١- السد الأخير (آخرى چٹان) ، وعدد صفحاتها (٥١٢).
- ٢- حكاية مجاهد (داستان مجاهد)، وعدد صفحاتها (٢٤٤).
- ٣- محمد بن قاسم، وعدد صفحاتها (٣٩٩).

تبويب البحث / خطة البحث:

خطتي لهذا البحث بالشكل التالي:

المقدمة :

- تعريف الموضوع و أهميته
- أسباب اختيار الموضوع.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- أسئلة البحث و التحقيق
- الصعوبات التي واجهتها في كتابة البحث.

التمهيد:

الرواية في الأدب العربي والأردني.

الباب الأول: حياة الروائيين وأعمالهما الأدبية.

الفصل الأول:

حياة ونشأة "نجيب الكيلاني" وأعماله الأدبية.

الفصل الثاني:

حياة ونشأة حجازي وأعمال الأدبية.

الباب الثاني: عرض وتلخيص لروايات الروائيين

الفصل الأول:

عرض وتلخيص "الطريق الطويل" و "السد الأخير"

الفصل الثاني:

عرض وتلخيص "النداء الخالد" و "حكاية مجاهد".

الفصل الثالث:

عرض وتلخيص "ملكة العنب" و "محمد بن قاسم".

الباب الثالث: الصياغة الفنية و دورهما في إبراز الأفكار

الإسلامية

الفصل الأول:

الصياغة الفنية في روايات نجيب الكيلاني وحجازي.

الشخصيات

الأسلوب واللغة

السرد

الأحداث

الحوار

الوصف

الصراع

الزمان والمكان

الفصل الثاني: الأفكار الاجتماعية في روايات الروائيين

الأفكار الاجتماعية في روايات نجيب الكيلاني

الأفكار الاجتماعية في روايات نسيم حجازي

أوجه التشابه والتخالف بين روايات الروائيين بوجه عام

الخاتمة :

○ خلاصة البحث

○ نتائج البحث.

الفهارس الفنية:

○ فهرس المصادر والمراجع.

○ فهرس المحتويات.

التمهيد

التمهيد

مفهوم الرواية:

الرواية من الفنون الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة لدى الكثير من القراء، ومن السهل على أي قارئ عادي أن يتعرف على هذا الشكل الروائي بين الأشكال الأدبية المتعددة، ومع هذا فإنه يصعب على النقاد والدارسين إيجاد مفهوم محدد أو تعريف شامل لفن الرواية نظراً لتعدد اتجاهاته وتطور أساليبه مع توالي العصور المختلفة.

"فالرواية تقيم على علاقة خاصة بين القاري والكاتب، لها إمكانات أشمل من جهة الاندماج المباشر والشخصي في التجربة النفسية التي عادة تنم في جو يميل إلى الخلوة والوحدة"^(١).

"وأيضاً الرواية مدنية بوجودها لاهتمام كل شخص سواء كانوا رجال أو نساء في كل زمان ومكان بها، وكذلك مدنية بالعواطف الإنسانية والسلوك الإنساني، وقد كان هذا الاهتمام من أكبر الدوافع للأدب"^(٢).

"وكذلك فإن الرواية تعالج موضوعاً كاملاً وحياة تامة وحوادث متعددة تدور حول شخص أو عدة أشخاص، أو حادثة أو واقعة أو قضية من القضايا ويتوسع فيها الكاتب ما شاء له من التوسع، فينتقل من مكان إلى آخر، ويعبر عن أزمنة مختلفة، ويلم بكل جوانب الأشخاص وعلاقاتهم بالحياة والأحياء في شتى جوانبها، كما أن الحوادث قد تمتد إلى عدة أجيال ما دام المترابط قائماً وانفعال محدد، والكاتب يشكل في أقواله ويلون أساليبه بين القصص والوصف والسرد والحوار، وقد يطول به، وقد يقصر فلا تضمره الحشو البشرية، وما تحمل من أفكار واتجاهات وللأحداث المتشعبة والأماكن المنبسطة والأزمان الممتدة ما دام قادراً على توجيه المسار وتجريد المصير وضبط الإيقاع وإحكام الخيوط التي تربط بها

^١. انظر: مجلة الفيصل، مقال بعنوان: (مستقبل الرواية) العدد ٤٥ مطبوع في فبراير عام ١٩٨١ م، السعودية، ص

^٢. انظر: النقد الأدبي، أحمد أمين، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٦ م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ص ١١٦.

كل شيء وجعله يتحرك بإرادته، وفق مشيئته متجهاً إلى حظيرة النهاية التي تربط المؤلف على الرغم من انصهاره من الناحية الفنية ليست من صنعته بل من صنعاً لأشخاص الذين أوجدوها بأقلامهم ومكوناتهم النسبية والفكرية وأوضاعهم الاجتماعية، وعوامل البيئة ورواسب الوراثة، وغير ذلك، فإن الحوادث التي تتألف منها العقد تخضع نوعين من الضبط: ضبط الكاتب الذي يربط بينها على أساس من السببية متصرفاً في الترتيب الزمني إلى أقصى مدى يستطيعه، وتاركاً لقارئه مجالاً واسعاً للربط والحرس والاستنتاج، وتخضع لضبط الشخصيات في العمل القصصي نفسه، بحيث يمكن أن توصف الحوادث أياً كان مصداقاً بأنها أفعال وانفعالات شخصيات الرواية" (١) .

"فالرواية تكون طويلة وتقوم على حادثة رئيسية يتفرع عنها أو يتصل بها حوادث أخرى، وهي مع توجيهها الفكري إلى بطل أو بطلين تعرض لنا عدة أشخاص" (٢) .

"فالرواية هي أكبر أنواع القصص من حيث الحجم تتضمن أحداثاً متشعبة لحياة شخص أو أشخاص في إطار اجتماعي معين وهي قصة طويلة تقوم على السرد المتدرج صعوداً وتشويقاً إلى نهاياتها المرتقبة والمرصودة وعلى حبك الحادثة وتسلسلها في مجاز تفصيلية مما يهتم الإنسان ويتناول مصيره ووجوده، وعلى رسم الحيز المكاني والزمني لشخصها وأحداثها وعلى خلق الناس وإحيائهم بما تفرضه طبائعهم وتقاليدهم البيئة من حولهم وروح العصر وحركة المجتمع وتناقضاته" (٣) .

بناء الرواية

تتكون الرواية من هذه العناصر الأساسية:

-
- ١ . انظر: القصص القصيرة في مصر، د. شكري عباد، الطبعة الثانية، عام ١٩٧٩ م، دار المعرفة، القاهرة - مصر، ص ٩ .
 - ٢ . انظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٠ م، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان، ص ٤٥٣ .
 - ٣ . المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. حمد التونجي، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢ م، دار صادر - بيروت - لبنان، ج ١، ص ٥٦٢ .

١ - **اللغة:** "تشكل اللغة عنصراً أساسياً في الرواية وكذلك تشكل عنصراً هاماً في الأعمال الإنسانية، فلا يمكن تصور الحياة العادية أو الأدبية بدون لغة، وليس لأي كاتب وسيلة غير اللغة ليوصل بها أفعال الشخص وأفكارهم وصرايحهم، ولغة الرواية تميل إلى البساطة والوضوح والسعة" (١).

٢ - **الشخصية:** تعتبر الدور الأساسي في بناء الرواية وهي مركز الأفكار التي تدور حولها الرواية، والأفكار في الرواية تحيا في الشخصية، "وكذلك تأخذ طريقها لإلتقاء عبر أشخاص معينين، لهم آراؤهم واتجاهاتهم وتقاليدهم وأفكارهم في مجتمع معين وفي زمن معين، وقد تكون الشخصيات في الرواية، شخصيات رئيسية أو شخصيات ثانوية" (٢).

٣ - **الفكرة:** "قبل أن يبدأ الأديب بكتابة أي رواية لا بد أن تكون في ذهنه أفكاراً يعرض بها أحداث رواياته، ويعرض أحداثاً وأشخاصاً ينشأ بينهما الصراع، فيخلص من أفكاره مرآة متعددة الزوايا، يرى المتلقي فيها الفكرة من جوانب مختلفة بحيث تتكامل عناصر الرواية. فالفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للرواية والموضع الذي تبنى عليه الرواية" (٣).

٤ - **الزمان والمكان:** تقع الأحداث بفعل الشخصيات والأحداث، فلا بد من بيئة مكانية وزمنية تمارس وجودها، فالزمان والمكان هما الحدث التي تجري فيهما الأحداث وتحرك فيهما الشخصيات وتتبع أهمية البيئة.

وزمن الرواية هو زمن وقوع الحدث في الرواية سواء كان بعيداً أم قريباً أو زمناً محدداً أو غير محدد (٤).

١ . النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٣ م، دار النهضة - مصر، ص ٥٦٢ .

٢ . القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠ م، دار الفكر - دمشق، ص ٢٧ .

٣ . الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، الطبعة الخامسة، عام ١٩٩٣ م، دار الفكر -

عمان - الأردن، ص ١٩٦ .

٤ . معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٢، دار النهار، لبنان، ص ١٠٠ .

٥- الحدث: "هو مجموعة الأفعال المرتبة التي تدور حول موضوع وكذلك تصور الشخصية وتكشف عن أبعادها، كما تكشف عن صراعها مع شخصيات أخرى، وهو المحور الأساسي الذي تربط به باقي عناصر الرواية وتحقق الحدث عند ما يجيب الكاتب عن الأسئلة مثل: كيف؟ وأين؟ ومتى؟ ولمّ وقع الحدث؟ وغيرها من الأسئلة" (١).

تطور الرواية في الأدب العربي الحديث

"كان نشوء الرواية في الأدب العربي مواكباً لبداية عصر النهضة الحديثة، ولم يعرفها الأدباء في القديم، كما ذكر ذلك، د. عزيز مردين في كتابه "فلا ريب أن لاتصالنا بالغرب أثر كبير في انتشار هذا الفن في أدبنا العربي، وكما مرت القصة بطور الترجمة والاقتباس، كذلك كان الحال في الرواية، فقد تطورت خلال فترات متعددة، فليرجع الفضل في ظهور الرواية إلى عاملين أساسيين هما الصحافة والترجمة فقد نشر سليم البستاني في مجلة (الجنان) التي أنشأها والده روايات عديدة منها: (الهيام في جنان الشام، زنوبيا ملكة تدمر وبدور وغيرها من الروايات) وكان له الفضل في فتح الطريق أمام عدد كبير من الكتاب فيما بعد، وكان لإنشاء المجلات (المقتطف والهلال والمشرق) أثر واضح في تشجيع هذا الفن، فقد ترجمت بعض الروايات عن الفرنسية إلى العربية" (٢).

"فكان أقدم لون اتخذ شكلاً روائياً في الأدب العربي هو الرواية التعليمية وكان مقصد رواد الرواية التعليمية تعليم الوطنيين وتبصيرهم بالحياة الفاضلة الكريمة".

"وبعدها جاءت الرواية التسلية والترفيهية، وقد ظهر هذا اللون الروائي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يد أدباء الشام الذين هاجروا إلى مصر، وكان رغبتهم في اجتذاب

١. مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شريفة، وحسن لاقى قزق، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٣ م، دار

الفكر، عمان - الأردن، ص ١٣١.

٢. القصة والرواية، ص ٧٦.

أكبر عدد من القراء نحو رواياتهم، ومن ثم جاءت اهتمامهم بالقصة المترجمة والمؤلفة عن طريقة قرائهم لمجلة الهلال التي عنيت بنشره مجموعات كبيرة من هذا اللون الروائي" (١) .
 "وبعدها ظهرت الروايات بموضوعاتها المختلفة حيث استمد جورجي زيدان رواياته من التاريخ العربي الإسلامي خاصة من الدولة الأموية والعباسية والأروبية، حتى بلغت إحدى وعشرين رواية".

"وفي المرحلة ذاتها ظهرت روايات اجتماعية على يد (خليل جبران خليل) فألّف روايات منها: (الأرواح المتمردة، والعواصف والأجنحة المتكسرة) وقد دارت هذه الروايات كلها حول موضوعات اجتماعية عاطفية، القصد منها القضاء على العادات والتقاليد البالية السائدة في ذلك الوقت" (٢) .

"وكذلك ظهرت الروايات الفنية في البيئة العربية إذ ظهرت الرواية (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل، تلك الرواية التي تمتد من بواكير الرواية الفنية الحديثة في البيئة العربية وهي التي مهدت لظهور الروايات الفنية العربية الأخرى" (٣) .

"وفي فترة ما بين الحربين العالميتين برز طه حسين في كل رواياته منها: (أديب، دعاء الكروان، شجرة البؤس) فيدفع الرواية خطوات إلى الأمام، حين لجأ إلى التحليل والتصوير الاجتماعيين في رسم شخصياته" (٤) .

"فإن الرواية العربية التي ظهرت في البيئة العربية قد تفرغت وتعددت ألوانها، منها الرواية التاريخية أو الاتجاه التاريخي الذي ابتدأه جرجي زيدان، وجاء بعده فريد أبو حديد فجدد من معناه ووسائله في رواياته منها: (الملك الضليل) و (زنوبيا) وتبعه في ذلك شاب ينبعث عنه الأمل هو على أحمد باكثير الذي ألف عدة مسرحيات وروايات تاريخية منها (سلامة والقس) و (واسلاماه) و(الثائر الأحمر) و (جهاد) التي زالت إحدى جوائز وزارة

١ . مجلة الأدب البيروتية، السنة الثامنة، عام ١٩٦٠، عدد ٩، ص ١١ .

٢ . القصة والرواية، ص ٧٦ .

٣ . في الميزان الجديد، د. محمد مندور، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٨ م، دار القاهرة، مصر، ص ٣٩ .

٤ . القصة والرواية، ص ٧٧ .

المعارف، وغيرها من الروايات، وبعد ذلك جاء الدكتور نجيب الكيلاني وكتب في الروايات القصيرة والتاريخية وغيرها منها (الطريق الطويل) و (النداء الخالد) و (ملكة العنب) وغيرها من الروايات" (١).

"وإلى جانب هؤلاء عدد من الكتاب الذين ألفوا روايات عديدة في مختلف الموضوعات منها: (السياسة الاجتماعية، والبوليسية والعاطفية وغيرها)، ولكن النهضة الحقيقية للرواية كانت على جيل ممن تخرجوا من الجامعات المصرية خاصة، فنالوا حظاً من هذه الثقافة، مكنهم من بذل جهود كبيرة محمودة في هذا الميدان" (٢).

وأخيراً استطاعت فن الرواية أن تشكل ركناً هاماً في الحضارة الإنسانية التي عاصرتها، لأن إمكاناتها أوسع وأشمل من الأنواع الأدبية الأخرى، فقد استطاعت تشمل الحياة الإنسانية كلها، كما استطاعت أن تستوعب أنواعاً متعددة من الأدب، وأنماطاً مختلفة من التطور الاجتماعي، بحيث جمع بين الفن الجميل بموضوعيته وأصالته وبين التسجيل التاريخي والاجتماعي بفائدته للدارسين والباحثين.

لذلك يحكم على الرواية من ناحيتين:

- ١- من ناحية علم الجمال وإصراره على القيمة الفنية للشكل وعلاقته العضوية بالمضمون وتجسيد الحياة المعيشية في شكل متكامل.
- ٢- من ناحية العلوم الإنسانية وإيمانها بعمق النظرة واتساع الأفق والالتصاق بالحياة (٣).

أنواع الرواية

تنقسم الرواية إلى عدة أقسام:

١. في الميزان الجديد، ص ٣٩.

٢. القصة والرواية، ص ٧٨.

٣. مجلة الفصيل، مقال بعنوان: (مستقبل الرواية) العدد ٥٤، فبراير عام ١٩٨١، ص ٥٧.

الرواية الاجتماعية

"هي عبارة عن رؤية مجموعة بشرية وأحياناً رؤية مرحلة اجتماعية كاملة، والرواية الاجتماعية تحتاج إلى زمن تستوعب الحدث، وهي مرتبطة بالواقع، وتتحدث غالباً من التحولات في تاريخها وكل رواية تقدم حالة أو مجتمعاً كاملاً، وحياة اجتماعية واقتصادية كاملاً" (١) .

الرواية العاطفية

"هي رواية موجهة إلى جمهور المراهقين خاصة، وإلى باقي الجمهور عامة، تغلب عليها سمات الحب والإنقام" (٢) .

الرواية الدرامية أو الهزلية

هي كل أنواع المسرحيات الكوميديّة الخفيفة وهي تقدم جواً هزلياً بسيطاً وصريحاً (٣) .

الرواية الخيالية

"هي الرواية تستبق الأحداث العلمية بتخيّلها، وهي تصور لأحداث الغد، مع التأكيد على عنصر التحولات الإنسانية" (٤) .

الرواية التراسلية

"هي رواية تكتب في شكل مراسلات متبادلة، بين الشخصيات، أو تكتبها شخصية واحدة، قد تقوم كل رسالة مقام فصل وتستهدف إلى الإبهام بحوارية مباشرة" (٥) .

١ . مجلة الفيصل، مقال بعنوان: الرواية بين المضمون وتعدد الرؤى، بقلم: عبد القادر غنداني، العدد ٢١١، محرم عام ١٤١٥ هـ، ص ٢٠ .

٢ . معجم الأدباء، يوسف محمد محمد عبد الوهاب السباعي، الطبعة الأولى، عام ١٩١٧ م، ج ٧، ص ٦٥ .

٣ . الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، د. ياسين صلواتي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢ هـ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ج ٤، ص ١٨١٥ .

٤ . معجم المصطلحات الأدبية، د. سعيد غلوش، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥ م، دار الكتاب اللبناني، - لبنان، ص ١٠٣ .

٥ . معجم المصطلحات الأدبية، ص ١٠٣ .

الرواية السياسية

"نوع من الرواية الثرية لم تظهر في أوروبا إلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وكان اهتمام الروائي منصباً بصفة خاصة على الدعوة لأفكار سياسية معينة وغيرها" (١) .

الرواية الإسلامية

"إنها الرواية التي تستمد أحداثها وشخصياتها من التراث الإسلامي ممثلاً بالقرآن الكريم، الحديث الشريف، وسير الصحابة والتابعين".
وأنها أيضاً رواية يكتبها كاتب إسلامي وتعبر عن البيئة في أي بلد إسلامي، وتكو موضوعاتها دينية.

إن الرواية الإسلامية هي التي تصدر عن رؤية عميقة واعية لقضايا الوجود، وتتوغل داخل أعماق النفس البشرية لتحليلها وتقديم العلاج الناجح لها (٢) ..
إن الرواية الإسلامية لم تأخذ حقها كما يجب بالنسبة للشعر الإسلامي وغيره من الفنون والتعبير الأدبي، وذلك لحاجتها إلى ثقافة شاملة ووقت طويل مما لا يتوفر لبعض الأدباء الإسلاميين (٣) .

أما نسبة للرواية الإسلامية فعددها قليل وكتابتها قليلون وعلى رأسهم الروائي نجيب الكيلاني الذي كتب رواية (نور الله) وهي في جزأين وتصور الصراع الدرامي الذي خاضته الدعوة الإسلامية في وقت ظهورها ضد اليهود لخداعهم (٤) .

"وأن أي نتاج أدبي يصدر عن هذه القيم الإسلامية ويدور في فلكها، وأخص ما يتضح في هذا النتاج الأدبي أنه هادف بناء، مغذ للعواطف الإسلامية، يرقى الإنسان أيا كان هذا

١ . الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، ج ٤، ص ١٨٥١ .

٢ . مجلة الأدب الإسلامي، مقال بعنوان: الرواية الإسلامية وبنائها الموضوعي والفني، بقلم، د. عبد الفتاح محمد عثمان، العدد ٣٨، سنة ١٤٢٤ هـ، ص ٦٠٥ .

٣ . مجلة الأدب الإسلامي، ص ٥ .

٤ . مجلة الأدب الإسلامي، مقال بعنوان: الرواية الإسلامية المعاصرة، بقلم: د. حلمي محمد القاعود، العدد ٣١ سنة

١٤١٨ هـ، ص ٨٣ .

الإنسان، كما يدعوا إلى الاعتزاز بالإسلام منهجاً كاملاً، وهو أيضاً نتاج يعتر بلغة القرآن، ويحاول أن يتمثل شيئاً من خصائص صياغته، كما يستفيد من سمات الأسلوب النبوي الكريم، وهو أدب يصد عن الفكر الإسلامي وعن اللغة العربية التيارات التي يواجهها الدين الإسلامي، أو ثبتت أمامها لغة على مدى القرون كثيرة من الزمان" (١) .

وفي القرآن الكريم نجد قصة يوسف - عليه السلام - وما فعله إخوانه به، وقصة مريم - عليها السلام - حيث ذكر الله في كتابه الكريم بعضاً من سيرتها، وقصة موسى - عليه السلام - من مولده حتى أن ذهب إلى مدين ودخل بيت شعيب - عليه السلام - وزواجه من إحدى بنتي شعيب - عليه السلام - (٢) .

فالرواية نوع من القصص يتفاوت في الطول ويكتب بالثر، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر الميلادي.

الرواية التاريخية

هي إعادة بناء خيالي للماضي تتناول أساس حياة جمع من الناس وعاداتهم وتقاليدهم. "والرواية التاريخية تأخذ مادتها من التاريخ، والرواية التاريخية هي سرد قصص يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل، وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معاً" .

"ومن أهم أنواعها (الرواية التعليمية التاريخية) وهو من أشهر هذا النوع من الأدب العربي الحديث روايات جورجى زيدان الذي قدم سلسلة من الروايات التاريخية التعليمية، جاعلاً هدفه الأساسي تعليم التاريخ، دون إحساس قومي أو هدف وطني وكذلك ألف نجيب محفوظ روايات تاريخية تعليمية" (٣) .

١ . الأدب الإسلامي قضية وبناء، د. سعد ابو الرضا، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣ م، دار التراث الإسلامي، بيروت - لبنان، ص ٨ .

٢ - مختارات من روائع الأدب، د. عبد السلام سرحان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣ م، دار الكتب، بيروت - لبنان، ص ٥٧٧ .

٣ . الأدب القصصي والمسرحي، د. أحمد هيكل، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٨، دار المعارف - مصر، ص ٢٤٢ .

تطور الرواية الأردنية في شبه القارة الهندية

الرواية ليس فقط وسيلة للتعبير بل هي المرآة التي تعكس مختلف المراحل التاريخية أيضاً ولأجل ذلك عندما نرى الأدب الروائي الأردني فإنه لا يهيء وسيلة للتسلية فقط بل تكسب الشعور التاريخي والثقافي والاجتماعي والسياسي، وقد دارت الرواية الأردنية حول الاضطرابات والمشاكل بين المسلمين والهندوس وإخراج المسلمين من الهند وإرسالهم إلى باكستان عند تقسيم شبه القارة (باكستان، بنجلاديش، الهند) عام ١٩٤٧ م. فبدأت الرواية في الأدب الأردني معتمداً أساساً على الفكر الإسلامي الأصيل وذلك بعد ظهور وانتشار اللغة الأردنية على يد دعاة المسلمين^(١).

لقد أنتجت أعمال أدبية في شبه القارة قبل سنة ١٨٥٧ م في الرواية لكنها لم تكن متوفرة فيها عناصر الرواية بمفهومها الأدبي، مع قيام الثورة الصناعية في شبه القارة ظهر أثر الأدب الغربي على الأدب الأردني، وبعدها ظهرت هذه الفنون في الأدب الأردني استعرضت ووضحت فيها كل منعطفاتها وأعماقها^(٢).

فبسبب قيام الثورة على المسلمين جعلت اليم الإسلامي تتراجع إلى الوراء وكان المسلمون أن ينسوا أن لهم ديناً وتاريخاً وحضارة وثقافة ومجتمعاً وتكويناً خاصاً منفصلاً عما يدور حولهم، ثم أفاقوا عام ١٨٥٧ م فكانت الثورة ضد الإنجليز، فظهرت (حركة على كره) التي قامت بمحاولة علاج المشاكل الاجتماعية وإصلاح المجتمع عن طريق الأدب (خاصة عن طريق الروايات) أخبر العامة من الناس يقرونه بدلاً من الخاصة وأصبح الأديب يختار موضوعاته من حياة الناس وليس من شعوره الخاص^(٣).

١ - انظر: مجلة الفيصل، مقال بعنوان: الصراع بين المذهبية والفن في الرواية التاريخية، بقلم: د. طه وادي،

العدد ٢٢٩، ص ٢٧.

٢ . القصة الاجتماعية في مصر وباكستان في العقد السادس من القرن العشرين، دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأردني، رسالة دكتوراه، للأستاذ الدكتور محمد علي غوري، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، كلية اللغة العربية،

الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد، ص ١٥٧.

٣ - الاتجاه الإسلامي في الرواية الأردنية، مجلة فيصل، العدد ٢١٨، ص ٥٥.

"بدأ التطور الروائي في الأدب الأردني عام ١٨٥٧ م حيث تحمل أهمية حيوية في تاريخ شبه القارة خاصة بعد الثورة البريطانية (الإنجليزية) فبدأت مرحلة جديدة في عصر الأدب الأردني حاول فيها إحياء الماضي وإظهار الأعمال الجليلة للسلف الصالح وكذلك فتحوا جميع الآفاق في جنوب آسيا فمن جهة كان سير سيد خان ورفقاؤه يحررون مواضيع التهذيب الأخلاقي ومن جهة أخرى (دبتي نذير أحمد) كان يقوم بتحرير القصص رغم عدم إلهام الكبير بفن التأليف الروائي، فقد قام نذير أحمد بتأليف الروائي، فقد قام نذير أحمد بتأليف القصة الأولى ولكن عندما اكتملت جميع فصول القصة قام بجمعها على شكل رواية سماها (مرآة العروس) وهي تعتبر أول رواية كتبت في شبه القارة (باكستان، بنجلاديش، الهند) باللغة الأردية وهي رواية إصلاحية وكانت أول الرواية من أهم إنجازاته".

فينقسم الروايات عند نذير أحمد إلى قسمين، فالقسم الأول أَلّف رواياته الإصلاحية أو الروايات الهادفة، فكانت هذه الروايات ملحقاً لحركة سر سيد أحمد خان مؤسس جامعة (علي كره) وقد اهتم في رواياته الإصلاحية بإصلاح الحياة داخل البيت الإسلامي وداخل الأسرة المسلمة، خاصة إصلاح المرأة مثل رواياته (توبة النصوح، بنات النعش، مرآة العروس) فكانت فكرة نذير أحمد في كتابة رواياته الإصلاحية كجزء من تعليمه لبناته إذ شعر بضرورة هذا الفن الروائي وأهميته لجذب الفتيات وبالتالي تعليمهم دروس الأخلاق وأما القسم الثاني من رواياته فكانت موضوعاتها عن القضايا القومية والاجتماعية^(١).

وجاء بعده (عبد الحلیم شرر) ففهم جميع جوانب الرواية فقام بتأليف مواضيع جديدة فقد كان بارعاً في تأليف القصص والروايات، وكان يشوّق القارئ في قراءة القصص والروايات، ويمكننا وصفه بمهندس الروائي في الأدب الأردني الإسلامي خاصة وأنه نهج في رواياته منهج (سر سيد أحمد خان).

فقد تناول عبد الحلیم شرر في رواياته الحضارة والمجتمع قبل عدة قرون فقد قام بوصف تلك الحضارة والمجتمع قبل عدة قرون بالصور الخيالية وبكلماته وبراعته، قد كانت

^١ . الاتجاه الإسلامي في الرواية الأردنية، مجلة فيصل، العدد ٢١٨، ص ٥٥

شخصيات رواياته عربية الملبس ولكن هندية العرق، لذا قام بعرض المجتمع العربي في القرن الثامن الهجري في رواياته رغم عدم علمه الكامل بالمعالم والمزايا الاجتماعية والحضارية والتقاليد والأعراف العربية المعتمدة في ذلك الوقت ولكنه حاول إخفاء ذلك براعته الأدبية، وأما في رواياته التاريخية نجح في بيان وإيضاح المجد الإسلامي والرد على أعداء الإسلام في رواياته.

فتعتبر دخول القصص المختلفة الصغيرة في الرواية من مظاهر تطور الأدب الروائي، لذا اتخذ عبد الحلیم شرر كمنهج جديد لتأليف رواياته التاريخية (١).

هناك من النقاد من يقول إن أول رواية كتبت في شبه القارة الهندية (باكستان، بنجلاديش، الهند) بمفهومها الفني هي (فسانه آزاد) - أي قصة آزاد - وآزاد اسم بطل هذه الرواية، ونشرت في عام ٢٨٧٩ م للكاتب (سرشار) فقد جمع فيها بين الخيال والواقع على شكل أشعار، ويصف في الرواية مجتمع (لكهنو) الذي نشأ وعاش فيها وأن هذه الرواية تفتقر إلى الحبكة والتنظيم الفني والترتيب والبداية والنهاية وتم تحريرها بدون تخطيط.

والبعض يدعي أن أول رواية فنية كتبت في الأردية اسمها (ملك العزيز ورجينا) لعبد الحلیم شرر التي نشرت عام ١٨٨٨ م حيث ذكر فيها الكاتب: يبدو أن هذه الرواية هي الأولى من نوعها في الأردية (٢).

والبعض يدعي أن أول رواية فنية كتبت في الأردية رواية (مرآة العروس) لدبتي نذير أحمد.

والجدير بالذكر أن الرواية لم تكن لها كيان قبل (دبتي نذير أحمد) ولم تكن أمامه أي نماذج سابقة للرواية، فمن الطبيعي أن تظهر بعض الأخطاء منه، حيث وصف النقاد رواياته بالضعف.

١. مجلة الأدب الباكستاني، مقال بعنوان: الأردية في باكستان، بقلم: سيد يونس شاه، ص ١٩٠.

٢. القصة الاجتماعية في مصر وباكستان في العقد السادس من القرن العشرين، ص ١٥٧.

فمن الطبيعي أن (دبتي نذير أحمد) أول روائي ألف رواياته في الأدب الأردني الروائي حيث قال الدكتور وقار عظيم عن رواياته (أن روايات نذير أحمد) تفتقر إلى المستلزمات والمتطلبات الفنية التي تتطلبها الرواية.

فدبتي نذير أحمد أول من بدأ مسار الرواية الأردنية بشكل هادف ومفيد، أنه تناول مشاكل وعقائد وثقافات الطبقة المتوسطة في رواياته (١).

فعمر الرواية الأردنية لا يتعدى قرناً من الزمان ظهرت خلاله مئات من الروايات إلا أن عدد الروايات التي نالت شهرة بين القراء قليل جداً، فقد ألف الروائيون عدة روايات تاريخية أمثال (نسيم حجازي) وصادق صديقي سرد هندي، و (سجاد حسين) الذي طالب في رواياته باستقلال المسلمين عن الاستعمار البريطاني، و (مرزا محمد هادي رسوا) الذي حث على الأخلاق الفاضلة في رواياته، وكذلك (رشيد بيغهم) فهي أول امرأة كتبت رواية اجتماعية في الأدب الأردني عنوانها (إصلاح النساء) انتقدت فيها الرسوم والتقاليد الهندوسية التي تبناها المسلمون بالمناسبات المختلفة، وكان ذلك قبل انتهاء باكستان.

تطور الرواية الأردنية في باكستان

ففي ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧ م تمت الموافقة على تقسيم باكستان واستقلالها عن الهند، فقد كان لذلك أثر بالغ على الرواية الباكستانية ويعود تاريخ المناطق التي تتألف منها باكستان إلى ما قبل ٥٠٠ سنة، فإن آثار الحضارات المتعاقبة التي شهدتها باكستان بما فيها الحضارة الإسلامية التي تبدو جلياً في الرواية الباكستانية بغض النظر أن تاريخ الرواية الباكستانية بدأ باستقلال باكستان، فأول رواية في هذا المجال رواية (قرة العين حيد) (اك كا دريا)، أي (نهر النار) التي تحدثت فيها عن مختلف المراحل والتطورات السلبية والإيجابية، وكذلك تم كتابة روايات إسلامية تاريخية وإبداعية للمحافظة على الفكر الإسلامي وكذلك

١. من القصة الطويلة إلى الرواية، د. وقار عظيم، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤ م، أردو مركز، لاهور -

للمحافظة على الفكر الأيديولوجي لنظرية القوميتين التي تأسست عليها باكستان، من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتقليدية (١) .

ولقد ذاع صيت الروايات التاريخية بعد قيام باكستان خاصة روايات نسيم حجازي التاريخية مثل: محمد بن قاسم حكاية المجاهد، المعركة الأخيرة، قافلة الحجاز وغيرها، ومن بعدها جاء (رشيد اختر ندوي) ولكن الأحداث التاريخية العامة لم تكن موضوعاً في الرواية جيداً حيث كتب (عبد الله حسين) رواية بعنوان (أداس نسلين) أي (الأجيال الحزينة) (٢) .

وكذلك تناول الأدباء في رواياتهم القضايا الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية والنفسية بعد قيام باكستان، فكانت الموضوعات الأساسية لهذه القضايا هو اقتراف الهندوس والسيخ من جرائم القتل والنهب والسلب وإهراق دماء المسلمين عند تأسيس باكستان بشكل فظيع، جداً

فكانت روايات الأدباء متشابهة في سرد الوقائع وحوادث العنف، فمنهم من ذكرها في رواياته كما وقعت، ومنهم من غرق في الحوادث، ومنهم من غمرها بالعواطف والأحاسيس الذاتية (٣) .

تنقسم الروايات الأردية إلى قسمين:

بعضها تغمر بالعواطف لمحاربة الغرائز الإجرامية التي دفعت إلى حوادث القتل والنهب والسلب والاعتصاب ضد المسلمين عند التقسيم وبالتالي فرغ هذا النوع من الرواية من المزايا الفنية لرواية، وأنها شبه ما تكون بالرسائل الإخبارية وليست روايات أدبية، مثل روايات رئيس أحمد جعفري (مجاهد واحد وخمسين ألف امرأة) وروايات قيسي رامبوري (رواية فردوس الدم والمهاجر).

١ . الثقافة الإسلامية في الرواية الأردية، د. فاروق عثمان، ص ٢٧٨ .

٢ . أردو أدب كي مختصر ترين تاريخ، د. سليم اختر، الطبعة الأولى، عام ١٩٨١ م، اردو مركز - لاهور، ص ٣٠١ .

٣ . الرواية الأردية وتقسيم الهند، عقيل أحمد، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٧ م، المطبع الحديثة للنشر، دهلي، ص ٢٨ .

وبعضها تتناول حركة التحرير وإنشاء باكستان ودوافعها ونتائجها، ومعاملة الهندوس السيئة مع المسلمين، ومعاناة المهاجرين للمشاكل بعد إنشاء باكستان، وامتاز هذا النوع من الروايات بالنضج الفكري والفني، وأهم روايات القسم الثاني هي:
(التراب والدم، ومحمد بن قاسم، وحكاية المجاهد، وقافلة الحجاز) لنسيم حجازي
ورواية (نهر النار) لقرة العين حيدر^(١)

١ . خمسون سنة من الأدب الأردني في باكستان، شهزاد منظر، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩ م، دار النشر، إسلام آباد،

الباب الأول

حياة الروائيين

وأعمالهما الأدبية

الفصل الأول

حياة ونشأة "نجيب الكيلاني"

وأعماله الأدبية.

حياة ونشأة نجيب الكيلاني وأعماله الأدبية

مولده ونشأته:

"ولد الدكتور نجيب عبد اللطيف الكيلاني يوم فاتح يونيو عام (١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣١م) بقرية شر شابة التابعة لمركز "زفتي" بمحافظة الغربية" (١) .

نشأته:

"وفي السنة الرابعة التحق مكتب تحفيظ القرآن، حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب وقدرراً من الأحاديث النبوية وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقصص الأنبياء وقصص القرآن، التحق بالمدرسة الأولية، ثم انتقل منها إلى المدرسة الإرسالية الأمريكية الابتدائية بقرية (سنباط) التي تبعد عن قريته حوالي خمسة كيلو مترات كان يقطعها مشياً على الأقدام ذهاباً وإياباً" (٢) .

"ونشأ في أسرة تعمل بالزراعة وكان منزه صغره يمارس العمل مع أبناء الأسرة في الحقول، وتخرج في الثانوية عام ١٣٩٦ هـ الموافق ١٩٤٩ م في مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربي" (٣) .

"ثم التحق عام ١٩٥١ م بكلية الطب القصر العيني بالجامعة القاهرة وكان اسمها آنذاك (مدينة فاروق الأول الجامعية بالأورمان) وقد أثرت الجامعة في حياته الخاصة لأنها كانت تلعب دوراً بارزاً في الحياة السياسية، وقد أشار بنفسه إلى تلك الحالة".

حيث قال: "وقد لعب هذا المبنى الصغير دوراً بارزاً في الحياة السياسية، كما أثر إلى حد كبير في حياتي الخاصة فقد كانت هذه المدينة مأوى لعدد لا بأس به من زعماء الأحزاب الطلبة كما اختلط فيها أبناء (وجه بحري والصعيد) في مختلف الكليات ولذلك

١ . المشكاة (عدد خاص عن الكيلاني) عام ١٩٩٦، المراكش - مغرب، ص ١١ .

٢ . نجيب الكيلاني والقصة الشعرية، د. جابر قيمة، مقال منشور بمجلة فيصل في العدد ٢٥٠ عام يناير ١٩٩٥ م،

ص ٢٥٠ .

٣ . المرجع السابق .

فإن الصراع الفكري والسياسي كان على أشده وكانت الاجتماعات السرية وشبه السرية تعقد في مكان ما بالمدينة، وتتخذ فيها القرارات التنفيذية للمظاهرات والإضرابات" (١) .
ونزل ضيفاً على عمه الشيخ عبد الفتاح الذي كان يعمل على منصب بوزارة الدفاع الشعبي، ثم قبل في سكن الجامعة، وكان كل طالب يدفع اشتراكاً شهرياً قدره خمسة جنيهات مصرية.

ويشارك في نشاطات الجامعة ويقوم بإلقاء الخطب يوم الجمعة، حيث يقول بنفسه عن الخطبة الأولى التي ألقاها: "وأذكر أنني كلفت ذات يوم بإلقاء خطبة الجمعة وفكرت طويلاً في الموضوع الذي سوف أتناوله في خطبتي، وكان جمال عبد الناصر قد قال في إحدى خطبه: "إن عجلة الثورة ستسير وستحطم في طريقها كل من يعترضها...." وكانت هذه العبارات هي موضوع الخطبة حيث تناول (شرعية المعارضة وحرية التعبير وأهمية تبادل الآراء حول مصير الأمة ومستقبلها..)" (٢) .

وأثناء دراسته بكلية الطب القصر العيني (جامعة القاهرة) عام ١٩٥٤ م انخرط في سلك الإخوان المسلمين وشارك في ندواتهم وإضراباتهم، وقد تأثر عن زعيم إخوان المسلمين: الأستاذ حسن دوح وقد وصفه في كتابه (لمحات عن حياتي) في الجزء الثاني:
"ولا يمكننا أن نمر دون أن نذكر بكل تقدير وإعجاب البطل حسن دوح طالب الحقوق الذي يعد بحق من نجوم السياسة أيامنا، وكانت كلماته القوية المعبرة تصل إلى قلوب الجميع" (٣) .

"كان الكيلاني يدرك عظم المسؤولية تجاه نفسه وأسرته ودينه ولذا نجده يهتم بدروسه ويواظب الحضور يومياً بالكلية مع أنه قد اندمج في العمل السياسي مع إخوان المسلمين، حيث يشير إليه الكيلاني بنفسه"

١ . لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥ م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ج ٢، ص

٢ . المرجع السابق .

٣ . لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ٢٠/٢ .

"وعلى الرغم من اندماجي الشديد في العمل السياسي إلا أنني كنت شديد الحرص على متابعة دراستي بانتظام فلا بد من الحضور يومياً بالكلية سواء بالنسبة للدروس العملية أو النظرية وقد ينتهي المؤتمر السياسي في الثانية عشر مثلاً ظهراً ثم تراني جالساً على مكثبي بعد يصف ساعة لاستذكر دروسي وأراجعها".^(١) .

"ولما نزل في (١٩٥١ م) شهر سبتمبر القاهرة، وقد شغل ذهنه أمران مهمان: أولهما: المرحلة الدراسية في كلية الطب. وثانيهما: البحث عن المحافل والأندية الأدبية للترود منها. وأثناء دراسته بالكلية تعرف على الشيخ محمود محمد شاهين والد زوجته وكان يتردد عليه كثيراً ويناقشه في السياسة والجامعة والفكر ويعرض عليه بعض كتاباته، وينوب عنه في إلقاء خطبة الجمعة وهنا تعرف على زوجته (كريمة محمود شاهين) التي تبغل من العمر آنذاك أحد عشر عاماً".

"مضى عام دراسي ونقل الدكتور نجيب الكيلاني في آخر العام إلى السنة الرابعة (١٩٥٥ م) بكلية الطب، وعزم الرجوع إلى القرية بغية قضاء العطلة بعيداً عن عواصف الأحداث في القاهرة وكان يعيش بين ظهري أهل القرية تارة يقرأ وتارة يأخذ بأطراف الأحاديث مع الأصدقاء متضمناً الكلام والبحث عن مأساة إخوان المسلمين ونجاح الحكومة في ضربهم ووضعهم في السجون، وقضى الكيلاني العطلة في القرية ولكن القدر أبى أن يستمر هذه الحالة له ومدت المباحث العامة في أواخر يونيو ١٩٥٥ م أصابها للقبض عليه وذلك إثر رجوعه من القاهرة حيث ذهب مع صديق له كان يعاني من مرض الصدفية إذ أخذه المرحوم إلى قسم الأمراض الجلدية والتناسلية بالقصر العيني بالقاهرة"

بعد الفحص الطبي والإجرات اللازمة أراد الرجوع إلى القرية ولكن المباحث العامة كانت تنتظر له في الطريق فوقع في أيديهم وقال له رجل المباحث (مصطفى قنديل بك): "إننا ذاهبون إلى مركز زفتي ولكن الكيلاني وجد أن السيارة تتجه اتجاه مدينة طنطا، وفعلاً وجد نفسه في مقر المباحث العامة بطنطا وأجرى قنديل بك معه تحقيقاً سريعاً وتأثر من

^١ . لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٢، ص ٥٦ .

أخلاق الرجل حيث منع مجموعة من المخبرين الذين وقفوا على أهبة الاستعداد للعدوان ولكن قنديل بك لم يعطهم الفرصة لذلك وقال له في مرارة: في القهارة سوف تقول كل شيء يابني، قضى الكيلاني شهرين وبضعة أيام في طنطا صدر الأمر بنقله إلى القاهرة، بدأت رحلته العسيرة بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٥٥ م وقد أثر هذه الأيام على مخيلته ويصفها بقوله: "جلست صامتاً.. وبعد أن تحرك القطار أخذ الضابط يتصفح (جريدة الصباح) كانت صورة الرئيس وهو يتسم تغطي حيزاً كبيراً من الصفحة الأولى.. لم يكن لدي رغبة في قراءة شيء، ولا في أكل شيء، وما جدوى القراءة والطعام، إن الحياة - كما تبدو لي الآن -، لا تساوي قلامة ظفر، أمس يوم ٧ أغسطس واليوم ٨ أغسطس ١٩٥٥ م لا يمكن أن أنسى هذا اليوم (١).

وهنا لا بد أن أقف عند مقالة أبو زيد المقري الإدريسي حيث قال بأنه اعتقل لمرة الأولى سنة ١٩٥٤ م وأفرج عنه سنة ١٩٨٥ م (وكما رأينا آنفاً أن الكيلاني قد سجل بنفسه تاريخ اعتقاله ٨ أغسطس ١٩٥٥ م) (٢).

زواجه:

"لما خرج الكيلاني من السجن للمرة الأولى كان يسيطر على ذهنه عدة أمور هامة منها العودة إلى كلية الطب بالقصر العيني (جامعة القاهرة) بعد أن تم فصله إثر الاعتقال، وثانياً حصول المعرفة في مجال الأدب وخاصة القصة والشعر ثالثاً الزواج لأنه تقدم في العمر ويجب أن تحسم هذه القضية في أسرع وقت ممكن لأنه كان يتمنى أن يكون له أسرة واستقرار وسعادة وذلك على الرغم أنه لم يتخرج في الكلية بعد" (٣).

"وأدركت أن الله قد أنعم الله علي بهذه الزوجة الصالحة التي تبر أهلها وتحفظ زوجها وتقرأ القرآن وتحب الإطلاع على المؤلفات الأدبية والدينية ومغرمه جداً بمؤلفات الإمام الغزالي وخاصة كتابه (أحياء علوم الدين) ومنذ أن تزوجنا وهي تراجع مسودة مؤلفاتي

١. لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٢، ص ١٩٨.

٢ - المشكاة، ص ١١.

٣. انظر: لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٥، ص ١٠٦.

من الناحية الإملائية، والمطبعة بل اللغوي أيضاً ذلك لأن والدها - رحمه الله - قد أحسن تدريس اللغة لها بصورة جيدة وتعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة خصيصاً لنسخ مؤلفاتي عليها". (١) .

وفي العام الأول من الزواج رزقه الله ابناً سماه حسام الدين الذي تخرج في كلية العلوم قسم الفيزياء والرياضيات.

وفي العام الثاني رُزق بابنة سماها عزة التي كانت طبيبة النساء والولادة، وفي العام الرابع ولد له ابن سماه جلال الدين وكان طبيب متخصص في أمراض القلب، وفي العام التاسع، ولد له ابن سماه محمود في مدينة دبي وهو حامل ليسانس الحقوق.

حاول الكيلاني في النصف الأول من ١٩٦٧ م السفر إلى الخارج ولكنه لم يجد أي استجابة من رجال الأمن ونصحته يحيى بك كامل أمين رئيس مكتب المباحث في منطقته بالترث والصبر لأن الأمر يحتاج إلى شيء من البحث والدراسة بدليل الذين سمح لهم بالسفر أخذوا يهاجمون الرئيس والحكومة في الصحف المعادية في الدول العربية والصحف الأوروبية والأمريكية. ولكن الأرض ضاقت بالدكتور مع رحبتها وطفق يسأل عن كل من يساعده في الخروج عن مصر وساعده الحظ بعد شهرين فمن بداية عام ١٣٨٨ هـ الموافق ١٩٦٨ م نجح في مسعاه وحصل على تأشيرة الخروج بصحبة الأستاذ محمدي علي وفي الواحد والثلاثين من شهر مارس ١٩٦٨ م توجهاً إلى مطار القاهرة الدولي متجهين إلى مدينة الكويت (٢) .

نجيب الكيلاني بين أدباء عصره

نجيب الكيلاني من مواليد قرية شر شابة بمحافظة الغربية (١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣١ م) كما ذكرنا في مولده، أي أنه بمقاييس الأجيال التي فصلها الناقد الفيلسوف الأسباني خوليان مارياس في إحدى كتبه ينسب زمنياً إلى الجيل التالي لجيل نجيب

١ . لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ١٠٢ .

٢ . انظر: لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ٢١٠ .

محفوظ: "وهو جيل ضم مجموعة كبيرة من الكتاب في حقول الرواية والقصة والمسرحية من بينهم يوسف إدريس، عبد الرحمن الشرقاوي، يوسف السباعي، وهذا الجيل يصفه بعض النقاد بأنه جيل السط يقول الدكتور حامد أبو أحمد:

"ولا شك أن هذه الفترة تنبع من اعتبارات زمنية تضع للجيل حيزاً زمنياً لا يتجاوز الخمسة عشر أو العشرين عاماً هو المعيار نفسه الذي غلبه خوليان مارياس ويبدو أن مسألة الأجيال تحتاج إلى إعادة نظر وإلى وضع مقاييس ومعايير أخرى لا يكون الزمن هو العنصر الأساس فيها" (١).

ويؤيد قول الدكتور حامد ما كتبه د. نعيم عبد الباقي في مقال له نشر في مجلة الفيصل (في العدد ٢٢٣ ص ٤٠): "إن مشكلة التججيل جزء من مشكلة التصنيف شأنها في هذا شأن تقسيم الرواية إلى مراحل زمنية أو فنية أو موضوعاتية فكلا العاملين التججيل والتقسيم أمر أكاديمي له من المخاطرة والمساوي قدر ماله من الحسنات وجماليات الأداء، والقصد من التججيل هو إبراز نقطتين، أولهما: مفهوم التطور، وثانيهما: مفهوم الجاذبية النوعية لنص الفترة السائد" (٢).

علاقته بأدباء عصره فكانت تتسم بالاحترام والتقدير مع اختلاف اتجاهه وفكره عنهم ويشارك بشغف وحب في الندوة الخرافيش التي تعقد كل يوم جمعة برئاسة الأستاذ نجيب محفوظ وممن كانوا يواظبون على الحضور هذه الندوة الأستاذ هارفي وعلي أحمد باكثير، عبد الحميد جودة السحار والمرحوم سيد قطب، ومحمد عبد الحليم عبد الله ويأتي إلى الندوة عدد من الكتاب العرب اللاجئيين إلى في بعض الأوقات وبعض الزوار الأجانب من أوروبا وروسيا (٣) أصبحت هذه الندوة عادة أسبوعية له ويحرص عليها كل الجمعة لأنها كانت حرة تطرح فيها شتى القضايا الفنية والأدبية والفكرية ويذكر فيها عن آخر الإنتاجات العالمية في الأدب والمشاهير من الكتاب والنقاد الكل يعبر عما يدور في خلدته بحرية

١. الأدب الإسلامي، (عدد خاص عن الكيلاني) العدد رقم ٩ و ١٠، السنة ١٤١٦ هـ الموافق ١٩٩٦م، ص ١٥.

٢. مجلة الفيصل، العدد ٢٢٣، ص ٤٠.

٣. لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ٢٨.

وبأسلوبه. وبمرور الوقت كلفه الأستاذ نجيب محفوظ بقراءة الكتب التي ترد إليه وعلى الندوة من المؤلفين حتى يناقش واحداً منها في الجلسة القادمة. وكان يقرأ واحداً من الكتب المختارة أو رواية ثم يقدم ملخصاً عنه في الجلسة القادمة وأصبح سكرتير الندوة. كانت هذه الندوة تنفساً له وكان يجلبها كثيراً وأحياناً يأخذ بعض من أصدقائه للمشاركة معه في الندوة، لم يقتصر الكيلاني على المشاركة في هذه الندوة لوحدها بل كان يشارك في ندوات أخرى وأهمها نادي القصة، اتحاد الكتاب - بشارع قصر العيني - مقهى الأدباء بالدقي، ورابطة الأدب الحديث، والجمعية الأدبية المصرية، ودار الأمان للأستاذ أمين الخولي مع كل هذه المشاركات وتنوع المنهل الأدبي قد تأثر من ندوة الخرافيش: "ومع ذلك فقد بقيت ندوة نجيب محفوظ عميقة الأثر في نفسي برغم ما كان فيها من تيارات متصارعة واذان خبيثة وأقلام مستأجرة، شغفت بكتابة التقارير عن خلق الله المساكين، والحق إن تقديري لنجيب برغم اختلاف التوجهات في بعض الأمور تقدير لا يمحي فهو كإنسان حلو المعشر رقيق الحاشية خفيف الظل لا يسيء إلى أحد ويحاول ألا يكره أحداً" (١).

إلا أن هذه الندوة لم يكتب الحياة والدوام لأن رجال الأمن أصدر القرار بإغلاق الندوة لأنها اتهمت بأن أغلب مشاركيها من الشيوعيين أو اليساريين وأن رئيسها لا ينتمي إلى التيار الإسلامي، فيجيب الدكتور عن هذا: "الحكمة ضالة المؤمن، يستفيد منها أين ما وجدها ولقد أعجبني في نجيب محفوظ الحزم الذي أخذ به نفسه والانضباط الذي فرضه على حياته واطلاعه الواسع وخاصة ما يتعلق بفن القصة وباللغة العربية" (٢).

وانقطعت علاقته بمحفوظ بعد أن غادر الكيلاني مصر سنة ١٩٦٨ م واستقر في دبي وقال عنه نجيب محفوظ: "إن نجيب الكيلاني من التيار الإسلامي وهو منظر الأدبي الإسلامي الآن" (٣).

١. لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ٤.

٢. لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ٤٢.

٣. الأدب الإسلامي، ص ٣.

هناك منعطفات تثير بعض المفارقات في حياة الكيلاني، منها أن الجيل الجديد في مصر لم يتعرف على أدبه في حين أن أدبه يحمل قضايا مصر وأمالها في سطورهِ ورواياته وأشعارهِ والطريف أن بداياته القصصية تربي عليها الجيل السابق فقد كانت بعض رواياته التي فازت بجوائز وزارة التربية والتعليم مقررة على الطلاب وسبب المفارقة أن نجيب الكيلاني عاش قرابة الثلاثين عاماً خارج البلاد في الكويت ودولة الإمارات العربية.

إنتاجه الأدبي

"يعتبر الدكتور الكيلاني في مقدمة الأدباء الإسلاميين المعاصرين من حيث غزارة الإنتاج وتنوعه فقد كتب أكثر من سبعين كتاباً في الرواية والقصة والشعر والنقد والفكر والطب وأن الميزة التي انفرد بها الكيلاني هي اهتمامه بالشعوب الإسلامية خارج العالم العربي، إذ كتب (عذراء جاكوتا) التي تناولت الحرب الضروس بين الشيوعية والشعب الإندونيسي والتي ضحى فيها أكثر من ربع مليون مسلم وقد ترجمت هذه الرواية إلى الأندونيسية".^(١)

"ولياي تركستان التي عرض فيها لمشكلات شعب تركستان المسلم المضطهد وعمالقة الشمال التي تناولت مشكلة المسلمين في نيجيريا والظل الأسود التي تناولت مشكلات المسلمين في الحبشة وسردت الكثير من حقائق التاريخية التي يجهلها كثير من المسلمين والمهتمين بأمورهم".

وقد تأجر من جمال الدين الأفغاني حيث يقول الدكتور بنفسه: "أعجبت بشخصية الداعية الإسلامي والمصلح الكبير جمال الدين الأفغاني وأخذت أتقصي أفعاله وأقواله وحياته المليئة بالجهاد والعجائب وكنت في تلك الفترة أعزم كتابة رواية عن انعكاسات الحرب العالمية الأولى من (١٩١٤ إلى ١٩١٨ م) على مصر، إذ جعلت الشيخ عنبة وهو أبطال

١ . من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله عقيل سليمان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣ هـ، دار التوزيع والنشر، القاهرة - مصر، ص ٦٢٩ .

النداء الخالد مغرماً بشخصية جمال الدين الأفغاني حافظاً لكثيرٍ من نصوص أقواله وكتاباتهِ" (١).

"وير البعض أن الكيلاني قد تساهل في رواياته في قضية الالتزام الكامل بالأدب الإسلامي كرواية رأس الشيطان، الربيع العاصف، النداء الخالد، الذين يحترقون، الكأس الفارغة، ليل العبيد، ليل الخطايا أما روايته الأخيرة كتبت حولها المقالات والنقد وهو يقول بنفسه عنها: أما رواية ليل الخطايا، فإن قرائي لا يرونها الآن ذلك لأني منعت إعادة طبها، ولهذا لم تطبع إلى مرة واحدة في دار الفكر بدمشق والسبب في منع نشرها هو أن هذه الرواية كانت بها جرعة زائدة من تصوير المشاعر والعواطف بين المرأة والرجل كما أنها تتعرض لمشكلة الخيانة الزوجية التي أمقتها أشد المقت" (٢).

"وأما سبب عدم ذبوع صيته وشهرته فكان واضحاً والدليل على ذلك أن واحداً من كبار النقاد المصريين هو أحمد عباس صالح سئل عن سبب تغييبه في كتاباته النقدية المشهورة وهو الذي يتابع الرواية المصرية ويمارس التعريف بها وتقويمها نقداً فإذا يجيب بكل بساطته لأنها (إسلامستان) ويجيب الكيلاني عن ذلك في كتاباته برفضه للمذاهب النقدية الغربية وغير الإسلامية" (٣).

"لقد استعمل الكيلاني كل الأجناب الأدبية للتعبير عن ذاته وكتابة سيرته الذاتية أحياناً كامناً وأحياناً بارزاً فنجد مثلاً في (ديوان الغرباء) وهو ديوان بطريقة متميزة عن دواوينه المتعددة التاريخ النفسي من خلال الجنس الأدبي الذي هو الشعر فنجد تاريخ السجن وتاريخ الصمود، والجنس الأدبي الذي استعمله عن ذاته هو الرواية (حكايات طيب) وفيها يؤرخ للجانب آخر فإذا كان الشعر يؤرخ للجانب النفسي لأنه يتوافق معه فإنه في الرواية اختار أن يؤرخ للجانب المهني حكايات طيب".

١. لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ٢١٢.

٢. لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، ج ٤، ص ١٨٠.

٣. انظر: المشكاة، ص ١٣.

"والجنس الثالث الذي اعتمده الكيلاني وهو الجنس الصريح في التعبير عن الذات هو السيرة الذاتية فكتب (لمحات من حياتي) في ستة أجزاء نجد أنها سيرة صريحة يتحدث فيها باسمه عن نفسه ويتحدث عن مراحل حياته".

خدماته

"لما أكمل الكيلاني دراسته في كلية الطب بالقصر العيني بدأ عمله أو سنة الامتياز بمستشفى أم المصريين بالحيزة وبعد سنة الامتياز أو (التدريب) أصدرت الحكومة قانون تكليف الأطباء للعمل بالريف، ثم اختار قريته شر شابة".

ثم عمل كطبيب في القسم الطبي بهيئة السكك الحديدية في شارع الجلاء بالقاهرة. عضو مؤسس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

"وكذلك تقلد منصب المستشار الأول لوزير الصحة بالإمارات العربية المتحدة لمدة عشر سنوات ثم أصبح مدير التشريف الصحي بوزارة الصحة إلى أن أحيل إلى المعاش في عام ١٩٩٢ م". (١).

وفاته

"بعد أربع وعشرين سنة عاد الكيلاني إلى مصر، وقضى أواخر أيامه صابراً محتسباً يصارع المرض حتى وافاه الأجل المحتوم في الخامس من شهر شوال ١٤١٥ هـ الموافق السادس من شهر مارس ١٩٩٥ م، ودفن بمصر". (٢).

١ . مجلة الفيصل، العدد ٢٢٣، الصادرة في عام ٢٠٠١ شهر أبريل، ص ٥٦ .

٢ . من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ص ٦٣١ .

الفصل الثاني

حياة ونشأة "حجازي" وأعماله

الأدبية.

حياة ونشأة حجازي وأعمال الأدبية

مولده ونشأته:

"ولد نسيم حجازي في ١٩ مايو سنة ١٩١٤ م بقرية (سوجان بور) منطقة غور داس بور قرب مدينة معروفة في الهند (دهاريوال) سماه أبوه (محمد شريف) فاختر فيما بعد اسم نسيم حجازي واشتهر به في ميدان الصحافة والأدب، حتى يظن كثيراً من الناس هذا الاسم اسماً حقيقياً له" (١).

"نشأ نسيم حجازي في أسرة متوسطة كانت تسكن أولاً على ضفة بحر (ستلج) في قرية سوغان، وكان أبوه جودهري محمد إبراهيم ضابطاً في إدارة صيد الأسماك، وأما أمه فتوفيت وعمره خمسة عشر سنة، فكان يرغب أبوه بأن يتوظف ابنه في الجيش، ولكن نسيم حجازي كان يهرب من الجيش ومن الوظيفة في الإدارة الحكومية" (٢).

وتزوج نسيم حجازي في أكتوبر عام ١٩٣٧ م من ابنة مولانا شاه غياث الدين (٣).

تعليمه ودراسته:

"التحق نسيم حجازي بالمدرسة الابتدائية في القرية المجاورة لقريته (كهندا) وكان خائفاً من المدرسين لأن قصص ظلمهم كانت متداولة على ألسنة الأطفال في تلك الفترة، ولذا كانوا يفرون من التعليم، ولكن لحسن حظ نسيم حجازي جاء مدرس جديد في مدرسته المسمى محمد عبد الله يوسف بخاري وكان شقيقاً بطلابه، رحيماً بهم، فهذا الأمر جعل نسيم حجازي ينكر كل القصص التي كان قد سمعها من الأطفال" (٤).

١ . كتابات عن نسيم حجازي، د. تصدق حسين راجا، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٨ م نشر في مقتدره قومي زبان إسلام آباد، ص ٥ .

٢ . نسيم حجازي ايك مطالعه، (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، د. تصدق حسين راجا، (ب.ت)، نشر في قومي كتب خانه لاهور، ص ٢١ .

٣ . ينظر: كتابات عن نسيم حجازي، ص ٦ .

٤ . نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٢ .

ولما أتم نسيم حجازي دراسته الابتدائية التحق بمدرسة تبشيرية في مدينة (دماريوال) وكان في البداية يرجع يومياً إلى بيته، ولكن لما رأى أبوه عدم مبالاته في التعليم وتضييع الأوقات في الذهاب والإياب، فنصحه بالبقاء في السكن.

عاش نسيم حجازي فترة في المدرسة التي تركت في حياته أثراً بالغاً خاصة في الناحية الدينية، حيث اكتسب تحمساً دينياً، فبدأ ينشر الإسلام ويدعو إليه وكذلك بدأ يعلن عن الشعائر الدينية، ومرة أذن فوق سطح السكن معلناً بدينه، وكذلك تعلم التعامل مع الذين لا يدينون بدين الإسلام^(١).

"ثم انقطع نسيم حجازي عن التعليم حين توفيت والدته، وكان عمره خمسة عشر عاماً، وامتدت فترة انقطاعه عن التعليم سنتين، ولكن خلال هذه المدة لم يترك القراءة والمطالعة، بل كان مولعاً في مطالعته بالقصص والروايات، ولما قرأ كثيراً بدأت موهبته الكتابية في الظهور، وقد كاد يكتفي بقراءاته الحرة غير أن أحد الكبار أوصاه باكمال التعليم والدراسة أولاً، فالتحق مرة ثانية بالمدرسة وأكمل دراسته الثانوية"^(٢).

"وبعد إكمال الدراسة الثانوية التحق بالكلية الإسلامية في لاهور سنة ١٩٣٢ م وقضى فيها ست سنوات، وحصل على شهادة اليسانس عام ١٩٣٨ م ولم يكف في تلك الفترة عن قراءة الأدب الكلاسيكي، والتاريخ لأنه كان مولعاً بهما"^(٣).

ووجد في تلك الفترة جوّاً علمياً وأديباً، حيث وجد الزملاء الكبار أمثال: عبد الستار النيازي، والقاضي أنوار الحق، وحميد النظامي مؤسس جريدة (جنك) اليومية باللغة الأردية، وهي أكبر الجرائد الباكستانية انتشاراً^(٤).

١ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٢ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٢ .

٣ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٢ .

٤ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٢ .

مصادر ثقافته

غادر نسيم حجازي لاهور بعد إكمال دراسته في الكلية إلى كراتشي للعمل، فالتحق بجريدة (الحياة) اليومية، ولم يبق فيها كثيراً حتى التحق بجريدة أخرى (زمانه) ولكنه لم يستطيع أن يتعايش مع إدارة الجريدة أيضاً، فقدم استقالته حين عرف أن صاحب الجريدة يعمل لصالح الإنجليز ويأخذ المساعدات من الحكومة الإنجليزية، وهاجم المؤتمرات التي كانت وراء تلك المساعدة التي أخذتها الجريدة والجرائد الأخرى، وذلك لأنه رأى فيها تأييداً لاستعمار البريطاني الذي كان يريد من وراء هذه المساعدات أن يكسب التعاون في الحرب العالمية الكبرى.

ثم التحق بمدرسة المتوسطة التابعة لإحدى المؤسسات الخيرية في كراتشي كمدرس للغة الإنجليزية، واتفق مع المسؤولين على أن يمنحه حرية كاملة في اختيار المنهج والنظام، فجدد في نظامها، ولكن مسؤولي المؤسسة لم يرضوا بما قام به نسيم حجازي، فعزلوه عن التدريس بعد ثلاثة أشهر^(١).

قضى نسيم حجازي ثلاث سنوات في كراتشي، وبعده غادر إلى بلوشستان بعد أن دعاه مير جعفر جمالي حاكم إقليم بلوشستان بأنه أرسل نائبه أسرار محمد خان بإحضار نسيم حجازي معه ليعلمه هو أولاده اللغة الإنجليزية وكان مير جعفر جمالي من مؤسسي المؤتمر الإسلامي، وكذلك جاهد لاستقلال باكستان، وكان يعتبر عضداً لقائد أعظم محمد علي جناح، لأنه كان مؤازراً له في إقليمه، لذا قبل نسيم حجازي دعوته، ولو كان رئيساً لما ذهب إليه نسيم حجازي^(٢).

تعلم مير جعفر جمالي منه اللغة الإنجليزية، كما تعلم أبناؤه، وبعد فترة أراد نسيم حجازي أن يغادر بلوشستان، ولكن مير جعفر جمالي لم يأذن له ووضع ثوبه على أقدامه

١ . انظر: كتابات عن نسيم حجازي، ص ٦ .

٢ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٣ .

حسب تقاليد أهل المنطقة للإلحال، فاضطر نسيم حجازي إلى ان يبقى عنده واستقر في كويته^(١).

وأثناء قيامه في كويته ساعد نسيم حجازي مير جعفر جمالي في المجال السياسي وأصدر مجلة أسبوعية باسم (تنظيم) من كويته التي صدرت من سنة ١٩٤٣ م إلى ١٩٤٨ م^(٢).

إن نسيم حجازي كان منكباً في كتابة الروايات بحيث كان يفضل الكتابة على التجارة حيث كتب عنه الدكتور تصدق حسين راجا: "ووجد نسيم حجازي فرصة ثمينة خلال مكوثه في بلوشستان للتجارة الربحة ولكنه رفض لحرصه على كتابة الروايات والأعمال الأدبية والصحفية، حيث أنه كتب عدة روايات خلال مكوثه فيها"^(٣).

إن نسيم حجازي كان متفكراً بدين الإسلام ومتديناً به حيث نجح في محاولته لمير جعفر بأن يلحق رئاسة بلوشستان بباكستان وأن يكون عضواً للدولة الإسلامية حتى يقوي الدولة الإسلامية الباكستانية التي وضع نواتها باسم دين الإسلام، وإلى هذا يشير د. تصدق حسين راجا في كتابه

"حاول نسيم حجازي كثيراً مع مير جعفر جمالي لإلحاق إقليم بلوشستان مع باكستان، فشاء الله أن التحق بها، فرأى أن الأوضاع قد هدأت وانتهى عمله في بلوشستان، فعزم على أن يعيش بقية حياته في مكان يحلم به، فاستأذن من مير جعفر جمالي، فأذن له بعد عناء طويل لحبه أن يبقى نسيم حجازي عنده، فغادر نسيم حجازي كويته، وأخذ يبحث عن المكان للمكوث فيه حتى وصل إلى روالبندي، فبنى فيها بيته كما بنى بيتاً آخر في ابيت آباد، وكان ذلك في سنة ١٩٤٨ م"^(٤).

١ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٣ .

٢ . انظر: كتابات عن نسيم حجازي، ص ٦ .

٣ . نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٦ .

٤ . نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٣٨ .

وبعدما استقر نسيم حجازي في راولبندي التحق بجريدة يومية (تعمير) كانت تصدر من راولبندي سنة ١٩٤٨ م، عمل فيها ثلاث سنوات (١) .

وبعد أصدر نسيم حجازي بنفسه جريدة مستقلة (كوهستان) من راولبندي و لاهور وملتان وصدرت الجريدة خمسة عشر عاماً و غلى أن جاء عهد أيوب خان فحولته إلى ملك الحكومة، وكان ذلك في سنة ١٩٦٦ م، وعرض على نسيم حجازي رئاستها، ولكنه لم يرض أن يكون رئيس التحرير على جريدة حكومية، لأنه يرى ذلك مرادفاً لموت الصحفي الحر فتركها، وللأسف لم تستمر الجريدة بعده (٢) .

وفي ذلك الوقت كان نسيم حجازي قد دخل في الخمسينيات من عمره، ولم يعمل بعد ذلك في أي جريدة ولا مؤسسة إلى آخر حياته، بل ظل يكتب مقالاته ويقدم بحوثاً أدبية وعلمية وكذلك كان يحرص على الحضور في المؤتمرات العلمية والأدبية، وتفرغ في هذه المدة لكتابة رواياته المختلفة (٣) .

ثناء العلماء عليه:

كان نسيم حجازي محل تقدير من كبار العلماء حيث قال عنه بعض العلماء مثل عبد القدير خان: "كنت أقرأ الروايات الرومانسية والجاوسية في الطفولة، ولكنني تركتها عندما قرأت أول مرة رواية نسيم حجازي (يوسف بن تاشفين) وقد قرأت جميع رواياته مراراً، وعندما أقرأ روايته أدعو الله أن يوفقني لخدمة الإسلام والمسلمين والبلاد الإسلامي في المستقبل" (٤) .

وكذلك قال الدكتور ظهور أحمد ظهر: "أن نسيم حجازي كاتب إسلامي كبير والأستاذ الأديب الذي ساهم في تكوين الجيل المسلم الجديد مساهمة لا يمكن إنكارها أو

١ . انظر: كتابات عن نسيم حجازي، ص ٦ .

٢ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٣٨ .

٣ . انظر: المرجع السابق، ص ٤٥ .

٤ . نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٦٢ .

تجاهلها، ولنسيم حجازي أثر كبير في نفوس الجيل المسلم الناشئ خاصة على الطلاب في المدارس والكليات والجامعات، وكذلك حب إليهم الإسلام ومبادئه السامية التي جاء بها نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -" (١) .

وقال عنه الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم: "إن التاريخ الإسلامي هو الموضوع الذي جذب اهتمام نسيم الحجازي، بينما شغف بالصحافة وكمل بها فكتب روايته "حكاية المجاهد" وبعدها كتب عدة روايات التي اتخذت موضوعاتها من التاريخ، فهو أديب صاحب حس مرهف تؤثر فيه الأحداث، وتخرج أفكاره فيكتبها بقلمه بين السطور" (٢) .

وكذلك قال عنه الدكتور شفيق أحمد: "تأتي مكانة حجازي بعد العلامة إقبال في الشهرة والقبول لما له مكانة رفيعة بين أدباء باكستان والهند، وعلى ذلك نجد كثيراً من الناس قد قرءوا روايات نسيم حجازي ولو رواية واحدة على الأقل ولكن نجد كثيراً من الناس لم يقرءوا لإقبال وذلك لعدة أوجه، وكذلك نجد كثيراً من البيوت في باكستان فيها روايات نسيم حجازي حيث توضع بكل احترام بعد الكتب المقدسة" (٣) .

أعمال نسيم حجازي الأدبية

بدأ نسيم حجازي حياته الأدبية في شبابه، وكتب بعض القصص القصيرة خلال دراسته في الكلية، وأشهرها قصته (شودر) التي جعلها رواية فيما بعد بعنوان: (الإنسان والمعبود) التي طبعت في عام ١٩٤٤م، وهي الرواية الأولى في الكتابة، ولكنها الثالثة في الطباعة، حيث نشرت أول رواياته (حكاية مجاهد) عام ١٩٤٣ م (٤) .

١ . رواية محمد بن قاسم، نسيم حجازي، النسخة العربية، ترجمة: د. ظهور أحمد أظهر، الطبعة الأولى، (ب.ت)،

قومي كتب خانة لاهور، ص ٦ .

٢ . مجلة جامعة الإمام سعود، مقال بعنوان: (الأندلس بين الروايتين العربية والأردنية)، بقلم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، العدد (٢١) محرم، عام ١٤١٩ هـ، ص ٣٥٣ .

٣ . نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٨٥ .

٤ . المرجع السابق، ص ٢٦ .

وكذلك كتب عدة روايات أثناء مكوثه في بلوشستان فكتب أربع روايات وهي (حكاية مجاهد) و (الإنسان المعبود) و (محمد بن قاسم) و (السد الأخير) وكتب أكثر من النصف من روايته (الأرض والدم) التي طبعت سنة ١٩٤٩ م^(١).

وعندما بلغ نسيم حجازي في الخمسينيات من عمره لم يترك كتابة المقالات وتقديم البحوث، وكان يحرص على الحضور في المؤتمرات العلمية والأدبية وتفرغ في هذه المدة لكتابة الروايات، فأنتج أروع الروايات الثلاثة وهي: (قافلة الحجاز) و (مسافر الليل الدامس) و (النار والكنيسة)^(٢).

وكذلك كتب رواية (يوسف بن تاشفين) التي تناولت عن فتح بلاد الأندلس على يد يوسف بن تاشفين الذي جاء من أفريقيا.

وفي سنة ١٩٥١ م كتب نسيم حجازي روايته (المعركة الأخيرة) بعد زيارته لبلاد الغرب وأفريقيا وشرق الأوسط التي تناولت فتوحات محمود الغزنوي لغرب الهند وإقليم البنجبا، وذكر فيها أيضاً عن مستقبل مسلمي الهند بأنه كيف فتح محمود الغزنوي الطريق لمسلمي الهند بقيام رئاسة إسلامية في الهند بعد استقلال باكستان عن الهند.

وبعد هذه الرواية كتب روايتين (معظم علي) و (انقطع السيف) التي تناول فيها حالات المسلمين في بلاد السند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر^(٣).

وكذلك كتب رواية (كسرى وقيصر) التي تحدث فيها عن أعداء المسلمين من طرف وسقوط قصور الكسرى وقيصر ونشر الأصوات بين الناس بأن المعبود هو الله سبحانه وتعالى وحده من طرف آخر^(٤).

١ . انظر: كتابات عن نسيم حجازي، ص ٦ .

٢ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٥٤ .

٣ . انظر: كتابات عن نسيم حجازي، ص ٨ .

٤ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ١٤٣ .

وكذلك من أعماله الأدبية (القافلة الضائعة) و (الشجرة الوحيدة) وكذلك كتب رواياته في المزاح (بعد مائة سنة) و (البحث عن الثقافة) و (الجزيرة البيضاء) وكذلك كتب مقال عن الحج (من باكستان إلى ديار الحرم).

وفاته

أصيب نسيم حجازي في آخر حياته بمرض لم يفق منه إلى أن لاقى ربه في الثاني من شهر مارس سنة ١٩٩٥ م، ودفن في مقبرة إسلام آباد، حضر في جنازته خلق كثير، بعد أن ترك لنا عدداً كبيراً من الروايات التي اتخذت مادته من تاريخ المسلمين في المشرق والمغرب ولقيت اهتماماً كبيراً من القراء لطرافة موضوعاتها وجودة بنائها، ولالتزامها الإسلامي (١)

^١ . انظر: نسيم حجازي ايك مطالعه (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٦٢ .

الباب الثاني

عرض وتلخيص لروايات

الروائيين

الفصل الأول

عرض وتلخيص "الطريق الطويل" و

"السد الأخير"

عرض وتلخيص "الطريق الطويل" و "السد الأخير"

تلخيص رواية (الطريق الطويل)

رواية الطريق الطويل هي إحدى روايات الطيب المصري والأديب الروائي والمسرحي الشهير نجيب الكيلاني. اشتهر عن الكيلاني إحساسه العميق، والمليء بالجمال الفني الممتزج بالغموض في بعض الأحيان، فقد كانت لديه القدرة الإبداعية والفكرية والنقدية في الكتابة والتأليف في الكثير من المجالات الأدبية المختلفة، كالنثر والشعر والروايات والقصص والمسرحيات، فقد كانت حياته مليئة بالنشاط في ميادين الفكر والأدب العربي. وفي هذا المقال سوف نقدم مراجعة لهذه الرواية.

ويتميز أسلوبه بالتحليل الدقيق وشعوره الدائم بالمسؤولية تجاه القارئ، والذي جعل كل أعماله ترقى لغرس القيم وتربية السلوك وتهذيب النفوس، وتتسم بالوضوح وتهدف لزيادة الوعي والتحليل الدقيق والبعد عن الفهم الخاطئ.

وكان نجيب الكيلاني يمتلك ثقافة كبيرة في مجالات متعددة، وقد ساعد ذلك في تنوع كتاباته فكان أديبًا وشاعرًا وناقداً. وكان يمتلك جانبًا من الإبداع ظهر في مؤلفاته، ولاقت هذه المؤلفات قبولًا كبيرًا لدى القراء في العالم العربي والإسلامي.

"رواية الطريق الطويل من الروايات التي تتحدث عن فترة من تاريخ مصر، وهي فترة ما بين الحرب العالمية الثانية والعدوان الثلاثي، والاحتلال الإنجليزي للطريق الطويل يقصد به طريق النضال من أجل الحصول على الحرية. والرواية تحكي قصة طفل مصري عاش وكبر تحت حكم الاحتلال لبلاده، وأصبح حلمه عندما صار شابًا يتمثل في تحرير فلسطين، وشاب آخر اقتنع بالقومية العربية في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي."

ولعرض رواية (الطريق الطويل) سنختار عرض الشخصية في هذه الرواية مع توصيف

الكاتب لهذه الشخصية حتى يكشف لنا عما تدور الرواية وعن الشخصيات التي ورد فيها:

الشخصيات الرئيسية

تعد الشخصية الروائية من العناصر الأساسية في بناء الرواية، لا يمكن أن يستغني عنها الكاتب، لأنه لا يمكن أن يصور حياة من دون أشخاص يتحدثون ويفعلون والرواية محل الدراسة تعددت فيه الشخصيات نظراً لاحتوائها ثلاثة وعشرين فصلاً، وكل فصل - تقريباً - به شخصيات رئيسية والقليل فيها يختلف من فصل إلى فصل، والشخصيات كانت كالآتي:

سليمان

وقد وصف الكاتب بأنه تلميذ مجتهد من شباب المستقبل مريض بمرض البلهراسيا والانكلستوما، "كانت صورة المكسب المتوقع تلج في عقلي وتجعله شيئاً مؤكداً فلم يرادوني في شبح الخسارة لكن قلبي كان يدق غالباً متواصلاً، وأن أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، كانت أعصابي تصخب وتحترق والعرق يتصبب من جبيني وضميري يُلهبني بسياط من اللوم والتقريع، إذ كيف أخلاف أمر أمي وأقترف هذا الوزر الأكبر" (١).

"طالب في الرابعة ابتدائي كنت أحب بسيمة حبا يتناسب مع عمري وعمرها وكانت تبدو في نظري كبيرة عالية القدر.

أما أنا فقد عادت الظروف أن تراني أمي وأنا أبكي فسارعت تجفف لي الدموع وهي تقول إن قلبك طيب مثل أمك تماماً، كل شيء يهون يا بني فلا تبكي ولست أدري ما العلاقة بين سفر بسيمة واصابتي بالتهاب في الزور في اليوم نفسه إذ ارتفعت درجة حرارتي وأخذت تنتابني نوبات شديدة من السعال ولم يأتي الليل حتى كنت أهذي من الحمى" (٢).

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥م ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة،

ص ٧ .

٢ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٥١ .

سليمان كان مريضاً وعلى الرغم من اجتهاده في دراسته طلبت منه المدرسة الذهاب إلى العلاج حتى يشفى تماماً ثم يعود رغم فقر عائلته ومرض أمه فكان يحب بسيمة فعندما سافرت هو مريض كذلك في نفس اليوم.

كان عمي يسكب في أذني مواعظه ويأخذه الحماس الشديد وو يحذرني من أوهام الحب، سأكون غريباً في إحدى المدن لطلب العلم ويحذرني من المغالاة في عواطفني ومن الإفراط والتفريط لأنه سيكون على حساب مستقبلي ونجاحي، وكان العم فريد بالنسبة لسليمان هو مصدر مواعظه فكان دائماً ينصحه ويعطيه دروساً من خلال تجاربه، فالعم فريد عاش حياته بكل أنواعها من حلوها إلى مُرها فكانت حياته متشابكة مع بعضها البعض لذلك ينصح سليمان بالقيام بالفعل الصحيح والأجدر.

"أجريت العملية الجراحية بنجاح وأفقت من أثر التخدير لأرى بجانبنا كلها وهم يبكون" (١).

"عشت أسبوعين غارقاً في الزايات والدعوات والتمنيات الطيبة بالشفاء العاجل" (٢).
مرض سليمان ودخل المستشفى وأجري العملية ومكث أسبوعين في المستشفى وزارته كل عائلته.

"خرجت من عندها قاصداً حجرتي أخذت أجمع ما يكفيني من ملابس وكتب لمدة أسبوع وهو الوقت الذي سيتم فيه زواج ثريا وأضعه في حقيبتني وكأن الدنيا من حولي كانت تعزف لحناً جنائزياً يمزق نياط قلبي والدمع قد احتبس في أعماقي أو بدت لي الدنيا سوداء حزينة لا خير فيها ولا أمل في أيامها" (٣).

لأنه عند ذهابي إلى القاهرة تعرف بفتاة تدعى ثريا وأحبها وعند عودته إلى القاهرة وجد الشوارع مزينة لأنه كان عقد قران ثريا مع رئيس قسم التموين وفي الوقت نفسه رئيس

١ . المرجع السابق، ص ١٤٥ .

٢ . المرجع السابق، ص ١٤٦ .

٣ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٢٩٨ .

والد ثريا في ٤٥ من عمره وما زال أسبوع فقد على زواجهما لذلك قررت الرحيل إلى أحد أصدقائه لمدة أسبوع من أجل الدراسة للامتحان.

"كانت كارثة ضخمة تلك التي حلت بعد أيام لم يكن باستطاعتي أن أصمد لها، لأنها كانت أكبر من رجولتي وصبر وتعليمي، بل إنها زلزلت إيماني بالحياة ومن فيها بالطموح والأمل والناس والمال وكل ما في الوجود وخيل إلى أن الأقدار تتحداني دائماً وتوجه إلى صفعات ظالمة قاسية أتدري لماذا؟! لقد ماتت أمي" (١) .

أنته الفاجعة وهي وفاة أمه التي كانت تحلم بأن تراه طبيياً فقد أفدته بالنفس والنفيس وكل ما لديها رغم مرضه وكانت أمنيتها أن يكون طبيياً وأن يعالجها لكن الموت كان سباقاً.
الأم:

تشكو من آلام حادة في صدرها وهي حامل في شهرها السادس، "تعد العشاء المكون من الخبيزة وتتأوه باكياً (آه يا قلبي) وتصر على تهيئة الظروف المناسبة لعلاجي" (٢) .

رغم مرض الأم إلا أنها كانت تعمل بجد من أجل الحفاظ على العائلة ومن أجل دفع تكاليف علاج سليمان والتكفل به ليشفى ويعود إلى دراسته.
"جلست بجانبها بالتعويذات والمأثورات المعروفة كما تذهب عني أثر الحسد الذي ظنت أنه سبب دائي فإذا ما عجزت عن الرد بكت أمي وتناست آلامها الشديد الذي يسكن صدرها" (٣) .

"كان في صمتها حزن بليغ وأسف عميق لأنها آثرت أن تحتزن آلامها فلا تبوح بها لأحد وهذا هو السبب في آلام القلب التي كانت تعاودها من وقت لآخر قد اشتدت وطأتها في هذه الآونة فلم يعد يهناً لها نوم ولا يطيب لها مطعم حتى ازداد شحوب وجهها، وتدهور قوامها، فإذا ذهبت إلى الصلاة أرى سجودها قد طال فأحسب أنه زيادة التبتل والضراعة لكنه

١ . المرجع السابق، ص ٣١٩ .

٢ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٤ إلى ٨ .

٣ . المرجع السابق، ص ٥١ .

يطول لدرجة تبعث على الشك فأذهب لأحركها في إغماء فأجرى هنا وهناك لأحضر الماء فأبلل بها وجهها، أو أبحث عن بصل تشمها، كنت أخاف أن تروح أمي ضحية هذه الإغماءات فيسقط قلبي عن موضعه" (١) .

"احتجرت ليلى ومحمود في إحدى الحجرات وأغلقت عليهما الباب لأنهما كان مجردين من الثياب تماماً حتى تنتهي أمي من تنظيف الثوب الواحد لكل منهما وغسله" (٢) .
خفت على الأم درجة حدة الآلام القاسية الحادة لدرجة كبيرة لأنه سد الدين، لأن الخلاص من أعباء الديون شيء يبعث على السعادة والمتعة ويشعر بالحرية التي لا ينوه جلالها قيود، فقد تم بيع كل ما في المنزل لتسديد الديون.

"جلست تستمع إلي في زهو وانسراح والغبطة تطفو من وجهها، فلا تكاد تلمح أن وراء هذه التقاطيع الضاحكة آلاماً قاسية تحز في قلبها" (٣) .

الأم هنا تتمنى رؤية سليمان طبيباً وتدعو له قبل وفاتها كما أنها تنصحه بأن يكون رؤوفاً ولطيفاً مع العباد لينال مراده وتخبره كذلك وتذكره عن الحياة القبلية التي كانوا يعيشونها جراء عدم وجود النقود عند الذهاب إلى المستشفى تتساءل في حيرة من أين لنا النقود لشراء الدواء.

الأب عبد الدايم:

"يجلس على الكرسي الخشبي يتيماً وقد أسند خده على راحته وهو يهمس في صوت يشبه النجوى، ويقول: يا رب تسدد ديوني يا رب لا تذلني لأحد يا رب أزرقنا واشف مرضانا.. أفرجها يا رب يا كريم" (٤) .

يفكر الأب في ديونه ليل نها، ويتعذب كثيراً بسببها، فلا يحلو له مأكلاً ولا يصفو له مشرب أتعبه التفكير الكثير فكثير عدد الشعيرات البيضاء في رأسه، ولحيته المهملة وشاربه

١ . المرجع السابق، ص ٨٥ .

٢ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ١٩٥ .

٣ . المرجع السابق، ص ٢٧٢ .

٤ . المرجع السابق، ص ٥٥ .

وازدادت وضوحاً وعمقاً في جبهته، حتى لفائف التبغ التي كان يضعها بيده قل عددها وأصبحت رقيقة جداً بحيث أنه لا يكاد يجذب منها نفسين أو ثلاثة إلا وجدها لفظت آخر أنفاسها والشاي الذي لم يكن ينسأه بين لحظة وأخرى أصبح لا يناله إلا كل بضعة أيام.

"كان محدود الطاقة فقير المورد وكلما رأى مرسى أبو غفر ازداد وجهه شحوباً وغما واختلجت عضلات وجهه من الغضب المكبوت، وانتقض جسده كله من الغيظ الدفين وبان في عينها الضيق والتبرم.

لم يكن سليمان مطلقاً في ذلك اليوم ولم يأت من الغيظ لتناول طعام الغداء ولعله احترم عوافي ودموعه ومشاعري البائسة لأنه ليس في حاجة إلى المزيد من الألم لنفسه ولي.

باع كل شيء لسد الدين لمرسي أبو غفر ولم يبق له شيء.

أما أبي فجلبابه الأزرق هو هو، لم يتغير، اللهم إلا في لونه الذي حال وأصبح باهتاً وبعض الرقعات التي أضحت جليلة واضحة" (١).

مكافحاً من الطراز الأول وأكبر من الزعماء ذوي الهيل والهيلمان، كان رجلاً فلاحاً لكن بصيرته النفاذة وإيمان العميق دفعاه لأن يؤمن بميولي الخاصة ويؤكد كلامي المنطقي لأن نفسه البيضاء الصافية لا تعرف جدلاً عميقاً ولا أنانية منحرفة" (٢).

انفجرت أساريره وأصبح وجهه ضحوكاً باشا يداعب ليلي ويتسم لمحمود ويقبل على عمله في الحقل أو المنزل بروح طيبة وقوية وشغف زايد .

الشيخ حافظ شيحا

"يرغي ويزيد في الكلام ويتكلم بصوت مرتفع ويعتبر العدو اللدود والخصم رقم واحد للإنجليز كانت شعلته متقدة من غضب وثورة يمتلك محل الخردوات أو يكون في سوق القرية حيث يعرض بضاعته أو في مكان يسخط فيه على الإنجليز" (٣).

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ١٩٥ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٧٨ .

٣ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٢٨ .

لقد كان يمشي دائماً وفي جيبه جريدة ومعروف عليه أنه إذا عثر على جريدة أتى عليها من أولها إلى آخرها وإن لم يجد يهرع إلى مخلفاته ويقلب في محتوياته القديمة وكان يعتز برجولته وكرامته.

الشيخ حافظ كان أبو مصرياً صميماً وضابطاً في الجيش الخديوي توفيق^(١).
 "اجتمع الشيخ حافظ شجاعته وصرافها مؤكداً لها بأنه سيحصل لها على كل ما تريد وعاد إلى مجلسه والعرق البارد يجلل وجهه وأطياف من الدموع الحائرة تتراقص في حجرته عاد ليغرق في صمت، هو يسرح ببصره ذاهلاً تاركاً أصدقائه يتجاذبون أطراف الحديث: تاجر خردوات من يده إلى فمه"^(٢).

حالته تنحدر من السيء إلى الأسوء، وأنه سيحصل على لقمة العيش كأنه ينحتها من الصغر وملابس أفراد الأسرة الممزقة لتفضح عن حالة.

كان لا يتخلف عن شراء الجرائد لكن الآن أصبح شيئاً مستحيلاً بالنسبة له، فكان عليه أن يريق ماء وجهه ويذهب إلى هذا وذاك من هواة قراءة الصحف ويتودد كي يقرأها ويطمئن على أخبار هتلر وهزيمة الإنجليز.

وهو في غمرة يأسه يلعن الدنيا والناس، لعن المال الذي ألجأه إلى دفع ابنته للخدمة ولعن الحروب ومشعلها^(٣).

لأن الفقر جعله يدفع بابنته كخادمة ولأن الحرب تسببت في ضياع ابنته أو موتها وهذا هو مقياسه الجديد في الحرب، وأصبح ينظر إليها كارثة فقط. "أصبح مطرقاً ساهماً لا تفارق لفافه التبغ فمه ويريق عينيه قد انطفأ منه الكثير هذا بالإضافة إلى تحوله وتجهمه الدائم وكلامه النادر واختفت مشاجرات خضرة وقلّة خلافاتها"^(٤).

١. المرجع السابق، ص ٢٥.

٢. المرجع السابق، ص ٣٠ و ٣٥.

٣. الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ١٢٥.

٤. المرجع السابق نفسه.

بكى الشيخ حافظ فالمتني دموعه حتى بكيت معه، قلت ألم يكن في حسابك أن يقضي سعيد شهيداً في المعركة بلى لكن أبوهن ثم الخيانة التي طعنت كفاحه من الخلف إن هذا ما يُمكنني، بل هو أقسى من فقدان ولدي إن قلبي يغلي بالحقد والنقمة على المجرمين الذين شوهوا حركة الكفاح وجعلوا منها سلعة وتجارة.

بعمامته وجلبابه الصوفي الأسود يدلّف إلى الداخل في حالة من الحزن والخوف يرثى لها، وكان حزنه نتيجة فقدانه لابنته التي عملت كخادمة ثم عانت ثم انقطعت أخبارها بسبب الحرب فظنوا أنها توفيت لتعود مجدداً لكنها بلا عقل جراء الحوادث التي جرت لها لتتحرر في الأخير وتصبح أشلاء أشلاء.

سعيد ابن عم الشيخ حافظ شيخاً:

كانوا أصدقاء الطفولة وعمرها ثلاث عشر سنة، أصدقاء أوفاء كالأخريين يأكلون معاً يلعبان معاً ويذكوران في مكان واحد .

"كان غريباً حقاً، يستطيع أن يكبح جماح معدته ويسيطر على شهوة الطعام التي تحتدم في أعصابه يا لك من عزيز مترفع يا سعيد" (١) .

كان يبدو وهو يغالب دموعاً توشك أن تفرط من عينيه، لكنه استطاع أن يضغط على عاطفته ويكبا مشاعره فينجح في ذلك.

"كان ثائراً متمرداً مشاغباً طول حياته سواء أكان في الشارع أو في المدرسة، سريع الغضب شديد الثورة تعبان ومتضايق مصمص سعيد شفثيه، واكتسى وجهه بنقاب من الحزن، وحاول أن يتكلم لكن لسانه تعثر، واحتسبت الكلمات في فمه وأوشك على البكاء، لقد تغير شكله كثيراً وأصبح ذا شارب أسود منسق وذقن حليقة، ورعرع عوده عن ذي قبل وغدا مظهره منظر رجل مكتمل النمو" (٢) .

"تقدم بأوراقه إلى الكلية الحربية التي كان يحلم بها منذ أمد بعيد حتى يكون ضابطاً مثل جده وكان سرور سعيد عظيماً حينما نجح في الكشف الطبي، لكن للأسف كانت

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٣٧ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٥١ .

فرحته شوهاء مبتورة لأن التقرير كان أنه وطني متطرف معروف بعدائه لنظام الحكم الحاضر ذو ميول ثورية ومن الخطرين" (١) .

كان سعيد في قمة الغضب يريد دخول الكلية الحربية بأي طريقة لأنه كان حلمه، فتنهار آماله فيقرر والده أن يلحقه بالكلية الحربية في الدفعة الثانية بأي ثمن ويشترط فيه والده الالتحاق بكلية الحقوق بصفة مبدئية حتى تمسك العصا من الوسط وتحتاط.

"ضغط سعيد بأسنانه وكور كفه السمراء وضرب بها على المنضدة وقال لا بد أن نثار من هؤلاء الأوغاد" (٢) .

لأن سعيد كان يريد أن يثار لجده وأخته وحرمانه من دخول الكلية الحربية وأهوال الحرب وآلامها وابن مرسى أبو غفر الذي سخر منه لأن بسمة خادمة كذل الحياة البائسة الفاسدة والظلم الاجتماعي والرشوة والمحسوبية والانحلال.. الخ.

"كان في مقدمة المدافعين يتحرك وراء المثابرين مغبر الوجه مسود اليدين، وسترته ملونة بالدماء يوجه بعض الجنود لانطلاق الرصاص صوب السماء حيث الهابطين بالمظلات ويأمر آخرين ليضربوا هؤلاء المتقدمين ناحية المثابرين ثم يشير لنا نحن رجال الإسعاف كي نحمل جريحاً أو ننقل شهيداً، ثم يعود إلى مدفعه ليقذه منه الحمم والموت في حقد وإصرار إلى صدور المعتدين كان يطلق الرصاص وقد تقلصت عضلات وجهه، والشرر الثائر يبعث من عينيه وشعره الأشعث المنفوش يهتز مع اهتزازات جسده بتأثر حركة المدفع عن إطلاقه" (٣)

عمي فريد

إنسان عاطفي طيب القلب لا يكثر كثيراً بمستقبل أيامه، بل يعيش ليومه ويخطي وينعم بالسعة التي هو فيها دون النظر لأي اعتبار وهو أزهرى فاشل ترك الأزهر إبان الثورة

١ . المرجع السابق، ص ٢٧٣ .

٢ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٢٨٣ .

٣ . المرجع السابق، ص ٣٣٠ .

١٩١٩ كان له فلسفة خاصة في الحياة ويعتقد أن واجب الطالب الأول هو العلم والتحصيل وليست المظاهرات والتجمهر" (١) .

"فيطأ رأسه في غم شديد ويبدو كأنه غرق في بحر لجي عاصف الريح مضطرب الأمواج لا أمل له في النجاة، ويهمس مهموماً أنا أشد منكم حزناً وأسفاً كان يعيش معنا في البيت يأكل ويشرب وينام مع تضاؤل ميراثه وحقوقه يوماً بعد يوم، وقد فعل عمي خيراً بعدم موافقته على الزواج مع أنه تجاوز عامه ٣٥ سنة إشفافاً على مستقبل أسرته" (٢) .

"رجل طيب رغم ما هو متورط فيه من أفيون وحشيش وإفلاس مفرط، يشد الرحال إلى القاهرة لا يعبأ بموت ولا يهاب غارات كان طول حياته هكذا دائماً يتسم بغير قليل اللامبالاة ويعتبر أن أمر الحياة أو الموت موكول للأقدار ويؤمن من أعمق الإيمان بالمثل الذي يقول: (ليس من المكتوب هروب) ففي جيبه بضع عشرات من الجنيهات هي كل ما يملك، يحمل على رأسه لوحاً خشبية قد تراصت عليه بضع عشرات من الأربعة، ويحمل على رأسه الأخشاب اللازمة لعملية البناء وكانت ثيابه متسخة ممزقة ولحيته مهملة منفرة، كان العم فريد يتعاطى الحشيش كانت حياته بائسة لا معنى لها فكان يبيع أراضيه من أجل تعاطي الأفيون، وكان عبد الدايم يتحمل مشقة الحياة من فقر ومرض أبيه وزوجته وأخيه، لكن في الأخير يسافر العم فريد ويعتبر الحياة قيمة ويعمل ويتزوج بميرة" (٣) .

ثريا

هي الشخصية الرئيسة في الفصل من ١٤ إلى ١٥ .

"عينها خضراوين ضاحكتين دائماً وفي ثيابها الخفيفة الرشيقة وفي مشيتها وحديثها وحركاتها" (٤) .

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٥٦ .

٢ . المرجع السابق، ص ٦٠ .

٣ . المرجع السابق، ص ٨٧ .

٤ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٨٧ .

كانت الطفلة الوحيدة لأبويها لهذا كانت مدللة لا يرد لها طلب ولا تمنع عنها حاجة منذ طفولتها حتى الآن، أي السادسة عشر من عمرها.

استطاعت بحنانها أن تصحو كل ما علق بنفسي من آثار الماضي وأصبحت يتذكران الماضي بما فيه من إرسال الخطاب لها عن طريق المدرسة وقيام الناظرة بتوبيخها وإحضارها لوالدها وفصلها أسبوعين عن الدراسة.

"كانت قوية وصريحة وعزمي كان ينهار أمام قوتها وإصرارها ونظراتها الجريئة التي تشبه الديدبان اليقظ المتحفز" (١) .

ثريا رأته وهي تبسم واستقبلتني وترحب لي مدت يدها لتصافحني لكنني يدي كانت أسبق من يدها (٢) .

١ . المرجع السابق، ص ٢٨٧ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٩٥ .

تلخيص رواية (السد الأخير)

بدأ العهد التاريخي لهذه الرواية من الثلث من القرن السادس الهجري إلى نصف الآخر للقرن السابع الهجري، لما انتشر الدين الإسلامي في صحراء العرب وقام أهل البدو بنشر ثقافة الإسلام في العالم، وتركوا عبادة الأوثان وهكذا استطاعوا وفازوا برفع راية الإسلام على قصور كسرى وقيصر.

ومع ذلك بدءوا يفتحون بلدان كثيرة بسبب سرعة فرسهم وفتحوا بلاد الهند من الشرق وبلاد أسبانيا من الغرب، وكانت هذه ثورة وانقلاب منور ومثير للمسلمين، ولكن بعد ستمائة سنة ظهرت ثورة مظلمة في صورة راعي صحراء كوب، وكان اسم ذلك الراعي تموجن الذي اشتهر فيما بعد اسم جنكيز خان، فانتشرت قبائل منغوليا التتار بقيادته في أنحاء العالم لتطفئ نور وثقافة الدين الإسلامي لتحتل جيوش جنكيز خان على عدة بلاد من الشرق والشمال، ولذا استطاعت جيوش التتار الاستيلاء على بلاد المسلمين بعد سنوات قليلة نتيجة ضعف نور الإيمان في نفوسهم.

وفي الوقت نفسه استفاد سلاطين السلاجقة من ضعف الخليفة العباسي من طرف، ومن طرف آخر هزموا الحكومة البيزنطية في سنة ٤٦٣ هـ واستولوا على بلدانهم الكثيرة إلا أنها انقسمت إلى أجزاء كثيرة بعد وفات ملك شاه، وفي سنة ٤٩١ هـ غلبت النصرانية على تلك البلاد، وتقريباً بعد خمسين سنة ظهر عماد الدين زنكي الذي اجتهد ليعطي الإسلام عظمتها مرة ثانية ولكنه لم يظفر بذلك وفي السنة ٥٨٢ هـ استطاع صلاح الدين الأيوبي بإعادة عمدة الإسلام وشأن العالم الإسلامي، مثل شباب المدينة أحم بن حسن الذي أراد إعلاء رؤية الإسلام بدلاً من الصليب فرحل إلى فلسطين وكان القائد هناك من زب تركي فانضم إليهم، وكذلك انضم معه الجندي يوسف بن ظهير فأخذه أحمد كصديق حميم له.

كان شوق يوسف للجهاد لا يدعه يخاف ولا يبالي بالمخاطر لذا حاول صعود على السور من مساحة بعيدة، وعندما رأى صلاح الدين الأيوبي ذلك المنظر تحير وفكر بإعطاء سيفه لهذا الصبي إذا نجح، إلا أن مقصد يوسف لم يكن الصعود على السور بل الوصول

إلى الصليب على البرج، فأراد شباب آخرين تقليده في الصعود على السور، فأثناء ذلك قال صلاح الدين الأيوبي: هو يستحق فرسي، فأما يوسف فكان يبارز مع ثلاثة سيوف في وقت واحد، فكسر الصليب نتيجة لذلك عيّنه سلطان صلاح الدين واليا على المدينة.

دخلت جيوش المسلمين في القلعة، وعندما وصل صلاح الدين إلى ذلك البرج الذي فتحه يوسف، فيخبر أحمد صلاح الدين عن رغبة يوسف برفع علم الإسلام على البرج، ثم ينصب العلم الإسلامي على ذلك بمساعدة يدي يوسف المجروحتين، ثم يخبر يوسف أحمد عن رغبته الرابعة، وبعد يسكت سكوتاً أدياً (يلقي ربه).

أعطى صلاح الدين الأيوبي بعض النقود وسيفه لأحمد بن حسن ليسلمه لزوجته يوسف (زاهدة) ولابنه (طاهر) فيرحل أحمد بن حسن مع محسن إلى بغداد، وعند الوصول إلى بغداد يعلم بخبر وفاة زوجة يوسف، وأن ابنه طاهر في بيت محسن عند زوجته، فيأخذه معه إلى بيته ويربيه هو وزوجته تربية صالحة كابنهما طلحة وأمين، إلا أن طلحة يستشهد في بغداد بعد فترة من الزمن ويعيش طاهر مع أمين، وبعد فترة يتركه ويرحل إلى بغداد مع زيد وبعض الجواهرات وسيف صلاح الدين، وعند الوصول إلى بغداد أقيما هو وزيد في بيت القاضي فخر الدين لعدة أيام.

اجتهد علماء بغداد بانضمام طاهر إلهيم ولكنه أنكر ذلك، يشترك زيد في المحادثات التي انتهت بالجدال، فيستدعي رئيس وزراء بغداد طاهر عنده فيلتقي طاهر هناك مع قاسم الذي بارز معه ليحصل على سيف صلاح الدين الأيوبي.

أتى عبد العزيز إلى طاهر برسالة قائد الجيش بأنه إذا لا يستطيع مقابلة قاسم فسوف يعطيه الفرس ليستطيع الخروج من بغداد، ولكن طاهر بفضل المبارزة بدلاً من الخروج من بغداد، رأى جميع الحاضرون بأن طاهر هزم قاسم أولاً ثم هزم أستاذ قاسم (لوكس) وعندما دعا رئيس الوزراء طاهر عنده في وقت الليل تخبره صفيّة عن مؤامرة قاسم ضده ولكنه لا يصدقها ويخرج مع عبد العزيز وأصدقائه للصيد، ينظم قاسم مؤامرة للهجوم عليهم وعندما تسمع صفيّة كلام قاسم تذهب إلى طاهر مرة أخرى لتخبره عن مؤمراته ولكن طاهر لا

يصدقها للمرة الثانية، بل عبد الملك يصدق كلامها، ويهجم قاسم على طاهر ومن معه ولكنه يهزم، وعندما علم رئيس الوزراء ما فعله قاسم بطاهر فيظهر رغبته بتعيينه سفيراً له. علم طاهر من سفير علاء الدين بأن وحيد الدين رئيس الخاروجة مختفي وإنه كتب رسالة لجنكيز خان بأنه إذا استولى على بلاد خوارزم بأن بغداد لن تقف معه ولن تساعد على ذلك، ولكن طاهر ينكر ذلك بأن الخليفة ورئيس الوزراء ليسوا مشاركين في هذه المؤامرة وإنه سيطلب من رئيس الوزراء بكتابة الرسالة في حماية بلاد الخوارزم، وبعد الحصول على الرسالة من رئيس الوزراء يرحل نحو قراقوم، وقبل ان يرحل طاهر يخبره أصدقائه عن رئيس الوزراء الخاروجة الحالي (مهلب بن داؤد) بأنه رجل خطير فعليك أن تحتاط منه، ويرحل مع طاهر ثلاثة رجال فيلتقي طاهر مع جنكيز خان ويسلمه الرسالة، ولكن مترجمه يغير حديث طاهر، فيحزن طاهر على ذلك، وأثناء الرجوع يقف طاهر في ماورزم يقف ليسأل من الثلاثة الذين ذهبوا معه برسالة إلى جنكيز خان، فسألهم طاهر عن تلك الرسالة ولكنهم يغيرون الموضوع عندما يرون جندياً من خوارزم، فقبض عليهم الجندي من خوارزم وقبض على طاهر معهم.

بعد أن سمع الحاكم الأعلى (تيمور ملك) لقوقند حديث طاهر، قال له بأن الملك المعظم سيحكم في هذا الأمر، فيحكم بقتل طاهر وأصدقائه أمام الناس، ولكن الله نجّاهم من هذه المصيبة حين حملت التتار على قوقند، وعندما سمع تيمور عن اعتقال طاهر يطلق سراحه، ويأذن له بالفرار إلى بغداد ولكنه يرفض بل يساعد تيمور الملك، حتى كان معه إلى آخر اللحظات.

وعندما أحس طاهر بأن منطقة نابو لن تفتح سريعاً بسبب وسعة النهر فيعطي تيمور مهام فتح نابو لنائب عنه، ويرحل بنفسه إلى طرف آخر، يفر طاهر إلى مكان آمن بعد أن قتل عدداً كثيراً من التتار، وعندما يصل إلى مكان آمن يذهب طاهر إلى أحد البيوت ويؤذن هناك فيصلي وعندما تسمع فتاة (ثرثيا) صوت الأذان تذهب إلهي مع أخيها الصغير (إسماعيل) فيأخذانه إلى سرداب بيتها وهناك يقتل طاهر ثمانية من التتار، ثم يرحل مع الفتاة (ثرثيا) وأخيها الصغير (إسماعيل) ليوصلهما إلى بلخ، وفي طريقه يلتقي مع قائد

المسلمين تيمور الملك ويتحدث إليه فيبيت هو ومن معه في خيام المسلمين ليلة واحدة، وفي الصباح يرحلون نحو بلخ، وهناك عرض أهل بيت (ثريا) له (ثريا) فرضى طاهر على ذلك، ولكن بعد أن يكمل مسؤولياته.

يرحل طاهر إلى بغداد، ويلتقي بأصدقائه القدامى ويخبرهم عن أحداث سفره، ويلتقي رئيس الوزراء، وأخبره عما رآه، وما قال له جنكيز خان، وبعدها أبدى طاهر رغبته بمقابلة الخليفة ليحذه عن الخطر القادم، ولكن رئيس الوزراء رفض له ذلك فخرج طاهر من عنده متأسفاً.

يخطب طاهر في المسجد ليخبر الناس عن أحوال المسلمين في خوارزم ويحثهم على الكندارتوا من مفاجأة المسلمين في المنصورة.

وحدثت مباراة رهيبه بين قطز والكندارتوا، أظهر فيها قطز شجاعة نادرة إلى أن قتل الكندارتوا، وفي ذلك الوقت وصل ملك فرنسا (لويس التاسع) بعد قتل أخيه الكندارتوا وصمم على الانتقام، ولكن المسلمين اجتمعت صفوفهم، حتى مزقوا صفوف الأعداء، فخلال الحرب قدم توران شاه إلى القاهرة، فقويت شوكة المسلمين، واستولوا على سفن كثيرة للعدو وحاصروهم حتى ضاقت نفوسهم فأحرقوا مراكبهم، وأسر عدد كبير من العدو وعلى رأسهم ملكهم (لويس التاسع).

يقع شجار بين توران شاه والملكة شجرة الدر لأنه توعدا بالقتل مما أغضب ممالك أبيه فقتلوه وتولت شجرة الدر الحكم بمساعدة عز الدين وغيره من المماليك.

طمع أمراء البيت الأيوبي في البلاد التابعة لسلطان مصر وعلى رأسهم الملك الناصر وخاصة بعد قتل توران شاه وإنكار الخليفة العباسي بأن يتولى الحكم امرأة، فأسرعت شجرة الدر بالتنازل عن الحكم لعز الدين أيك ولقب بالمعز.

لم يتم الأمر طويلاً للمعز بتولية عرش السلطان بدأ الناس بالرفض بتولي عز الدين مقاليد الحكم لكونه مملوكاً، فيجلس أمير صغير (الملك موسى) على عرش السلطان لكونه من أمراء البيت الأيوبي وهو الملك أشرف ليكون شريكاً للمعز في الملك فحدث تنافس كبير بين المعز أيك وأقطاي على حب شجرة الدر، وأخذت هي تثير بينهما الصراع،

وأخذت تشعل نار الصراع بينهما وانتظرت لتأكد أيهما الأقوى وتتزوج من عز الدين أيبك وتطلب منه بعزل السلطان الصغير وإلقائه في السجن لأنها لا تقبل نصف ملك وحقق لها أيبك ما أرادت، فهذا مما أغضب فارس الدين أقطاي ويتزوج من ابنة عز الدين أيبك، ويطلب من الملكة شجرة الدر بترك قلعة الجبل لأن ابنة الملك أحق بها.

فبدأت شجرة الدر بتدبير المؤامرة للتخلص من أقطاي، فدعت شجرة الدر (قطر) ووعدته بأن تزوجه جلنار إذا قضى على أقطاي، ويخلص البلاد من شروره ومفاسده، وأنقذ قطر الخطة بإحكام وقتل أقطاي، فأصبح نائب السلطان وتزوج جلنار مكافأة له على جهوده في تخليص البلاد من شرور أقطاي وجماعته.

وبعد زمن قصير ينشب خلاف بين السلطان معز وشجرة الدر، بسبب زوجته الأولى وابنه، وأخذ كل منهما يفكر في الخلاص من الآخر بطريقة القتل.

علمت شجرة الدر أن المعز عازم على إنزالها من القلعة، فقررت أن تتظاهر بالخضوع له، والتنازل عن مطالبها، وأنها ندمت على كل شيء فأطمأن المعز لذلك ولكنه لم يكن يعرف بأنها تدبر قتله، فدبرت خطتها لقتل المعز ليلاً، حيث يقتل المعز على يد خدم الملكة امتثالاً لأمرها، مما أغضب مماليك عز الدين وقبضوا على القصر وعين نور الدين علي الملقب بالملك المنصور الذي كان عمره خمسة عشر سنة ملكاً على البلاد فظل خوارزم في شاطئ بحيرة خزر إلى أن مات".

بدأ جلال الدين بمحاربة التتار مع عدد قليل من الجنود، فاستولى على مدن كثيرة من والطرف الآخر يخرج طاهر مع ألف راكب لى مرو من بغداد لمساعدة خوارزم، ولكن في الطريق رأى طاهر ومن معه بأن التتار قد أحاطوا جيش المسلمين، وكان هذا الجيش لجلال الدين وكان تيمور مع ذلك الجيش، وفي غزني التقى جلال الدين بأمين الملك مع خمسين ألف جندي، وكذلك اتصل بهم سيف الدين مع أربعين ألف جندي، يرحل طاهر إلى السند بعد قيامه في غزني لعدة أيام فخطب الناس يحثهم على الجهاد والانضمام في جيش الملك، فبانضمام الناس في جيش الملك ازداد جيش جلال الدين قوة الذي واجه

جيش التتار فهزمهم فشاع خبر نصرهم بسرعة، ولكن لسوء الحظ يفترق بعض قواد جلال الدين بسبب الشجار الذي دار بين أمين الدين ملك وسيف الدين على أموال الغنيمة، فلما سمع جنكيز خان خبر الشجار في جيش جلال الدين هجم على جيش جلال الدين إلى أن بلغ جلال الدين إلى شاطئ نهر السند وخاض فيها مع فرسه إلى أن نجا للطرف الثاني منها، إلى أن وصل دهلي واستقر خارجها وأرسل عين الملك وظاهر إلى سلطان شمس الدين التمس لطلب المساعدة، فوافق السلطان شمس الدين ولكن بشرط أن يرحل جلال الدين إلى بغداد ويحضر معه الجيش إلى بلاد السند، حفاظاً على أرواح الناس فيها لأن السند لا يسكنها المسلمون فقط بل هناك أناس من الديانات الأخرى، وهناك يلتقي طاهر بعد الرحمن وثريا فيتزوج طاهر مع ثريا ويخبرها عن صفيه ويعطيها الخاتم التي أعطته إياها صفيه، وبعد زواجه يأتي تيمور الملك إلى دهلي، ويقيه كسفير لخورزم شاه.

فلما سمع جلال الدين جواب الخليفة استعد للرحيل إلى بغداد، ولكن طاهر لا يطمئن من طرف الخليفة، فيرحل طاهر إلى بغداد ويرحل معه عبد الرحمن نحو المدينة، وفي الطريق فتح جلال الدين بعض البلاد التي كانت قد خرجت عنه، ولما اقترب جلال الدين من بغداد أشار عليه تيمور ملك أن يقف في الخارج لعل الخليفة يرضى أن يستعين ملك خارج البلاد فاستقر خارجها وكذلك أشار بالحصول على معلومات لمعرفة الأحوال داخل بغداد، فأرسل جلال الدين طاهر وعبد الملك لهذا الأمر.

وبعد إصرار رئيس الوزراء كتب الخليفة رسالة إلى جلال الدين ليدعوه إلى بغداد، فقبل جلال الدين الدعوة، وكان رئيس الوزراء قد تأمر مع مهلب بن داؤد بتسليم جلال الدين إلى التتار، وأخبر ابنة أخيه صفيه عن ذلك، فأرادت صفيه أن تبلغ هذا الخبر لطاهر وعبد الملك، فتخرج صفيه لتخبر طاهر عن المؤامرة ولكن في الطريق يلحق بها الأعداء، وكان من بينهم أفضل صديق طاهر وعبد الملك، إلا أن صفيه تنجح بإبلاغ الخبر لهما ولكنها تخسر حياتها، فيقتل عبد الملك (أفضل) بسبب غدره معهما.

وغير طاهر وأصحابه قصد بغداد، ورجعوا إلى جلال الدين وأخبروه عن المؤامرة وكان معهم ألفين وخمسمائة جندي فقط، فأثناء ذلك خرج عشرون ألف جندياً من بغداد بقيادة

قشمور، وفي الطريق صادف جلال الدين وجيشه مع عشرة آلاف جندي بقيادة مظفر الدين فبعد المبارزة القليلة وضع جيش مظفر الدين أسلحتهم وسلموا أنفسهم، فلما يئس السلطان من بغداد رحل إلى تبريز، وما أن سمع المسلمون عن انتصارات جلال الدين اجتمعوا تحت لوائه حتى كثر عدد جنوده، خاصة بعد وفاة الخليفة ناصر الدين فأرسل جلال الدين طاهر وعبد الملك مرة أخرى إلى الخليفة لإرضاء الخليفة للجهاد وعندما رضي الخليفة لذلك رجع طاهر وعبد الملك إلى جلال الدين بخبر حسن فأشار عبد الملك على طاهر بالذهاب إلى مكة ليرغب المسلمين هناك الذين قدموا من أنحاء العالم إلى الحج.

ومن الطرف الآخر هاجم جلال الدين على أذربيجان واحتل على مدن كثيرة، ثم رحل نحو كوجستان وتفليس وهناك علم بغدر براق حاجب في كرمان فخرج إليه لمعاقبته ولكن براق تأسف وطلب العفو، ثم رحل السلطان إلى الأصفهان هناك علم الخليفة طاهر بعزل وتعيين الخليفة مستنصر مكانه وبعدها رحل السلطان إلى تبريز فعلم بتتار إلى (ري) وقبل الوصول إليها واجهت جيش جلال الدين التتار في مبارزة حتى اضطر التتار بالرجوع، إلا أن فرار غياث الدين مع جيشه عن ساحة الحرب أحزن السلطان، وأمر جيشه بالرجوع، لذا تابع التتار السلطان إلى أصفهان ولكنهم رجعوا بعد علمهم بوفاة جنكيز خان. أخبر طاهر السلطان بأنه أخذ اليهود من مصر، ومراكش، والشام، ومن الحكام لأجل المساعدة، فأمر السلطان بالرحيل إلى الهند بعد الشام ويذكر السلطان التمس عن وعده ومن جانب عبد الملك أطلعه على مساعدة الخليفة له إلا أن عبد الملك كان في ريب، بأن الخليفة يخاف من مساعدة السلطان أمام الناس، وقال له بأنه سوف يعلن عن الجهاد إذا رضي العلماء لذلك، فاجتهد عبد الملك بحث الأمراء للجهاد ولكن بلا جدوى، فكتب عبد الملك رسالة إلى جلال الدين وطاهر ليخبرهما بالتفاصيل كلها، وكان السلطان جلال الدين منتظراً قدوم جيش بغداد ولكن الرسالة أحزنته كثيراً فسمح لأصدقائه بالذهب، وعندما رجع عبد الملك من بغداد التقى بطاهر الذي كان ذاهباً إلى الهند فحزن على ما رآه في بغداد وفي جيش السلطان جلال الدين.

ومن الطرف الآخر علم طاهر أن أهل بغداد قد تعاهدوا مع التتار بتعيين مهلب بن داؤد رئيس الوزراء، اجتمعت جيش التتار في همدان، التي كانت قد استعدت لمهاجمة بغداد، وعندما وصل طاهر إلى بغداد وخطب في الناس وأخبرهم بأن بغداد في خطر قريبة من الغرق والدمار، وبعدها توجه طاهر إلى قطز فقبض على مهلب بن داؤد، ووالي المدينة، وحارس السجن، وكذلك على قائد الجيش قشموور، وأذاقهم أشد العذاب بحيث قتل قشموور وغرق مهلب بن داود، ووالي المدينة، وحارس السجن في البحر بعد شدهم بالحجر.

وبعد ذلك رحل طاهر مع زوجته وأطفاله وأصدقائه إلى الهند وهناك تعلم الأولاد طاهر القتال بالسيف، ومال هو نحو تبليغ الرسالة (الدين الإسلامي) فاعتنق عدد كبير من غير المسلمين للإسلام.

بعد مرور عدة سنوات كان هولاکو حفيد جنكيز خان حاكماً مكانه، وكان خليفة المسلمين المستعصم خليفة على بغداد، ولما سمع طاهر عن تولية مستعصم لحكم فأحس بخطر إنهدار بغداد، وفي السنة الثالثة من خلافته حملت التتار على بغداد، وكان وزير الخليفة ابن علقمي أشار عليه أنه لا حاجة إلا إلى ثلاثمائة جندي فعزل جميع إلى قليلاً منهم، فاستولى هولاکو خان على بغداد، وقتل عدداً كبيراً من المسلمين إلا أن أربعمائة ألف من أهل بغداد استطاعوا النجاة بأنفسهم من بغداد، ولما رأى هولاکو أن بعض الناس لا يزالون مختبئين تحت الأرض فخرق ضفة نهر دجلة وأغرق بغداد ولما رجع هولاکو خان عن بغداد لم يكن هناك سوى الكلاب والطيور، وكان أهل بغداد قد حصدوا ثمرة ما زرعوا.

..

الفصل الثاني

عرض وتلخيص "النداء الخالد" و
"حكاية مجاهد".

عرض وتلخيص "النداء الخالد" و "حكاية مجاهد".

عرض وتلخيص (النداء الخالد)

قسم الكيلاني رواية (النداء الخالد) إلى قسمين:

الأول: في جحيم الحرب ويحتوي على أربعة عشر فصلاً والقسم الثاني طوفان الثورة ويشمل على تسعة فصول.

والرواية تجري أحداثها في مصر ابتداءً من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة ١٩١٩ م، ويبدو أنه وفق في تقسيم الرواية إلى قسمين وركز في القسم الأول منها على الحرب، ومعاملة الإستعمار مع المصريين وتأثير الإستعمار والحرب والفقير على أخلاق الناس وسلوكياتهم. وأما القسم الثاني (طوفان الثورة) تكلم فيه الكاتب عن قيام الشعب المصري للأحرى من الإنجليز وكانت هذه الثورة على مستوى مصر وكان وراءه الشعب دون الحكومة وكان هذا الطوفان - كما يسميه الكاتب - ينطلق عشرات السنين دون كلل أو ملل. إنه له غاية ولا بد أن يحقق غايته وتتصدى للطوفان قوى الشر والغدر وتدور المعارك الدامية العنيفة ولا يبلغ الطوفان مجراه الأصيل إلى في عام ١٩٢٥ م - قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥ م - ويستطيع القارئ أن يجد أنواع عديدة من الشخصيات في الرواية، مثل: عبد العزيز شلبي وابنه أحمد، الشيخ عنبه، العمدة خلاف عبد المتجلي، وهؤلاء كلهم ممثلين للشعب، رجال الحكومة وهم في ركاب الإنجليز يساعدهم في تنفيذ أوامرهم مثل تجنيد المواطنين وإرسالهم إلى سيناء، وجمعهم للمواشي والحبوب من أهل القرية (شر شابة). وقواد الإنجليز مثل.

والوفاد اليهودي الخواجة يني، الذي يستغل فقر وجهل أهل القرية في زيادة ثروته ونجح في نشر الربا والخمر بين أهالي القرية. والقاتل المحترف خفاجة.

وخلاصة القول يمكن تقسيم الشخصيات إلى طائفتين: الأولى: الشعب المتمثل في عبد العزيز شلبي، خلاف عبد المتجلي، الشيخ عنبه، أحمد شلبي، صابرين عبد المتجلي.

والثانية: الإنجليز ورجال الحكومة، اليهودي خواجة يني، ويظهر أن الكاتب قد نجح في توظيف أفكار وأقوال السيد جمال الدين عن طريق الشيخ عنبة وعرف الأفغاني بعباده وكرهيته للإستعمار الإنجليزي واستخدمه الكيلاني رمزاً للحرية، وحينما يعبر الشيخ عنبة عن أقواله يكرر هذه الجملة (يقول حبيبي) والمقصود منه (الأفغاني) إن الأزمة تلد الهممة^(١).

والهدف من (النداء الخالد) هو نداء الحرية، وقد حرصت الرواية على تصوير المجتمع المصري الريفي من الداخل في تلك الفترة حيث انتشر بعض الأجانب (الخوارجات اليونانيين) في القرى واستولوا على الكثير من الأراضي الزراعية عن طريق نشر الربا وغرس بذور الفساد الأخلاقي وخاصة الخمر والمخدرات، والقاسم المشترك بين (النداء الخالد) و (عمر يظهر في القدس) هو إستفادة من التاريخ حيث أن كليهما تأتي تحت قيد الرواية التاريخية، ومن الرموز الإسلامية هما عمر بن الخطاب والأفغاني.

ويعكس الكيلاني أحياناً الجانب العاطفي بين رواياته وهو ما فعله عنا في روايته (النداء الخالد وأهل الحميدية) حيث أنكرت صابرين الزواج من خطيبها السابق ابن خالها، ورغبت في الزواج من أحمد شلبي لما رأت أعماله البطولية في المظاهرات التي تخرج من الجامعات، ويضطر والدها بفسخ خطبتها ويقول لخطيبها السابق:

إذن فثق أنني لن أزوجك ابنتي..^(٢).

وأما في (أهل الحميدية) يتخلى عبد المغيث عن خطيبته (رحاب عبد الباقي) بعد انتظار طال ثلاث سنوات (كانت قصة خداع طويلة امتدت ثلاثة أعوام أو أقل قليلاً..). ويفهم من هذا أنه لا يهتم بالقضايا العاطفية ويتطرق إليها كأداة التسلية، وحتى لا يشعر القارئ بالملل والكآبة.

^١. تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص ٦٩ .

^٢. النداء الخالد، نجيب الكيلاني، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٩ م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ص ٢٠٣ .

عرض وتلخيص لرواية (حكاية مجاهد)

هذه أول رواية تاريخية لنسيم حجازي، وهذه الرواية طبعت في سنة ١٩٤٣ م وحصلت لها شهرة، وفي تلك الأيام كان نسيم حجازي يسكن في كويته، وكان محمد شريف وقسم الصحافة سبباً لشهرتهن وفي أيام دراسته كتب رواية قصيرة باسم (شودر) لرغبته في كتابة عن الثقافة الهندية ولكنه كتب أولاً (حكاية مجاهد) نظراً إلى متطلبات عصره وكان راغباً إلى التاريخ منذ طفولته، كان نسيم حجازي كثير المطالعة بكتب (الشبلي) لذا اختار موضوعات لرواياته من التاريخ.

تتعلق وقائع هذه الرواية ببداية عهد تاريخ الإسلام خلال ٧٥ - ١٢٥ هـ تبدأ وقائع هذه الرواية من أسرة بصرية في العراق، وكانت تعيش معها فتاة (عذراء) استشهد أبوها في الجهاد، ولم تبق أمها حية بعد هذه الحادثة، فبدأت تعيش مع امرأة، لها ابنان "عبد الله ونعيم" يجتازان مراحل حياتهما مع (عذراء) في نفس البيت وكانت العلاقة بين عذراء ونعيم مبنية على البساطة والألفة منذ نعومة الأظفار بينهما، وأما علاقة عذراء مع عبد الله مبنية على الحياء والكلفة.

فبعد الدراسة الابتدائية يلتحق عبد الله بمدرسة لتعليم فنون الحرب والترابي الحربية خارج المدينة، فبعد فترة قليلة يشترك الأخ الأصغر نعيم أيضاً إلى الحصول على فنون الحرب فيصل نعيم إلى مدرسة أخيه فانهقد محمد بن قاسم مبارزة السيف ولكن بعد نهاية المبارزة ينكشف بأن خصم نعيم هو أخو عبد الله ولم يكن غيره، وبعد أن تفرغ عبد الله ولم يكن غيره، وبعد أن تفرغ عبد الله من التعليم والتربية من مدرسة تعليم فنون الحربية أراد أن يلتحق بالجيش للجهاد، فيذهب عبد الله إلى بيته ليستأذن أمه قبل ذهابه للجهاد، وكانت عذراء التي كانت في عالم شبابها تستحي منه أكثر من السابق، بدأت تهتم بأمه بعد ذهابه للجهاد وعندما عاد عبد الله من الجهاد يأتيه خاله سعيد ويوصيه بالزواج من عذراء، ولما عرف نعيم هذا الخبر بدأت الهموم تحيطه فيحس عبد الله عما يريد نعيم فيقترح على خاله سعيد بأن يزوج عذراء من نعيم بدلاً منه، وعندما يصل نعيم إلى البصرة يخبره صديقه بأن الجيش

سيرحل بقيادة محمد بن قاسم لمقاتلة حاكم السند، ولكن هناك رجل في البصرة اسمه ابن الصادق الذي يحاول أن ينفر الناس من الجهاد مع الجيش، فيذهب نعيم إلى المسجد الذي يخطب فيها استاذة ابن عامر وبدأ يدعو الناس بأن يشاركوا في الجهاد لمقاتلة حاكم السند، فأثناء ذلك يقوم ابن صادق ويحرض الناس بعدم المشاركة في الجهاد، فبدأ الناس يتخاصمون في المسجد ولم يراعوا الحدود الأدبية والمقدسة للمسجد، فأثناء ذلك جلس نعيم على المنبر وبدأ يتلو القرآن إلى أن سكت الناس كلهم فبدأ نعيم يلقي الخطبة مرة أخرى ويذكر الناس بأهمية الجهاد وفضله، فيحاول ابن الصادق مرة أخرى بتحريضهم عن الجهاد ولكنه لم يظفر ولم يستطع تحريضهم ولم يدم طويلاً في المسجد بل فر منه .

بدأ الناس بالاستعداد للجهاد، فيشاور محمد بن قاسم نعيماً وسعيداً في وقت متأخر من الليل بخطة الحرب ولما انتهت المشاورة أراد نعيم أن يذهب إلى بيته مع خاله ولكن محمد بن قاسم يأخذه معه، وفي أثناء الرحلة يمر نعيم قريباً من مدينته ولكنه يرجح السفر إلى السند على الذهاب إلى البيت، وفي البصرة تنتظر عذراء مجيء نعيم وهي قائمة على تلال قريبة من البلدة يوماً بعد يوم ولكنه لم يأت.

وإلى جانب آخر تحاصر جيوش المسلمين السند مدينة ديبل بقيادة محمد بن قاسم وبدأ جيش المسلمين يرمي الأحجار حتى تكسر السور والأصنام الموضوعة فيفر حاكمهم إلى برهمن بباد ويطلب من الحكام وأمراء الهند بمساعدة عسكرية لمحاربة الكفار، فيعبر محمد بن قاسم نهر السند ويلحقه جيش الكفار تلك الأفيال التي بدأت تبتد وتنصر المسلمين، فيقوم خال نعيم "سعيد" بمظاهرة شجاعة لحماية المسلمين حيث استشهد، وعندما أراد نعيم أن يدفنه رأى رسالة في جيبه فأخرجه وآراه محمد بن قاسم فطلب قراءة الرسالة بعد الاستئذان منه فيشير عليه محمد بن قاسم بالرجوع على الفور ويجمع مزيداً من القوات، فيستعد نعيم للعودة لجمع مزيد من القوات وأثناء سفره يلتقي نعيم برجل الذي بدأ السفر معه ولكن الرجل يخدعه ويضل طريقه ويطعمه طاماً مخدراً مما أدى نعيم إلى الغيوبة.

ولما أفاق نعيم من الغيبوبة يجد نفسه في حجرة مظلمة يهياً له فيها الطعام والشراب كل صباح ومساءً، وعندما أراد نعيم أن يسأل عن الأشياء الكثيرة ولكن لم يجد أحد لإجاباته.

عُرِضَ نعيم على ابن الصادق تحت ظلال السيوف المسلولة فيعرض عليه ابن الصادق بترك الجهاد والتعم بالدينيا بانضمامه إليه، ولكن نعيم ينكر ويرفض طلبه، فيشد بالعمود ويجلد بالسوط وكانت هناك امرأة المسماة (بذليخا) وكانت تنظر هذا المنظر المؤلم فتلتمس من ابن الصادق بأن يرحم على نعيم ولكنه يرفض التماسها، فتذهب ذليخا من ذلك المكان، وهكذا يعنف ويشدد ابن الصادق على نعيم عدة مرات ولكن نعيم لم يتنازل عن رأيه وعن الدين ولم يقبل الدنيا.

وفي تلك اللحظات يأتي الرجل الذي قبض على نعيم وبيديه رأس مقطوع فيعرفه نعيم وكان ذلك رأس أستاذه (ابن عامر) فيرتعب قلب نعيم ويتفاجأ من ذلك فيغمض عينيه.

ما كانت حياة ابن الصادق خالية من الرغبة في اللهو والمجون فقد ولد في أسرة يهودية فتعلم لغات عديدة وعندما كان في السادسة عشر من عمره تغزل بإمرأة نصرانية اسمها (مريم) فاعتنق النصرانية لها، ولكنها أحبت أخاه إلياس فيذهبان إلى دمشق فولدت هناك بنت اسمها (ذليخا) فيعتنق ابن الصادق الإسلام ويرحل إلى دمشق وهناك يرفع قضية على مريم أمام المحكمة ولكنه يخاب ولم يفلح بذلك فيغري ابن الصادق (إسحاق) بالزواج من ذليخا، وذلك بشروط بأن يأتي برأس (ابن عامر) ففعل إسحاق ذلك، وكذلك اختطف نعيم أيضاً.

ومن جانب كان محمد بن قاسم ينتظر مجيء نعيم في حجرتة بامثال الأمر عليه ومن جانب آخر كان نعيم يتمنى حيناً بأن يطيل الليل وحيناً يتمنى بأن ينتهي الليل حتى ينام، ويرى في منامه بأن عذراء تناديه، ولما يستيقظ من منامه يرى أمامه ذليخا الت وكانت تنتظره لتهرب به فيجلسان على الفرس ويفران حسب الخطة التي خططتها، ولم بلغ نعيم بقرب مقر الجيش أراد بأن يفر بنفسه وبذليخا ولكن إسحاق يلتحق بهما ومعه عشرين جندياً وأثناء ذلك تسئل ذليخا عن (عذراء) وتطلب من نعيم بأن يذهب إلى بيته فيأمر نعيم

بعض رجال الجيش بأن يذهبوا بذليخا إلى بيتها فتطلب ذليخا من نعيم بأن يعطيها الخنجر علامة منه فيعطيها نعيم ما طلبته، فيصل إسحاق إلى نعيم بعد القتال مع بعض رجال الجيش فيتبارزان (نعيم وإسحاق) إلى أن نعيم قتل إسحاق واستعد للذهاب على بيته بعد أن ترك إسحاق ملطخاً بالدماء على الأرض ولم يدفنه.

وأراد نعيم بأن يقطع المسافة بسرعة وينضم إلى رجال الجيش الذين كانوا مع ذليخا ولكنه تفاجأ عندما وصل في منتصف الليل ورأى منظرًا مخيفاً للقلب، فقد رأى بعض الرجال مجروحين وعندما سأل نعيم أحد المجروحين بمن فعل بهم ذلك، قال له: بأنهم بذلوا الجهد كثيراً لمحافظة على ذليخا وعلى أنفسهم ولكن الأعداء كانوا أكثر عدداً منا، ويسقي نعيم الماء لذليخا ويحاول أن يخرج الخنجر من صدرها ولكنها قالت له بأنها لا تريد بأن تنفصل من هذه العلامة (الذكريات) (أي من الخنجر) أثناء الموت، فيحاول نعيم إنهاء ذليخا ومساعدتها ولكن أنظارها الملتزمة تمنعها من النهوض، فتطلب من نعيم بأن يزورها يوم الآخرة، فيطلب منها نعيم بأن تؤمن بالله ورسوله فيلقنها نعيم الشهادتين فتردها معه.

فتودع ذليخا هذا العالم بعد الابتلاء القليل بالصراع مع الموت فتساقطت دموع نعيم على وجهها فيشعر كأنها تقول له إني قد عوضتك على إحسانك يا رجل ذا شأن.

ففي اليوم التالي يستعد نعيم للذهاب إلى بيته عبد تدفين ذليخا لتطلع على أمنيات جديدة المليئة بالحقائق والذكريات المؤلمة، ولما وصل قرب مدينته يسمع أصوات الدف ونغم الزواج فيقف عند أسوار بيته بقلب خافق فقد كانت هناك مناسبة الزواج في بيته، وكان عبد الله مشغولاً في خدمة الضيوف، خرج من البيت طفلاً صغيراً فسدّ نعيم طريقه ليسأله عن الحفلة في البيت، فأخبره الطفل عن زواج عبد الله مع عذراء، ولما سمع نعيم ذلك أراد مرة بأن يدخل في البيت ويعمر عالمه ولكنه فكر مرة أخرى بأن القدر قد أقر على عبد الله بالمحافظة على عذراء، قلبي نعيم صوت قلبه، وأخبره الطفل أيضاً بأن أمه قد ماتت، فتذكر أمه مشرفاً على موتها ودعا في سجده لعبد الله ووعذراء بالتوفيق لزوجهما.

ففي اليوم التالي يرحل عبد الله إلى الجهاد ويسبقه نعيم فارساً على خيله، فيصل عبد الله إليه فيعانقان ويتبادلان بينهما وقائع حياتهم بعد انفصالهما إلى التقائهما اليوم،

فيسافران معا إلى مكان قريب، ثم يرتحل كل واحد منهما إلى جانب مختلف، فيصل نعيم إلى البصرة ومنها يرحل إلى تركستان مع حزب عسكري لالتحاق بقتيبة بن مسلم فأصبح لنعيم مكانة هامة عند قتيبة وأصبحا صديقين حميمين، فأبشرا بانتصارات عديدة في مختلف المواقف وخصوصاً في فتح بخارى بسبب اقتراحات وتعليمات نعيم.

بدأ الحكام المنهزمون بتشكيل حزب بقيادة "نزاك" وكان ابن الصادق يحرضهم على قتال المسلمين، فلما أخبر قتيبة بن مسلم هذا الخبر لنعيم فاضطرب لما سمع عن ابن الصادق فرحل نعيم مع ثلاثمائة جندياً لمعاينة وقتال ابن الصادق لكن ابن الصادق خادعه بذكائه ومكره وفاز في الفرار من نعيم وتركه مجروحاً.

فيذهب نعيم في قرية قريبة في بيت أحدهم فيها (نرجس) فيرى فيها ملامح عذراء وذليخا فيدعو نعيم أهل القرية إلى الإسلام وذلك بعد قيامه فيها لعدة أسابيع، فتنورت هذه القرية الصغيرة بنور الإسلام ولما عادت إليه صحته يودع محسنه ويرحل ليلتحق بجيش قتيبة بن مسلم، فيقسم نعيم الجيش للهجوم على تركستان إلى قسمين، وعندما مر نعيم قريباً من القرية رأي (نرجس) وزمرد عند النبع حيث كانت نرجس مريضة وحزينة على فراقه، فيسألهم نعيم بالانضمام إلى جيشه، فيضم بعض الناس من تلك القرية بجيشه، فيفتح جيش المسلمين من تركستان إلى كاشغر، فيرسل نعيم اقتراحات الصلح مع حاكم الصين ولما رجع نعيم من الصين يذهب إلى قرية حيث تنتظر فيها نرجس له فتتحير نرجس بمودة نعيم وخلوصه فيرتبطان بعلاقة الزواج، وبعد قيام لمدة أسبوع في القرية أراد نعيم أن يرحل إلى بصرة ولكن قتيبة يحضر إليه ويخبره عن وفاة خليفة المسلمين (الوليد بن عبد الملك) واستيلاء (سليمان بن عبد الملك) على الحكم، وإن خليفة المسلمين الجديد (سليمان بن عبد الملك) أراد بأن يلتقي مع كل قائد الجيش الذين عينهم الحجاج، وكذلك أخبره عن مقتل محمد بن قاسم، ويأمره بالذهاب مع القواد الآخرين إلى دمشق لملاقاة الخليفة (سليمان) يرتحل نعيم مع نرجس وزمرد ومعهم بعض رجال الجيش إلى دمشق للقاء مع خليفة المسلمين ويخبره نعيم عن شجاعة قتيبة ويريد منه بأن يزيل سوء التفاهم ولكنه يفاجئ عندما

يرى ابن الصادق جالساً عند الخليفة ويأمر الخليفة بالقبض عليه فيقبض الخليفة على نعيم ويسجنه.

وأما من الجانب الآخر ينال عبد الله انتصارات في أسبانيا فذات يوم يطلب عبد الله في بلاط الخليفة ليأمره الخليفة بالرحيل إلى قسطنطينية مع خمسة آلاف جندياً، وأثناء عودته من بلاط الخليفة يتصل به صديقه (يوسف) ويخبره عن أسر (نعيم) فيعرف عبد الله بأن نعيم هو أخوه الأصغر، فيدبر الأمر لتخلصه من الأسر وأثناء ذلك يقبض عبد الله على ابن الصادق ويغلقه في الصندوق من الحطب ويرسله إلى قسطنطينية في المواد التموينية على ظهر بعير، ويطلب عبد الله من نعيم وnergس ويوسف بالرحيل إلى قيروان وقرطبة وطليلطة ويشتركون في الجيش هناك مع تغير أسمائهم للمحافظة على أنفسهم.

يحبس عبد الله ابن الصادق في مكان ويذهب إلى معسكر الجيش، فيقتل بابن الصادق زياداً بعد ذهاب عبد الله مقيداً بالسلاسل ويطلب الخليفة من ابن الصادق بأن يقود الجيش بنفسه إلى القسطنطينية وأثناء ذلك يموت الخليفة سليمان ويتولى الخلافة (عمر بن عبد العزيز) ويستبشر الناس بالعدل والإنصاف للمظلومين، فيخلص عبد الله من الأسر كما خلص الأسرى الآخرين ويخبر عبد الله أمير المؤمنين عن صدق نعيم وعن مكر وخداع ابن الصادق فيأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بتولي نعيم على البرتغال وإرسال ابن الصادق إلى دمشق مقيداً بالسلاسل، ويؤمر عبد الله بأن يستلم مهام المنصب في خراسان بعد شهر، ومن جانب آخر يطلب حاكم أسبانيا بإرسال نعيم إلى جبهة جديدة، وأثناء ذلك يأتي ابن الصادق في أسبانيا ويطلب نعيم في محكمته بعد قيده فيخرج نعيم سيفه ويضعه على صدر ابن الصادق ولكنه لم يقتلهم لأن أثناء ذلك وصلت الرسالة من أمير المؤمنين بولاية نعيم وإرسال ابن الصادق إلى مشق مقيداً بالسلاسل، وخلال السفر ينتحر ابن الصادق بأكل السم، ويتولى نعيم قيادة الجيش لإخماد ثورة البربريين، فأثناء الحرب يسقط نعيم جريحاً ويسوء حاله رغم علاجه لعدة أسابيع، فذات ليلة ينهض نعيم من سريره ليروح إلى بيته بعزم وهمة، وعندما وصل بقرب قريته يحاط به عاصفة صحراوية، واخترق جروحه ويسيل منها الدم ويفر خيله فيقوم المجاهد نعيم ويجمع قوته وتعثرت أقدامه، فيسقط، فعندما وصل إلى بيته

فيحضر له الطبيب ولكنه لم يتحسن منه، فيسأل نعيم من ابنه وابن أخيه بعدم ذهابهما للجهاد فيردان عليه: بأننا لم نذهب لأنك مريض، فينصحهما نعيم بأنه إذا جاء أمر الله ورسوله فلا أهمية لأحد أمام أمرهما، فيستعد ابنه وابن أخيه للجهاد، فيذهب نحو الباب ليودعهما ويدعو لهما بالنصر المبين، ثم يذهب نحو التلال خارج البيت ويسجد هناك، فيغمي عليه، ثم تأتي ابنة عذراء بالماء وترش عليه فيشرب نعيم الماء ثم ينطق بالشهادتين وينام نعيم للأبد.

الفصل الثالث

عرض وتلخيص "ملكة العنب" و

"محمد بن قاسم".

عرض وتلخيص "ملكة العنب" و "محمد بن قاسم"

عرض وتلخيص (ملكة العنب)

"تعدُّ تجربة الدكتور نجيب الكيلاني -رحمه الله- مع القصة تجربة ثرية، ومحاولاته في ترسيخ قواعد القصة الإسلامية محاولات مبكرة، ورغم العثرات التي اعترضته في الوصول إلى النموذج الواضح للقصة الإسلامية، فإنه استمر في العطاء حتى أصبح رائد القصة الإسلامية الحديثة، بكثرة عطائه، وتنوع إنتاجه، وتعدد موضوعاته، ووضوح أسلوبه، وصدق تجربته".

"لقد كانت تقاليد القصة الحديثة -بمفهومها الغربي- تترك آثارها في بعض ما كتب، ولكنه مع ذلك، قدّم عدداً كبيراً من القصص، والروايات، والمجموعات القصصية المتميزة، فضلاً عن الدراسات الأدبية، والآراء النقدية في كثير من الموضوعات، والفنون المختلفة، وسيظل هذا الإنتاج موضع التقدير من قبل الدارسين والنقاد والمبدعين".

"في رواية ملكة العنب -وهي من الروايات الأخيرة التي صدرت للدكتور الكيلاني- خطأ خطوة مهمة، في إعطاء نموذج واضح وناجح للقصة الإسلامية الحديثة بكل عناصرها الفنية والموضوعية".

"وتدور هذه الرواية حول فتاة ريفية ذكية جميلة مات أبوها بعد أن نالت الشهادة الإعدادية، وترك لها قطعة من الأرض، فخرجت هذه الفتاة براعم إلى الحقل تزرع وتحصد، وتنفق على بيتها الذي يضمها مع أمها المريضة وأختيها الصغيرتين، وتنفق ذهنها الذكي عن فكرة تطوير الزراعة ليزداد دخلها، فبدأت تتحول من زراعة الحبوب والقطن إلى زراعة العنب".

"نجحت في فكرتها، وربحت كثيراً من بيع ثمار العنب، فاستأجرت أرضاً أخرى من الفلاحين، وتوسعت في زراعتها، مما جعل الفلاحين يقلدونها ويزرعون العنب، ليزداد ربحهم

ومحصولهم، وأصبحت بذلك زعيمة هذا المحصول، وزرّاعه من الفلاحين فكأنها أسست نقابة لزرّاع العنب".

كان لهذا التغيير أثره في القرية، ف وقعت بعض الأحداث، مما جعل أحد الشبان يخطب في المسجد يوم الجمعة، ويطالب زرّاع العنب بإخراج الزكاة، وحدثت بلبله بعد الخطبة، ثم تلا ذلك حدوث بعض السرقات لمحاصيل العنب من المجرمين الذين يتصيدون أوقات الفوضى للنهب والسلب.

قامت (براعم) تعلن التصدي للشاب الخطيب، لأنه - كما تظن - شجع اللصوص على السرقة بخطبته تلك، ومنعته من الخطبة في الجمعة التالية بما لها من نفوذ وذكاء.

وفي هذه الأثناء وقعت جريمة قتل، راح ضحيتها أحد اللصوص المنحرفين، حيث ألقيت جثته في أراضي براعم، فاستدعى ذلك بعض التحقيقات التي لم تصل إلى نتيجة.

ولكن أحد عملاء السلطة استغل هذه الحوادث، وبدأ يكتب التقارير التي يتهم فيها الشباب المتدينين في قرية (الربابعة) بإحداث البلبله والإرهاب، مع التخطيط للعمل ضد الدولة.

ووسط هذه البلبله التي أحاطت بالقرية، وصلت جثة أحد الشبان ممن كان يعمل في بلد عربي، مما أثار عواطف الناس، فتظاهر أهل القرية ضد حاكم هذا البلد الذي بدأ يرسل جثث أبنائهم.

ولكن السلطة الحاكمة نظرت إلى هذه المظاهرة على أنها نوع من البلبله والتحدي للسلطة فاعتقلت عشرات الشباب، ووجهت إليهم تهمة تدبير المؤامرة ضد الدولة، وقدمتهم لمحكمة أمن الدولة، بعد أن عُذّبوا، وضُربوا وأُجبروا على تسجيل اعترافات كاذبة.

إزاء هذه الأحداث تحوّل اهتمام القرية من زراعة العنب، وما يدور حولها إلى الحديث عن القتل الملقى في مزارع براعم، ثم جثة الشاب التي وصلت من الخارج،

وبعدها طغى على القرية حديث الاعتقالات والتعذيب، ولا سيما بعد أن شملت كل شاب ملتجأ أو متدين، بل طالت أحد الشيوخ الزاهدين، الذي كان بعيداً من كل هذه الأحداث.

أثارت هذه الأحداث دوافع الفطرة النقية عند براعم، فقامت تدافع عن شباب القرية، وعن الشيخ الزاهد، فذهبت إلى المدينة ووكلت محامياً كبيراً للدفاع عنهم، وإثبات براءتهم، واتصلت -أيضاً- بنائب الدائرة الانتخابية وشرحت له الأمر، فحضر للقرية، وخطب في الناس، وشجب الظلم وسياسة القمع، ولكن العسكر حضروا فجأة وجرّوه وضربوه دون احترام لمكانته، أو اعتبار لحصانته النيابية.

انتقلت المشكلة إلى مجلس الشعب (النواب) ووزارة الداخلية، فأصدرت الوزارة بياناً تنفي واقعة الاعتداء على النائب، وتتهم الإرهابيين، أعداء الشعب بالتآمر وإحداث الفوضى.

وتُثار القضية في مجلس الشعب فيرد ممثلو الحكومة والحزب الحاكم ثم يصدر المجلس بياناً يؤكد فيه الحرية، والديمقراطية، ويعد ما قيل حول النائب نوعاً من الإشاعات والمكائد التي تثيرها أحزاب المعارضة، والمتطرفون والإرهابيون المتاجرون بالدين.

أما في السجن فيجري استجواب المعتقلين الذين لا يعرفون سبباً لاعتقالهم، ويخضعون للتعذيب والضغط لكي يوقعوا على اعترافات لم يتفوّهوا بها. وأثناء التحقيق يقف الشيخ (أبو المجد شاهين) الرجل المؤمن الزاهد، متحدياً المحقق فلا يتكلم إلا بالآيات القرآنية، مما جعل الضابط يقف عاجزاً أمامه، ولا يستطيع إلا إخلاء سبيله.

بلغ الضجر مبلغه في القرية، وعجز المحامون الذين أوكلتهم براعم للدفاع عن المعتقلين عن إخراجهم من الاعتقال، فعمدت براعم إلى مقابلة المحافظ -حيث أصبحت مشهورة في المحافظة كلها- وتبرعت بمبلغ كبير لأحد المشاريع التي ستنفذها المحافظة، أملاً في أن يكون ذلك عوناً على انفراج الأزمة.

ولكن المحافظ عجز عن تنفيذ ما وعد به، فأرشدنا أحدهم إلى نائبة في مجلس الشعب، ووصفوها بأنها (واصلة) إلى أبعد مدى، ولها علاقة وطيدة بالكبار، وأنها "امرأة ولا ألف رجل" وأنها "أعوص المشاكل تحلها بدقائق، وبالتلفون" لأن "أكبر رأس ينحني لها احتراماً" فتذهب براعم إلى مكتبها الذي يغص بالمراجعين، وتعرض عليها الأمر فتطلب النائبة خمسة عشر ألف جنيه على هذه القضية، لقاء الإفراج عن المعتقلين، وبذلك استطاعت النائبة تدبير أمر الإفراج عنهم بطريقة مسرحية أشبه بالمهزلة.

يعود المعتقلون إلى بيوتهم بعدما ذاقوا من العذاب ألواناً، فتعود للقرية أفراحها، وتقوم براعم بإخراج الزكاة، ويتولى الشيخ أبو المجد توزيعها على المحتاجين، وتعيش القرية في وئام وسلام في ظل هذا التعاون والتراحم، وتبدأ في الانتعاش، فتخفي شيئاً فشيئاً - الأخطاء والمعاصي، حيث كان الشيخ أبو المجد يقول للناس: "عندما يكف الناس عن الجدل، ويبدوون العمل، يتحقق الأمل، ويسود الحب والأمان. هل هناك أعظم من ألا يبيت في قريتنا جائع بعد اليوم؟".

وأثناء المشاهد السابقة تمر أحداث الخليج، واحتلال الكويت، وما يتبع ذلك من أمور هزت المنطقة كلها، فعلق الشيخ أبو المجد - بعد أن صعقه خبر هذه الأحداث وبكى ثم جلس في بيته -: "هناك المسلم يذبح أخاه المسلم، والسماء تصبُّ الحمم على الأبرياء، والأرض تتفجّر بالنار، والعمائر والمصانع والمتاجر ينهبها المغول ويدمرونها، هناك عذارى وأيامى ويتامى يستغيثون، أليس هذا من علامات الساعة؟".

ويضيف: "هل رأيت أعجب من هذه الأيام؟ الذئب يريد أن يحكم بالعدل وينصف الفقراء. إبليس يدعو الناس إلى المحبة والمواساة، والحب والإيمان، وأعدى الأعداء يجلس على منصة القضاء ليحكم بين المتنازعين!".

وفي القرية تقع أمور تخص الناس، حيث ينهار مستشفى البلدة نتيجة إهمال الدولة في ترميمه وصيانتته، ويغتم الناس هناك لهذا الأمر، بينما تتجاهل السلطات ما

حدث، وتبني مسرحاً فخماً في البلدة، مما جعل أحد الرعاة "كشكلك" يقول لمجموعة من الحشاشين الذين يجلس معهم: "لن يحلّ مشكلة المستشفى إلا عبد الشكور!!؟" وظن الحشاشون أن عبد الشكور واحد من أصحاب الملايين فراحوا يتساءلون عنه.

فقال الراعي الحشاش وهو يضحك: "يا مساطيل!! ألا تعرفون عبد الشكور!!
فأجابوا: عرفنا يا فيلسوف الغبراء.

فقال: عبد الشكور شعلان يا بهائم -أقطع ذراعي إن عرفه أحد منكم لأنكم جهلة- إنه مندوب صندوق النقد الدولي، وهو مصري الأصل، لكنه أمريكي الجنسية".

"فسأله أحدهم: وهل الأمريكيان يسمون عبد الشكور؟

فردّ عليه الآخر -من الحشاشين-: ولم لا؟

فمدّ أحدهم النرجيلة إليه قائلاً: خذ يا بوش يا ابن مبروكة".

ويستمر الحوار بين الحشاشين حتى يقول الراعي وهو يشرح: "إن تقارير عبد الشكور هي التي تمنحنا القروض أو تمنعها.

فرد أحدهم: لأنه أصبح أمريكياً، والأمريكي رجل مصالح، ولا يعرف العواطف، ولا صلة الرحم، ولهذا رفعوه إلى المركز العالي.

فعلق أحد الحشاشين: لو كان ابن مزاج لما فعل ذلك.

فأجابه الراعي: المزاج شيء، والمصلحة شيء آخر.

فسأل أحدهم: وهل يضربون الناس في أمريكا على أردافهم كما يفعلون عندنا؟

فأدرك الراعي أنه يريد التعريض بقصة تعذيبه من قبل أمن الدولة، فضحك وقال:

أمريكا بلد العجائب، الشعب هو الذي ينكّل بالشرطة، ولكل فرد حق في

تعاطي الحشيش علناً في الشوارع، والنساء يعرضن أنفسهن بأسعار في متناول الجميع،

وبالساعة، إنها بلد الحرية يا بهائم!! حرية الجنس والمخدرات والسياسة. السجون

هناك مثل فنادق الدرجة الأولى".

ويتابعون هذا الحوار فيقول أحدهم: "صدقوني يا إخوان خير لكم ألف مرة أن تكونوا حشاشين من أن تكونوا رجال سياسة، لقد ازددت يقيناً أن الحشيش كالخبز يجب أن يحظى بالدعم".

حوار ساخر، عميق الدلالة، كثير الإيحاء، قوي التأثير.

وتمضي الحوادث، فتتكشف أسرار القتل الذي وجدت جثته في أرض براعم، ويُلقي القبض على المجرم. أما الشاب المتدين الذي خطب وطالب بإخراج الزكاة، فقد قام يوم الجمعة، وخطب في المسجد، وطالب أهل قرية (الربابعة) بتكريم ابنة القرية (براعم) الشريفة، العفيفة، الخيرة، التي صنعت للبلدة معروفاً، ودافعت عن شبابها، ومصالحها، ثم اقترح أن يخرجوا جميعاً نحو بيتها، ويقدموا لها مصحفاً هدية، للتعبير عن احترامهم وتقديرهم لها، ثم قال:

"إذا أردنا أن نحقق مبادئ الإسلام في الدولة، فلنبداً بأنفسنا وأسرنا، ثم إلى قرانا الصغيرة، ولا ننتظر انقلاباً مفاجئاً يطبق شريعة الله، فالإسلام رجال قبل أن يكون سلاحاً، ومعارك دامية، وكما تكونون يولّى عليكم".

ثم اتفق أهل القرية على التعاون، وحل مشكلاتهم بأنفسهم، أما الدولة فلم يعجبها ذلك، فبدأت تتدخل عن طريق الحزب والأمن، وتدعو الناس لوضع أموالهم في المصارف، وتتهمهم بأنهم يشكلون بيت مال للمسلمين، ولكن العمدة دافع عن القرية وأهلها، وأوضح للسلطات أن أهلها طيبون، متعاونون في سبيل الخير، ولا مقصد لهم إلا خير.

وتنتهي القصة بزواج الشاب المتدين محمد حسب الله من ابنة القرية براعم، الفتاة الذكية العفيفة، التي قاومت كل المغريات ووقفت أحسن المواقف، وكانت مثال الفتاة الشريفة.

هذه الرواية -ملكة العنب- نموذج جيد للقصة الإسلامية الحديثة، حيث تخطى فيها المؤلف حاجز التوجس والتردد، وعبر من خلالها -بحق- عن أصالة

تجربته، وأدبه الإسلامي، حيث أعطى موهبته كلها، وعطاءه الواسع لهذا الأدب الذي عرفه وأحبه وخدمه.

لقد كانت الرواية تعبيراً واضحاً عن ملامح القصة الإسلامية، ومميزاتها الفنية والموضوعية، دون خشية من النقاد الذين لا يرضون إلا بكل غريب مستحدث، أو صورة منكرة، أو أسلوب يرتدي أزياء العلمانيين.

ولقد كان المؤلف في روايته، واضح الرؤية، صادق التصور، فرسم شخصياته بدقة، وأعطاهم ملامح الحياة الواقعية بكل تنوعها، وألوانها وظروفها.

ولم ينس في أحداث القصة، أن يتطرق إلى الضعف البشري كما تطرق إلى القوة، ووقف عند الزوايا المظلمة الحزينة الفاجعة، كما وقف عند الزوايا المضيئة المفرحة، وراعى ناموس الحياة، وقانون الفطرة الإلهية الذي يحكم طبيعة البشر، ولهذا ظهر الانحراف خطأ شاذاً عن الفطرة.

وظهر الخير فطرة كامنة في العمق، وكان الناس يستجيبون لنداء الفطرة حين تتوافر الأسباب المناسبة، وينحرفون حين تغيب هذه الأسباب، أو تدخل عوامل الشر في الأحداث، أو حين تغيب دواعي الاستقامة، وتترك لعوامل السوء والانحراف والشر لتطغى وتفسد.

وكانت مشاعر العاطفة والحب مشاعر إنسانية راقية عذبة رقيقة، ولكنها - أيضاً- بعيدة من سعار الجنس ومثيراته وصوره المنحرفة، فالعاطفة مشاعر كريمة عميقة.

وكان الكاتب في تصويره للأحداث لَمَاحاً، ذكياً، شجاعاً، حيث رسم خارطة واسعة للأحداث تتسع للعالم العربي كله، إن لم يكن أكثر، وإن كانت المساحة المادية التي دارت فيها مساحة قرية صغيرة.

فالقرية هي مصر، أو الوطن العربي أو العالم الإسلامي كله، والشخصيات هم من قرية (الربابعة) ولكنهم نماذج واقعية بأسماء متعددة في كل بلد، فالربابعة القرية، صورة مختصرة دقيقة ترمز لهذا المكان، أو ذاك أو ذلك.

ملكة العنب إحدى روايات نجيب الكيلاني، التي أبرز مؤلفها فيها صورة امرأة من صميم المجتمع المصري، لها سمة خاصة، وطابع فريد فهي امرأة لديها من الذكاء والحصافة، وحسن التخطيط والتدبير ما لم يتواجد لدى كثير من الرجال.

إنها الحاجة (براعم) ، (ملكة العنب)، امرأة ذات وجه نضر، مشرق بالحيوية والشباب والسمة الخفيفة، وفم دقيق، عينيها مكحولتين ذات رموش طويلة، نظراتها توحى بالقوة والثقة بالنفس والرغبة في المجابهة، وكانت تعرف (بملكة العنب) لامتلاكها مزارع كثيرة للعنب، وكانت تعرف (بست البلد) ولا يجرؤ أحد على مخالفتها، ولم تولد (براعم) ملكة العنب وفي فمها ملعقة من ذهب، فقد مات أبوها وهي صغيرة، فخرجت إلى الحقل تزرع وتحصد، وكانت أمها معتلة الصحة، وكان لها أختان صغيرتان، وكانت أول من أدخل زراعة العنب في القرية على نطاق واسع، فقد نقلت ذلك عن أخوالها في قرية مجاورة اسمها (شنراق) التي أصبحت لديها خبرة كبيرة في ذلك، بعد أن تحول كل سكانها إلى ذلك النوع من الزراعة... بدأت بزراعة أفدنتها الأربعة التي تركها أبوها، وبعد أن نجحت أخذت في استئجار المزيد من الأفدنة بأثمان مغرية، حتى أصبح ما تزرعه يزيد عن ثلاثين فداناً.

وكان من الطبيعي أن تتزعم ما يمكن أن يسمى «نقابة زراع العنب» فهي التي تختار المبيدات الحشرية والأسمدة المناسبة، وهي التي تحد مواعيد الحصاد، وتتفاهم مع كبار التجار للحصول على أعلى سعر، ومن هنا أطلقوا عليها «ملكة العنب»، كل رجال القرية وأطفالها ونسائها يعرفون «براعم» ويحبونها، ولم يعرف عنها قط ما يشين سلوكها^(١).

وعلى كل مميزات هذه الشخصية، فقد كان فيها عيب أساسي وهو رأسها الصلب، فإذا رأت رأياً أصرت عليه، ودافعت عنه في استماتة، وتأبى التنازل مهما كان الثمن، وذلك لا يتفق وطبيعتها التجارية، حيث أن التجارة تحتاج إلى الكثير من المرونة والكياسة ولكنها.. لا تتخذ قراراً إلا بعد فحصه وتقليبه على كافة الوجوه والتشاور مع من تثق فيهم بشأنه، وترى في ذلك قمة الديمقراطية وقد ظنت براعم أن الشيخ محمد حين تعرض لقضية زكاة العنب

١. قصة ملكة العنب، ص ١١ .

أنه يحرض الناس على سرقة العنب إذا لم يخرجوا زكاة محصوله، وكان هذا هو الصدام الوحيد الذي حدث بينها وبين محمد حسب الله.

"إذ أنها فهمته بشكل مختلف عن الحقيقة، إذ صوّر لها بعض معاونيها أن ذلك فيه تعريض بها، واتهام لها بالظلم والجشع، خاصة وأنها كانت تقدم العون للكثيرين، كما رأت فيه أيضاً تهيجاً للرأي العام في القرية، وهي تعتمد أساساً على حب أهل القرية الفقراء الطيبين، وتعتمد عليهم في صراعها مع الحيتان من كبار المزارعين والتجار، أو بمعنى آخر، رأت أن كلمات محمد حسب الله قد تهز عرشها إن لم تفوض أركانها، وخاصة أن دعوته إلى دفع زكاة العنب قد صاحبها ممارسات مشبوهة كالسرقات التي انتشرت في تلك الفترة، وفي أعقاب دعوته، ولقد تمادت براعم حينما شكته إلى العمدة، ودّبرت أمر منعه من الصعود إلى المنبر لأداء خطبة الجمعة، والحقيقة أنها كانت تشعر بقدر كبير من عدم الارتياح وهي تفعل ذلك إذ لم يرغب عن ذهنها لحظة أنه الرجل الصالح الذي لا تحركه أهواء أو أحقاب وأن له الحق كل الحق في أن يفتي في أي أمر من الأمور" (١).

فقد كان لبراعم أكثر من موقف يدل على مدى مشاركتها الاجتماعية لقريتها وأهلها، أهمها موقفها من قضية «الربايعة» وهي قضية سياسية - مداها - سوء معاملة المصريين في العراق، وحضور جثة أحد أبناء القرية ميتاً، وعليها آثار العنف والاعتداء الجسيم، وقد تعرضت جنازته لرجال الأمن المركزي بأسلحتهم وقنابلهم المسيلة للدموع، وسوق عدد كبير إلى السجن وكان غضب الناس منصباً على سلبية الموقف الرسمي للحكومة المصرية.

وما كان من براعم إلا أن وظفت مالها من أجل إطلاق سراح المأسورين، ولم تترك باباً إلا وطرقته، فقد قصدت محامياً كبيراً تعرفه، وطلبت منه أن يختار ما يشاء من المحامين، وأن يبذلوا أقصى جهودهم للإفراج عنهم وخاصة الشيخ محمد حسب الله.

وقصدت ديوان المحافظة، وقابلت المحافظ، وقدمت له شيكا باسمه بمبلغ ثلاثين ألف جنيه تبرعاً للمشاريع الخيرية التي تقوم المحافظة بإنشائها.

١. المرجع السابق، ص ١٦٠.

وقصدت إحدى نائبات مجلس الشعب في دائرة غير دائرتها، واصلة إلى أبعد مدى، ولها علاقة وطيدة بالكبار وقدمت لها شيكا بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه طلبتهم النائبة بنفسها، حتى تم الإفراج عنهم.

ثم إنها أقامت مشروع زكاة العنب الذي كونت له لجنة من أفاضل الناس، فعم الخير والرخاء بلدها.

كما رصدت ميزانية لرعاية أطفال مصطفى السلاموني وزوجه حتى لا يضيعوا بعد مقتل أبيهم، أو يودعوا في الملاجئ وساعدت الطلبة الفقراء بمبلغ مالي شهري حتى يستطيعوا مواصلة تعليمهم.

وهذه هو الإسلامي الحقيقي، وهكذا يكون تطبيق مبادئه بين الناس.

وهكذا أحيت براعم «الربابعة» وأهلاً حياً ملك عليها زمام روحها، كانت تعشق الناس والأرض والزراع الأخضر، حتى لكأن هذا الشعور ولد معها . «وأحياناً كانت تأخذ قبضة من تراب الأرض وتشمها وتقلبها في حنان، وعندما كانت تظهر عنقيد العنب كانت تمرغ وجهها الجميل فيها وتلثمها بشفتيها مثلما كانت تلثم الأطفال الصغار وهم يلعبون في الحقول وعلى شاطئ الترع وفي الحواربي. تكاد تكون الربابعة جزءاً لا يتجزأ من جسدها وروحها»^(١) .

أما بالنسبة لزواجها، فقد رفضت براعم الزواج من كل من تقدم إليها من الموظف والتاجر، وضابط نقطة الشرطة.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنها بداخلها إنسان له صفات معينة تحاول العثور عليه، وإن كان ماثلاً أمامها إلا أنها لا تستطيع الإشارة إليه، ولكنه يصطرع في نفسها، ويتجسد في أفكارها.

وظهر هذا جلياً واضحاً في حديثها لصويحباتها عند حديثهم عن الشيخ محمد حسب الله حين قالت إحداهن:

١ . المرجع السابق، ص ١٦٩ .

أقطع ذراعي إذا كانت لم تفكري في الزواج منه
وكان ردها شافياً كافياً عليهن:

"قد يكون فقيراً متواضعاً لا يملك إلا راتبه الشهري، لكن قلبه كنز، وعقله كنز، وأخلاقه
جواهر" (١) .

. لكنك تستحقين فارساً طويلاً وعرضاً..

وكان ردها الفارس صورة نتخيلها، ولا وجود لها.. لكن حياتي، علمتني أن الفرسان
الأصلاء رجال يدبون على الأرض، نراهم ويروننا.. والخيال سيعلو بنا إلى السماء، فنظل
حائرين بين السماء والأرض (٢) ..

وقد تم عقد قرآنهما . لأول مرة . في مسجد القرية الكبير .

وفي القصة تصوير للشخصية المسلمة الواعية، الشخصية التي تنفذ بوعيتها
وبصيرتها إلى ما وراء الأحداث وأعماق القضية، ونتائج ما يجري.
كما صوّر الشخصية المسلمة البسيطة التي تظهر عارية أمام الأحداث ولكنها
صادقة طاهرة.

وصور الفطرة السليمة والطبيعة المنحرفة والمخطئة.

وصور الخطأ بحدوده الواقعية دون تهويل أو تزويق أو تعليل، كما صور الندم
والتوبة وعودة الإنسان إلى الحق حين تصدمه الأحداث وتتكشف أمامه الحقائق.
وصور الطبيعة المتألفة الحانية على الإنسان المسخرة له لتعطيه وتبادلته الحنو
حين يمنحها الجد مع الإخلاص ولم يجعل منها نقيضاً يصارع الإنسان ويعترض
طريقه.

صور الحيوان وهو يتعاطف في ود مع الإنسان، كما صور الإنسان وهو ينظر
إلى هذا المخلوق الأعجم بحنو وعطف ووفاء.

١ . المرجع السابق، ص ١٦٣ .

٢ . المرجع السابق، ص ١٦٣ .

صوّر المجتمع بعيون واعية، نافذة مبصرة صادقة، وقلب حساس، وعقل يخضع لمقاييس المذاهب المادية الحديثة في تفسير الأوضاع وقبولها وتسويغها، وإضفاء الشرعية على صور الانحراف، والغلو في هذا التصوير. وكتب عن الأحداث السياسية المعاصرة، ومواقف الناس وعن الإسلام، والمسلمين، والعالم من حولنا برؤية إسلامية شفافة واضحة.

لم يهرب إلى التاريخ ولم يغادر بعيداً إلى هنا وهناك، بل أضاء الواقع، وعرض لنا صوراً مثيرة منه، بطريقة واضحة بسيطة موحية، إنها قصة ملكة العنب، نموذج للقصة الإسلامية الحديثة.

عرض وتلخيص (محمد بن قاسم)

بدأت أحداث هذه الرواية من سنة ٤٥ إلى ٩٧ هـ، وقسمت الرواية إلى قسمين جزئيين فيضم الجزء الأول عشرة موضوعات وأما الجزء الثاني فيضم اثني عشر موضوعاً. تبدأ الجزء الأول من الرواية عن مجتمع منطقة سيلون (سري لينكا) ساحل سرانديب، يسكن فيها العرب وأهل القرية معاً منذ قرن من الزمان، وبعد نشر نور الإسلام في هذه المنطقة وكثرت فتوحات العرب على هذه المنطقة حتى دخل حاكم المنطقة الإسلام، أثناء ذلك رست باخرة لتجار العرب وراء الساحل، فيخرج العرب وسكان المنطقة بزوارقهم الصغيرة نحو الباخرة من أجل شراء بضائع تجارية ثم يمكث أمير الباخرة أبو الحسن مع صديقه من تجّار العرب في بيت عبد الشمس، فكانوا يخرجون العرب المقيمين في هذه المنطقة للقاء الحاكم المحلي ونقل المعلومات عن الإسلام والمسلمين إليه وبعد تعيين طلحة لتربية حديثي الإسلام، يرجع باقي التجار إلى مناطقهم، وأثناء قيام أبي الحسن عند عبد الله (عبد الشمس) ينشأ حب بين أبي الحسن وسلمى ابنة عبد الله (عبد الشمس) وهذا الحب أنشئ بسبب هيبه سلمى من أبي الحسن وبسبب حبها الذاتي له، وبعد مرور ثمانية أشهر رست سفينة أبي الحسن على ساحل سرانديب بأسطول تجاري آخر، وكيفية ذلك الحب والألفة التي كانت في حالته الابتدائية كما تركها أبو الحسن قبل ثمانية أشهر تستبدل إلى عقد الزواج.

فسبب ولادة خالد وناهيد عند أبي الحسن وسلمى أضاف من حسن عشرتهما وحبهما، وعندما يبلغ الطفلان إلى ٦ سنوات وإلى ١٤ سنة، يقرر أبو الحسن بالرحيل إلى بيت الله الحرام من أجل الحج، وكانت سلمى وأطفالها مستعدون للذهاب معه حسب الخطة، ولكن مرض سلمى الذي لم يسمح لها بالرحيل إلى بيت الله الحرام لذا يرحل أبو الحسن مع أسر العرب الأخرى ومع حديثي الإسلام من أهل المنطقة مع هدايا للحاكم. وبعد أيام أتى شاب عربي إلى الحاكم ويخبره بأن سفينة أبي الحسن الراحلة من سرانديب نحو دمشق وجدة لا علم عنها ولم تصل في مكانها المحدود، وأرسل إليكم

خليفة دمشق وحاكم العراق هذه الهدايا مع الأمني والأدعية الصالحة، وهذا الخبر المؤلم أصبح يقينا بأن سفينة أبي الحسن وأصدقائه قد غرقت في البحر، وهذه الشبهة الخفيفة أثارت الفوضى في المنطقة، أثناء ذلك يخرج شباب العرب مع زييد وخالد على أسر العرب وأهل المنطقة بتسليتهم وإقناعهم بعدم حدوث أي شيء، وعندما ذهب شاب إلى بيت أبي الحسن علم بموت زوجة أبي الحسن، فيعرض الحاكم على خالد وناهيد بعدم الذهاب، ولكن خالد يظهر رغبته في الجهاد حتى سمح له الخليفة بالرحيل.

وبعد عدة أيام ترحل باخرتان من ميناء سرانديب، الباخرة الأولى فيها أسر العرب الذين أصبحوا يتامى والنساء اللاتي أصبحن أرامل، وأما الباخرة الثانية ففيها قائد الخليفة مع وفد كبير من الجنود ليرحلوا نحو حاكم البصرة ودمشق مع هدايا الخليفة لهما وكذلك ليحافظوا على الباخرة الأولى ليوصلوا أصحابها إلى أهاليهم بالسلامة، وذات يوم والباخرتان سائرتان في البحر أثارت الشبهة لمتابعة الباخرتين، فأظهر دليب سنجه من باخرته وزبير من باخرة أخرى بمظاهرة ومهارة رائعة.

فكانت الحرب في البداية محدود على السهام، وفجأة اشتعلت النار في باخرة الأعداء فغرق كثير منهم في الماء ومن الذين نجوا اجتمعوا في سفينة واحدة وعلقوا العلم الأبيض على سفينتهم يطلبون الأمان فأتوا بهم جميعاً إلى الباخرة، فكان كلهم من منهبي الأموال، ولكنهم أسروا في هذه المرة.

وذات يوم أخبر قائد الناهيين قصة حياته المؤلمة وتاب من أعماله الماضية وعزم على ترك هذا العمل الشنيع فكشفت سلسله بأمر من زبير، فلما سألوهم عن باخرة أبي الحسن وأصدقائه فأخبرهم بأن الباخرة قد وصلت إلى ساحل ديبل بحفظ وأمان ولكن هذا ليس بعيد من حاكم ديبل بأنه أسر المسافرين بعد نهب الباخرة، فأتثناء ذلك وعد منجو قائد نهاب البحر بأنه سيجتهد وسيحاول في البحث عن أبي الحسن وأصدقائه عندما يصل إلى ديبل وذلك بمساعدة من راجبوت جي رام، وعندما وصلت الباخرتان على ساحل ديبل خرج منجو مع أصدقائه ليفي بوعدده فيذهب جي رام ليطلع الحاكم عن الباخرة ولكن أثناء ذلك يدهش جي رام بأن الحاكم قد أمر قواده بالاستيلاء على الباخرة وأسر المسافرين، فخرج

الحاكم مع قواده نحو الساحل وأثناء ذلك فهم منجوا بفساد نية الجيش فأقر الرجول إلى الساحل بدلاً من الذهاب إلى المدينة.

وفي اليوم أطلق جي رام من الأبر، فلما علم عن أسر أخته واعد فاضطرب الحاكم، قيد الحاكم زبير وعلي على الأشجار وجلدهما بالسوط حتى أغمي عليهما، وأثناء ذلك يجتهد جي رام لإخلاء زبير وعلي من أسر الحاكم، فأراد الحاكم أن يخرج عيون زبير من قضيب حار من الحديد إلى أن تراجع جي رام من مطالباته وأعلن بأن أخته لم تكن في الباخرة وبعد أن نجى جي رام في إنقاذ حياة زبير وعلي التقى بهما في السجن وحاول إبراء نفسه بأدلة مقنعة، وبعد تبرئة نفسه وعد بالبحث عن خالد وناهد وأخته، وأثناء ذلك اختفى منجوا مع أصدقائه في حصن في الغابات الكثيفة على شاطئ نهر السند بمسافة بعيدة من برهمان آباد، وهناك بدأ يعالج ناheid المريضة وينتظر القافلة القادمة بقيادة الحاكم برتاب راي الذي يسلكي مع الحاكم دائر.

وفي أحد الأيام كانت قافلة برتاب راي راحلة مع الأسرى نحو برهمان آباد، وجه منجوا جي رام نحوها حيث التقى بقافلته، ثم استدعى في مجلس الحاكم وكان برتاب راي قد دبر له مؤامرة لقتله، ولكن تدخل قائد الشرطة بين جي رام الحاكم لنجدته في ذلك الوقت.

وفي اليوم التالي استدعى الحاكم زبيراً من أسرى المسلمين، فأمر الحاكم جندياً من جنوده للمبارزة مع زبير فانتهت المبارزة بنجاح زبير وهزيمة الجندي، فهاجم زبير على برتاب رأي بجرأة ومهارة حتى كاد أن يقتله ولكن زبير توقف عن ذلك بسبب أن وزراء الحاكم منعه من قتل برتاب رأي بأخذ الثأر من الأسرى الآخرين، فبمشاورة الوزراء بدأ جيش الحاكم برتاب راي باستعداد لمقاتلة العرب بدلاً من فك أسره الذين أسروهم من قبل، ولخلاص سكان برهمان آباد من مخاوف العرب. أعلن الوزراء بقتل زبير وجي رام أمام الناس، وقبل نفوذ الإعلان دعا زبير جي رام بالدخول في الدين الإسلامي فقبل جي رام الإسلام، وأثناء ذلك قدم بهيم سنجه ابن قائد الجيش قريب من السجن الذي كانا فيه مسجونين، وجعل المحافظين من الجنود بفاصلة عنهم، وبدأ بالتحديث معهما، أثناء الحديث يظهر غضبه

الشديد عليهما ويقطع الحبل من يدي زبير ويعطيه الخنجر ويقول له بأن يجرب حظه، ثم يرجع إلى المحافظين من رجال الشرطة ويخبرهم بأن هذا الشاب العربي ساحر وبدأ رأسي بالدوار أثناء حديثي معه، فتسلل هذا الوهم في نفوس المحافظين من رجال الشرطة أيضاً، وفي نفس الوقت يحضر منجو وبدأ يقسم الأسماك بين المحافظين من رجال الشرطة، ثم اشتاق إلى سماع المزمارة، وعندما سحر هؤلاء المحافظين من صوت المزمارة بدأ أصدقاء منجو بالتجمع في ذلك المكان كالمترجمين في المدينة وعندما اجتمعوا كلهم في مكان فجأة هجموا على المحافظين من رجال الشرطة دفعة واحدة وبعد قتلهم كسروا السجن وفازوا بإخراج زبير وجي رام، فدخلوا الحصن في الغابة ولما علمت مايا ديوي عن إسلام أخيها أعلنت إسلامها بعد أن جعلت ناهيدة شاهدة عليها، وحسب الخطة يلبس زبير ملابس سنديّة ليرحل برسالة ناهيد نحو مكران.

ويبدأ الجزء الثاني من هذه الرواية بدخول زبير في البصرة ولقائه مع الحجاج وعرضه أمامه كل الوقائع وكذلك عرض له رسالة ناهيد أيضاً.

وقل ذلك كان الحجاج يخاطب قتيبة بكل قسوة ولكن بسرعة يعرف محمد بن قاسم ويتأثر من حكمته الحربية ويعترف بصلاحيته في الحرب، وأراد الحجاج أن يرسله كمستشار عسكري ليلتقي مع أمير المؤمنين ولأداء الواجبات في دمشق، لكن فجأة بمجيء زبير الفار من السند ومعه رسالة ناهيد التي فتحت للحجاج محوراً جديداً للجهاد لفتح بلاد السند، وأثناء ذلك مع المشاورة مع زوجته بتزويج ابنته زبيدة من محمد ابن قاسم، وبعده يرسل زبير ومحمد بن قاسم إلى دمشق ويجتهد هو بنفسه لتعيين الناس في الجيش ويشير أصحاب المناصب كلهم ليستعدوا للجهاد لفتح بلاد السند، وبمجيء زبير ومحمد بن قاسم إلى دار الخلافة ووعدوا بأنهم سيحرضون عامة الناس ليشاركوا في الجهاد لفتح بلاد السند، وفي اليوم التالي انعقد معرض لمشاهدة الفنون الحربية والإجراءات العسكرية، حيث أن المباراة كانت بين صالح وزبير وفجأة ينهض زبير ويبارز بكل قوته إلى أن انتهت المباراة بسقوط السيف من يد صالح، وأما المباراة الأخرى كانت بين محمد بن قاسم وسليمان بالرمح حيث هاجم محمد بن قاسم بكل قوته وهزم سليمان بسرعة شديدة، ونجاح أو فوز

شاب من الشبان أثار العزم والهمة والاستقلال لدى بقية الشبان وبدأوا يتهافتون بأصوات عالية تشجيعاً للشباب الفائز، فأمر من الوليد ذكر محمد بن قاسم عن أحوال اليتامى وأيامى المسلمين المقيدى فى السند وأيضاً قرأ عليهم رسالة ناهيد، فبدأ كثير من الناس يعرضون أنفسهم ليشاركوا فى هذه المعركة، وبعد عدة أيام يرحل آلاف من الجيش من دمشق إلى البصرة وذلك بعد التربية العسكرية للجيش لبضعة أيام ومن البصرة أيضاً انضم بعض من الجنود إليهم، وعندما وصل الجيش إلى مكران اختار محمد بن قاسم منطقة جبلية ليثبتوا فيها ، وأما من الطرف الآخر كان بهيم سنجه مقيماً فى قلعة قريبة من لسبيلة مع عشرين ألف جندي لايقاف زحف جيش محمد بن قاسم، فاستخدم محمد بن قاسم حكمته وقام بتقسيم الجيش إلى قسمين، وأما هو فقد قاد مجموعة قليلة من الجنود نحو القلعة، وأما محمد بن هارون قاد قسم آخر من الجيش واختار طريق آخر، فوقع قتال بين الجيشين وسقط الحصن فى أيدي المسلمين، وأما من الطرف الآخر أحاط جنود محمد بن هارون جنود الحاكم دائر وانتصروا عليهم.

والموقف الثانى لمحمد بن قاسم كان قريب من ديبل، وبعد محاصرة المدينة فى أحد الليالى بلغ المنجنيق الكبير من الطريق البحرى نحو المدينة فأمطر على سور المدينة بالأحجار، وضرب حجراً واحداً على معبد كبير وعلى العلم المترفرف عليها، فسبب سقوط العلم وقطعه مما أضعف من نفوس الجيش ، فوقعت معركة حامية بين الجيشين أدى إلى فرار الحاكم دابر مع ثلاثين ألفاً من جيشه من ديبل، وبعد انتهاء المعركة قام محمد بن قاسم بجولة حول المدينة وبحسن أخلاقه وجه الناس إلى الإسلام فدخل عدد كبير فى الإسلام، وأثناء رحيل جيش العرب من ديبل انضم إليهم حوالي خمس آلاف مواطناً

ومن جانب آخر يصل الحاكم دائر إلى نيروان بعد هزيمته وهناك يأتي بهيم سنجه للقاء الحاكم وأظهر بعدم رغبته للقتال ضد جيش المسلمين لما فعله جيش المسلمين معه من قبل، فأراد الحاكم قتله إلى أن تدخل أوديه سنجه ونجى بهيم سنجه من الحاكم، فقيدهما الحاكم فى سجن مظلم، وفى السجن إلتقى بأبي الحسن الذى اندهش عندما سمع عن فتوحات المسلمين وعن حياة ابنه وابنته، أراد الحاكم أن يقاتل مع المسلمين فى برهمن

آباد بدلاً من نيروان، وترك بعض الجنود في نيروان ورحل نحو برهمن آباد ومن الجانب الآخر دخل محمد بن قاسم إلى نيروان وبعد محاصرة المدينة لعدة أيام فتح أهل المدينة الباب ورفعوا أعلام النصر والفتح، وبعد ذلك توجه نحو سيون وسوستان وهناك قيدوا حاكمها ولكن بعد مدة أطلقوا سراحه، فاشترك هو وأصدقائه مع جيش المسلمين، وبعد عبور نهر السند اصطفى محمد بن قاسم جنوده في صفوف وبين لم الفرق بين الكثير والقليل، وبين الحق والباطل، فانتهت المعركة بقتل الحاكم دائر وعندما بدأت مرحلة معالجة الجرحى وتدفين الشهداء، جاء فرس وعلى ظهره جريح وهو بهيم سنجه ومعه أبو الحسن كان قد فر من السجن ليوصل أبا الحسن إلى جيش المسلمين.

فنادى محمد بن قاسم ناهيد وزهره من ديبيل وهياً لهم الفرصة لخدمته مع زبير وخالد وكذلك هياً لهما الفرصة لخدمة المرضى، ولكن أبو الحسن ما بقي حياً غير يوم واحد بعد حضورهم، وبعدها تقدمت جيوش محمد بن قاسم مع جيشه نحو برهمن آباد، وبعد مشقة قليلة فتح الجيش هذه المدينة، فوصل محمد بن قاسم بجيوش المسلمين إلى القلعة التي كان فيها أسرى المسلمين فعانقوا بعضهم البعض.

ولما بلغت جيوش المسلمين بقيادة محمد بن القاسم قريباً من أرور فر الحاكم مع جيوشه من أرور لينجى بنفسه، وبعد فتح أرور بدأ محمد بن قاسم بالرحيل مع جيوشه نحو زاوية السند الأخيرة (ملتان)، وأثناء ذلك اطلع محمد بن قاسم الحجاج ووليد عن فتوحاته في السند، وعن الأوضاع في السند، وعن سلوك أهل السند، وبعد فتح ملتان رجع محمد بن قاسم مع جيوشه إلى أرور، وحين ذلك وصله أخبار عن وفاة أمه والحجاج بن يوسف فكان هو مشغول في تنظيم أمور الجيش، وكذلك كان يرغب أن يتوجه نحو ميادين الهند، وأما من الجانب الآخر كانت محبة أهل السند تتدفق عليه كتدفق البحر.

رغب محمد بن قاسم بالتقدم أكثر فأكثر وبعد إعطاء الأوامر لإصلاح الجيش بدأ محمد بن قاسم بمعاينة جيشه، فرأى خمسين راكباً قادمين بسرعة شديدة مثيري الغبار، وعندما وصل هؤلاء الركاب قريباً، أعطوا الرسالة لمحمد بن قاسم التي كانت من خليفة سليمان بن عبد الملك يأمره فيها بتعيين يزيد بن أبي كبشة قائداً على الجيش وإرسال محمد

بن قاسم مقيداً بالسلاسل إلى دمشق، وبعد استبدال قائد الجيش بدأ زعماء السند وسلطات المسلمين العسكرية يفكرون عن أحوال المستقبل، وبهيم سنجه من طرف الجيش المحلي في السند أكد له بإخلاصهم وطالبوا منه بعدم الذهاب، ولكن محمد بن قاسم رأى طاعة أمير المؤمنين فرض عفيه، ودعا بهيم سنجه والقائدين الآخرين إلى الإسلام فأسلموا، فالتقى أشرف أرور بيزيد بن أبي كبشة واطمئنوا بعد تأكيد يزيد لهم بأن قائدهم محمد بن قاسم سيرجع إليهم، وبعد صلاة العشاء يلتقي يزيد مع محمد بن قاسم وكذلك تأثر بإطاعته لأوامر الملك مهما كان الأمر، ولإطلاعه على أحوال السند استدعى يزيد زبيراً في غرفته فكتب رسالة باسم عمر بن عبد العزيز، وكتب فيها كل التفاصيل عن محمد بن قاسم، وعرض عليه بأن يتدخل شخصياً لمنع الخليفة سليمان من قتل محمد بن قاسم، فأخذ زبير هذه الرسالة ورحل نحو المدينة، وفي صباح اليوم التالي كان محمد بن قاسم وخالد وناهد وزهرة مع أربتين من الجنود الذين حضروا لقيده استعدوا للرحيل، فودع أهل أرور محمد بن قاسم بكل حزن وألم وكذلك دعوه بالدموع الغزيرة، عندما وصلت هذه القافلة بقرب من البصرة أعطى مالك قائد القافلة وصديق خاص وحميم لسليمان فرصة لمحمد بن قاسم بالفرار وذلك بتأثره الشديد به لأن صالح يريد أن يأخذه إلى واسط، وبهذه المناسبة أظهر محمد بن قاسم رضائه لمالك بالذهاب إلى البصرة فلما وصل إلى بيته التقى بزوجه زبيدة التي انشغلت بلقاء زوجها لآخر مرة، ومن الجانب الآخر يصل زبير إلى المدينة منهمكا هزلان وقبل أن يبين لعمر بن عبد العزيز ما يريده يغمى عليه أمام عمر بن عبد العزيز، وعندما أفاق زبير من غيبوبته أراد بإخراج الرسالة ليسلمه إلى عمر بن عبد العزيز، ولكن عمر بن عبد العزيز يخبره بأنه قد قرأ الرسالة، والآن هو ذاهب إلى دمشق، فأظهر زبير رغبته بالذهاب معه وأصر عليه إلى أن سمح له، وعندما وصل إلى دمشق غضب عمر بن عبد العزيز على الخليفة سليمان بسبب أعماله وانتقامه وقتله المظلومين وأمره بالتوقف عن هذه الأعمال، ففي بداية الأمر غضب سليمان ولكنه ندم بسرعة من عمله، قال: آسف إنكم تأخرتم ليومين وإنني قد أصدرت أمر قتلته ولكن لا بأس سأكتب مرسوماً حكومياً جديداً، غير أن السهم قد تجوز

من القوس من قبل، فأخذ زبير رسالة الخليفة وبدأ رحلته مستقبلاً فرسه من مراكز الشرطة على المكان المراد بدون استراحة.

ظهر بياض الصبح فدخل زبير من باب غربي للمدينة فرأى أمامه جنازة وأراد معرفة عنوان صالح ولكنه عندما رأى جنازة محمد بن قاسم سقطت الرسالة من يده وسقط هو من الفرس وأخذ يتكلم بصوت منخفض (يا محمد بن قاسم) أريد أن أنام تحت شجرة كثيفة الأوراق على شاطئ النهر، فأيقظه خالد وقال له يا صديقي إنهض الآن سوف يدفنون صديقي وصديقك الحميم في القبر، تعال لنشارك بوضع التراب على قبره وبينما كان الناس منهمكين بوضع التراب على قبر محمد بن قاسم قرأ رجل مسنّ الرسالة التي أحضرها زبير من الخليفة، فغضب الشباب ما فعله صالح فخرج خمسون شخصاً نحو بيت صالح ليقبضوا عليه.

جي رام

وهي شخصية ثانوية في الرواية، ولكنها شخصية متطورة نامية كانت في البداية شخصية شرسة غير مسلمة ولكن في النهاية أصبحت شحصيت تحب الصلح واعتنقت الإسلام متأثراً من أخلاق المسلمين.

منجو

شخصية منجو شخصية ثانوية أيضاً، كانت قائد النهائي وقطاع الطرق، وكانت شخصية شرسة تنهب أموال الناس وتعتقلهم في الأبر، ولكن بعد أن وقع في الأسر تابت من عملها الشنيع ووعده بالاجتهاد للعمل الصالح، وبعد ذلك قبلت هذه الشخصية الإسلام مع بعض أصدقائها بسبب أخلاق المسلمين الحسنة.

وهذه الشخصية متطورة نامية في الرواية، وكانت في البداية شخصية شرسة ثم تابت من أعمالها الشنيعة واجتهدت للعمل الصالح.

حاكم برتاب راي

هذه الشخصية من الشخصيات الثانوية في الرواية وهي شخصية ثابتة مسطحة في الرواية غرضها النهب والظلم على المسلمين وغيرهم، فقد اسر بتراب راي الكثير من مسلمي العرب.

زبير

شخصية زبير من الشخصيات الرئيسية وهي شخصية مسطحة ثابتة. كان زبير رجلاً يحب الجهاد، حيث تقاتل ضد الأعداء بكل مهارة للحفاظ على المسلمين وكان زبير صديقاً حميماً لبطل الرواية (محد بن قاسم) فقد حزن حزناً شديداً عندما قتل بطل الرواية بأمر من الخليفة لأنه كتب رسالة إلى الخليفة ليخبره عن صدق صديقه ولكنه تأخر وقتل صديقه. وكان رجلاً صالحاً محباً للإسلام والمسلمين، وكان يدافع عنهم بكل قوة.

الباب الثالث

الصياغة الفنية ودورها

في إبراز الأفكار

الإسلامية

الفصل الأول

الصياغة الفنية في روايات

نجيب الكيلاني وحجازي.

الصياغة الفنية في روايات نجيب الكيلاني وحجازي.

الأحداث، الشخصيات، الأسلوب واللغة، السرد، الحوار،
الوصف، الصراع، الزمان والمكان،

"النسيج اللغوي: هو اللغة التي تشمل الحوار والسرد ويكون في خدمة الحدث أو الأحداث، دفع الحركة في القصة إلى النمو والإكمال ومقومات النسيج هي الأسلوب، الحبكة، المشكلة لعقدة المناجاة المونولوج. والنسيج في القصة يتحقق بتلاحم هذه المقومات وتداخل بعضها في بعض وتفاعلها بشكل بارز يؤثر في التيار القصصي ويضمن استمراره في التدفق".

الأسلوب واللغة:

"إن أسلوب القصة أو الرواية هو ثوبها الذي تخرج فيه على القارئ أو هو الطريقة التي يختارها القاص ليستخدم بواسطتها ما يملكه من وسائل مختلفة، يصوغ بها أحداث قصته بشكل يحقق الهدف الفني تلك الوسائل التي تبدو في الألفاظ والعبارات والصور البيانية" (١).

والأسلوب يختلف من شخص إلى آخر ولا يجد أسلوب صحيح وأسلوب خاطئ، وينبغي للكاتب أن يعطي أهمية كبيرة لعلامات الوقف والترقيم وهو أمر جوهري للأسلوب ويمكن أهمية أسلوب الناظر أنه يقدم الحقائق التي تود أن تقصها بتأثير واقتناع أكبر، والأسلوب الجيد لا يعني استخدام الكلمات العادية غير الشائعة ولكن استخدام الكلمات العادية بطريقة غير شائعة (٢).

١. كتابة القصة القصيرة، هالي بيرنت، تعريب: أحمد عمر شاهين، (د. ت)، دار الهلال، مصر، ص ٦٩.

٢. القصص في الحديث النبوي، ص ١٦٣.

"الأسلوب هو طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة وهو عبارة عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محددة من الألفاظ والعبارات، والتركيبات الموجودة في اللغة من قبل والمعدة للإستعمال". (١) .

أما الدكتور شكري محمد عياد في كتابه (مدخل إلى علم الأسلوب) يقول: "كلمة الأسلوب من الكلمات الشائعة في عصرنا ها عندما نتكلم عن الآثار أدبية نقرأها أو نسمعها مقترنة بأوصاف معينة مثل: أسلوب سهل أو معقد، متين، ركيك، غريب، مألوف، جزل، ضعيف، ويلاحظ على هذه الإستعمالات الجارية عدة أمور:

أنها تحمل نوعاً من الدلالة على القيمة الأدبية، ففي جميع الاستعمالات التي مرت بك، هناك حكم بالإستحسان أو ضده، أما إذا استعملت غير مقيدة بوصف كأن تقول "فلان عنده أسلوب" فإنها تدل على أنك تستحسن طريقته في الكتابة أنها تدل على نوع من التميز أي أننا حين نتكلم عن "أسلوب" ما فلا بد أن يكون هذا الأسلوب متميزاً عن غيره من الأسلوب، وعندما نقول: "فلان عنده أسلوب" فنحن لا نقصد إلى استحسان طريقته في الكتابة، بل نقصد قبل ذلك إلى أن هذه الطريقة متميزة عن غيرها من الطرق". (٢)

من كل هذه المعاني يتبين أن لكل كاتب أو شاعر أسلوب خاص يتميز به، كما قال جورج لويس: بان الأسلوب هو الإنسان نفسه (٣) .

وإذا دققنا النظر نجد أن الدكتور الكيالي له أسلوب هادئ رصين يتفق مع أسلوب القصة القصيرة، ولا شك أن عنده مقدرة فنية أصلية، وهذه المقدرة تبدو واضحة كل الوضوح في وصفه أحداث قصصه وصفاً دقيقاً فتحس بأن الكاتب قد عاش هذه القصص أو على الأقل هذه المواقف، ثم أخرجها للقارئ في كلمات صادقة معبرة.

١ . معجم مصطلحات الأدب، ص ٥٤٢ .

٢ . مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري عياد، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢، دار الصادر، بيروت - لبنان، ص ١٣

و ١٤ .

٣ - كتابة القصة القصيرة، ص ٣٥ .

الأسلوب واللغة في روايات د. نجيب الكيلاني:

من المعلوم أن الخلق الفني كثيراً ما يكون مستقراً في العبارة ذاتها، وأن اللغة ليست وسيلة للتعبير فحسب، بل إنها خلق فني في ذاتها، يتطلب من الكاتب ملاحظة صحة العبارة في النص من حيث قواعد النحو وضوابط الإعراب أولاً ومن حيث وضوحها وتأديتها للمعنى المراد، ومن حيث أناقتها وبلاغتها، فالكاتب ينبغي أن يحرص على صحة التراكيب وسلامة الجملة في كتابته سواء كانت شعراً أو قصة أو مقالة^(١).

إن اللغة التي يستعملها الدكتور الكيلاني في السرد عموماً هي اللغة العربية الفصيحة والألفاظ بسيطة وسهلة، وما يميز هذه اللغة تراؤها بالصور الخصبة الحية وبخاصة الصور التشبيهية التي يخلقها الكيلاني، وهو لا يتحدث في قصصه بلسانه، بل يتحدث على لسان شخصياته المختلفة التي نصادفها في القصة ونجد أن كل هذه الشخصيات تتحدث باللغة العربية الفصيحة التي تناسب مستواها في القصة، وأحياناً يستخدم الألفاظ العامية في الحوار، مثال ذلك في قصة (فخر الزمان)

"سوف أدفئك حية.... الصبر طيب يا بنت حسن أبو كرش.."

وهي تقبض على كفه وتهزه في عنف: انظر لنفسك تعيب على الناس وأنت معيبة.. أنت فاكر إنك رجل.."^(٢).

في هذا النص عبارة "أنت فاكر إنك رجل" تعبير عامل وأصله فصيح فكر.

وفي قصة (بحر الحقيقة) استفاد الكيلاني من المواويل الشعبية وهي في اللغة العربية الفصيحة تسمى: (المواليا)^(٣).

١. انظر: دراسات في النقد الأدبي، د. كامل السوافيري، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٠، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان، ص ٥٦.

٢. العالم الضيق، ص ١٦٣.

٣. المواليا: الموال بالعامية، أحد الفنون السبعة في الأدب العربي، وهو نظم لا يتقيد دائماً بالإعراب، بل يسكن أواخر الكلمات، كما لا يتقيد في أبياته بقافية واحدة ولا بروي واحد بل ينوع فيهما، وكان موضوعه غالباً الغزل والمديح وآلام الرثاء والندب.

على شط بحر الحقيقية ناس صيادين متعممين بالشبك، في الأصل
صيادين
إمبارح العصر جانبي الحب في قلبي خايف أقول آه من اللي قاعدين
جنبي
ياواخذ العهد صونه وأوعى تفرط فيه والعهد غالي ياولدي ومرسومه
الجلالة فيه (١)

"من أسلوبه في بناء قصصه القصيرة يغلب عليه التصوير بالألفاظ والجمل، وتقديم المشاهد المتتابعة التي قد يكون بعضها لرسم شيء حسي خارجي وبعضها لنقل جو نفسي داخلي وبعضها لتجسيم معنى أو إبراز فكرة، ويستخدم، وسائل عديدة في رسم صوره ومن أهم تلك الوسائل الإعتماد على الجمل الطويلة، ويبدو في قصصه كثرة الجمل الفعلية الخبري أثناء سرد القصة، والسبب في ذلك هو أن الجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث في زمن معين مع الإختصار". (٢) و إستعمال الجمل كهذه يعطي قصصه نوعاً من الحيوية وتسلسل الأحداث، مثال ذلك من قصة (الشجاع):

"أخذت ألف وأدور حول النقطة الحراسة، أرفع صمام الأمن ثم أقذف ناحية (الدشم) وكررت العملية مراراً رتيبة لا خوف فيها ولا ملل أيضاً، والأنين الذي في الظلام، والأنفاس اللاهثة للجريح الملقى هناك ما زالتا تلفحان روحي وكياني فلا أميز بين خوف أو شجاعة، أو أفكر في حياة أو موت..". (٣)

أما في الحوار فيكثر من الجمل القصيرة الإنشائية بأنواعها من التعجب، والإستفهام، والدعاء، والتمني، والترجي، والحوار عند الكيلاني ينبع من داخل الشخصيات، بجمل شديدة التركيز، ونقف عند هذا النص كمثال:

١. موعدنا غداً، ص ١٣١ و ١٣٣ .

٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، سيد أحمد الهاشمي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥ م، دار العربي للكتاب، بيروت - لبنان، ص ٧٤.

٣. موعدنا غداً، ص ١١ .

أتقبلين كأساً وعشاءً على مائدتي؟

قالت وكأنها تعرفه من عشرين سنة:

"تعشيت، وشربت ما فيه الكفاية الليلة.. أشكرك..".

وبهت لمنطقها الموجز الحاسم، لم يكن يستطيع أن يفهم هل تتحایل عليه، أم ترفضه، هل أعجبها أم نفرها منظره وتضاءل واندفع الدم إلى وجهه وحاول. ودق الباب، وما التقى به حتى صاح:

"تريد أن تسخر مني يا سعيد؟؟"

همس سعيد:

"ماذا جرى؟؟ إنك تعقد الأمور دائماً يا عبد العزيز.."

أمسك عبد العزيز برباط عنق صديقه، وجذبه في غيظ:

"ألم تزعم أن بهيرة أعجبت بي؟"

"بلى".

"ألم تقل أنها تأخذ وتعطي؟؟"

"لم أكذب عليك".

"ولقد رفضت العشاء و...".

"مسكين أنت حديث عهد هذه الأمور تحتاج إلى صبر والدعارة تجارة.. وفن أيضاً.. والعلاقات الإنسانية أصبح لها بورصة وهي دائماً تبيع.. هذا عملها.. إنها محترفة..".
"إذهب إليها أنت.. إنني أريدها.."^(١).

دار هذا الحديث في القصة (الريق الأبيض) بين عبد العزيز وسعيد وهبيرة في إحدى المصايف في لبنان. ويلاحظ أن أكثر الحوار يكون باللغة الفصيحة.
ومن خصائص أسلوب الدكتور الكيلاني أنه يسعين بالإقتباس من القرآن الكريم والأدعية المأثورة والأمثال العربية. ومثال ذلك في قصة (ليال الحيارى) يقول:

^١. موعداً غداً، ص ١٢٧ و ١٢٨.

"كأن العرق يتصبب على جبينه.. ورأسه ساخن يكاد ينفجر.. والسماء سوداء فاتمة.. والأضواء الكهربائية الملونة تتوالى في جنون. وانطلق صوب مكبر الصوت يؤذي للعشاء.. ووجد الطبيب نفسه يدلف إلى داخل المسجد القريب.. خلع سترته وتوضأ شعر بأن الماء البارد يهدئ من ثورته وتوتره وانخرط في سلك المصلين شعر بأنه يقترب من الله أكبر ضوء المسجد خافت.. والإمام يريد بضع آيات من القرآن الكريم

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾. (١)
اقتبس الكيلاني بعض الأدعية الماثورة مثل:

"استيقظ عبد الجواد.. كانت الدموع في عينيه وعلى خده وتلفت حوله.. ثم استغفر الله.. واستعاذ من الشيطان الرجيم وردد الدعاء الماثور وهو يتقلب، ثم ينام على جنبه الأيمن ويغتم:

﴿بِسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنِيَّ وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أُمِسَّتْ نَفْسِي فَأَرْحَمْهَا، وَإِنْ أُرْسَلَتْهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ﴾. (٢).

وأيضاً، استخدم الكيلاني الأمثال في قصصه مثل: "إن ما يطويه سعيد في قلبه من ضيق وألم الجدير بعلبة هليود بأكملها، لكن ماذا يفعل وهو كما يقول المثل " العين بصيرة واليد قصيرة" (٣).

وخلاصة القول إن قصص الكيلاني في جملتها قد جاءت باللغة الفصحى البسيطة، حيث لا يوجد فيها التقعر والتنميق الأسلوبى وقد تخللها بعض ألفاظ وتعبيرات من غير الفصحى ألجأت إليها الضرورة رسم بعض الشخصيات بأبعادها، فهي ذات طابع بياني حيث نجد توظيف الإستعارة والتشبيه والكناية والمجاز، كما نجد كثيراً من المفردات

١ - سورة فصلت، الآية: ٣٠ .

٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم ٧٣٦٠ .

٣ - موعدنا غداً، ص ٢٤ .

مستمددة من القرآن والحديث والشعر العربي وهو لا يكتفي باستمداد المفردات، وإنما يقتبس آيات من القرآن والحديث ويضعها بين علامتي التنصيص.

الأسلوب واللغة في روايات نسيم حجازي

استخدم نسيم حجازي في رواياته اللغة الأردنية، حيث دأب على استخدامها في أسلوب أنيق، فلا نجد فيه البهرجة اللفظية ولا الكلمات الغريبة الثقيلة، وكان نسيم حجازي يستخدم في بعض الأحيان الكلمات العربية والفارسية ولكن استخدامه للكلمات العربية أكثر من الفارسية، فقد أقبل كثير من الناس على رواياته وقرأها جميع الطبقات من الطلاب والمتقنين.

استخدم نسيم حجازي اللغة مطابقة للمواقف والأحداث، فكان ها السبب في انتشار رواياته بين المثقفين والعوام.

فمن الأمثلة التي تدل على قوة لغته مثلاً في روايته (السد الأخير):
 "عرب کے صحراء نشین لات وہیل کو توڑ کر اٹھے، اور دنیا پر رحمت کی گھٹائیں کر چھا گئے، اور ان کے لوہے نے ہر لوہے کو کاٹا، ان کی تہذیب و تمدن اور اخلاق نے ہر تہذیب ہر تمدن اور ہر اخلاق پر فتح حاصل کی، انہوں نے دنیا سے فساد کے درخت کی جڑیں کاٹیں اور باغ آدم میں اپنے خون سے صلح و آسمن کے درخت کی آبیاری کی کفر کی تاریکیاں دوپہر کے سائے کی طرح سمٹ رہی تھیں، قیصر و کسری کے استبداد کے محل مسمار ہو چکے تھے غازیان اسلام کی فتوحات کا جھنڈا ایک طرف کوہ البرز کی برفانی چوٹیوں اور دوسری طرف افریقہ کے پتے ہوئے ریگ زاروں میں لہرا رہا تھا۔"^(۱)

ترجمة: نهض أهل الصحراء في الجزيرة العربية بعد كسر اللعنة ، وجاءوا إلى العالم نير الرحمة ، وقطع حديدهم كل حديد ، وانتصر ثقافتهم وحضارتهم وأخلاقهم على كل حضارة وكل ثقافة وأخلاق ، قطعوا الجذور. من شجرة الفساد من العالم وغرسوا شجرة السلام بدمائهم في جنة آدم. كان ظلام الكفر يتقلص مثل ظل الظهيرة. كان علم الفتوحات يرفرف فوق قمم جبل ألبرز الثلجية من جهة ورمال أفريقيا الحارقة من جهة أخرى.

وكذلك في روايته (حكاية مجاهد) تدل على قوة لغته فمثلاً:

۱. السد الأخير، نسيم حجازي، ص ۹.

"سورج کئی بار مشرق سے نکل کر مغرب میں غروب ہوا، چاند نے اپنے مہینے بھر کا سفر ہزاروں بار گئے کیا، ستارے لاکھوں بار رات کی تاریکی میں چمکے اور صبح کی روشنی میں غائب ہو گئے، ابن آدم کے باغ میں کئی بار بہار اور خزاں نے اپنا رنگ جمایا، جنت سے نکالے ہوئے انسان کی نئی بستی ایک ایسی رزم گاہ تھی جس میں فطرت مختلف عناصر ہمیشہ برسرِ پیکار رہے، طرح طرح کے انقلابات آئے۔" (۱)

ترجمة: في كثير من الأحيان أشرق الشمس من الشرق وغربت في الغرب ، قام القمر برحلته الشهرية آلاف المرات ، وأضاءت النجوم ملايين المرات في ظلام الليل واختفت في ضوء الصباح ، عدة مرات في الربيع والخريف. في بستان ابن آدم ، كانت التسوية الجديدة للرجل الذي أسس لونه وطُرد من السماء ساحة معركة تصادمت فيها دائماً عناصر مختلفة من الطبيعة ، وحدثت ثورات مختلفة.

وفي رواية (محمد بن قاسم) نجد أيضاً لغته السليمة الخالية من الغموض مثلاً:
 "ہندوستان کے مغربی ساحل کی اہم بندرگاہوں اور جزیرہ سرانڈیپ کے ساتھ ایک مدت سے عرب کے تجارتی تعلقات چلے آتے تھے، زمانہ جاہلیت میں چند عرب تاجر سرانڈیپ میں آباد ہو گئے تھے، اور جب عرب میں ایک نئے دین کا چرچا ہونے لگا، تو یہ دین ان تاجروں کو اپنے آباء و اجداد کے مذہب کو ترک کرنے پر آمادہ نہ کر سکا، لیکن ایرانیوں اور رومیوں کے مقابلے میں ایک متمدن ملک سمجھا جاتا تھا، اسلئے ہندوستان کے بازاروں میں عرب کے مقابلے میں ایران کی مصنوعات کی زیادہ قدر تھی، اس کے علاوہ ہندوستان کے حکمران ایران کو ایک طاقتور ہمسایہ خیال کرتے تھے، اور عربوں کے مقابلے میں ایرانی تاجروں کو زیادہ عزت کی نگاہ سے دیکھا جاتا تھا، اگر شام سے کوئی قافلہ آجاتا تو روما کی قدیم سگوت سے مرعوب ہندوستانی انہیں بھی عربوں سے زیادہ مراعات دیتے، لیکن حضرت ابو بکر صدیق اور حضرت عمر فاروق رضی اللہ عنہما کی شاندار فتوحات نے عربوں کے متعلق ہمسایہ ممالک کے باشندوں کا زاویہ نگاہ تبدیل کر دیا۔" (۲)

ترجمة: كانت العلاقات التجارية العربية مستمرة منذ بعض الوقت مع الموانئ المهمة على الساحل الغربي للهند وجزيرة سيرانديب. وفي فترة الجاهلية ، استقر عدد قليل من التجار العرب في سرنديب ، وعندما بدأ الحديث عن دين جديد في العربية ، هذا الدين لم يستطع إقناع هؤلاء التجار بالتخلي عن دين أجدادهم ، لكنها كانت تعتبر دولة متحضرة مقارنة بالآيرانيين والرومان ، لذا كانت منتجات إيران أكثر قيمة في أسواق الهند من تلك العربية. بالإضافة إلى ذلك ، اعتبر حكام الهند إيران جارةً قوياً ، وبالمقارنة مع العرب ، كان يُنظر

۱ . حکایة مجاهد، نسیم حجازی، ص ۷ .

۲ . محمد بن قاسم، نسیم حجازی، ص ۹ .

إلى التجار الإيرانيين باحترام أكبر. وكانوا سيقدمون المزيد من التنازلات ، لكن الانتصارات المجيدة لحضرة أبو بكر الصديق وحضرة عمر فاروق (رضي الله عنه) تغيرت. وجهة نظر سكان دول الجوار تجاه العرب.

يُلاحظ أن معم مفردات الأردية من اللغة العربية والفارسية، لذا استخدم نسيم حجازي كثيراً من الألفاظ أصلها عربية وفارسية ولكنها تستخدم في الأردية بنفس المعنى، كما استخدم المفردات العربية مثلاً في رواية "السد الأخير":

مختلف، قريب، أجنبي، مستقبل، معذرة، هدف، انتظار، اجتماع، مصافحة، اطمئنان، ألفاظ، فتح، غير متوقع، شخص فقرة.

وفي روايته "حكاية مجاهد":

عاشق، مكتب، فرض، طيب، ذعف، شباب، حياة، قلب، ماضي، حال، وسيع، سامعين، شهيد.

وأيضاً في روايته (محمد بن قاسم):

قديم، غرق، على الصباح، انتقام تبسم إشارة، قديم، حاكم، دعوة، أصول، ضرب، غضب، مخلوق، مساواة، في الحال، جهاد، هيكل.

وكذلك استخدم نسيم حجازي الكلمات الفارسية ولكنها قليلة مها:

ششدر، در خشنده، پيوست، شاهسوار، دم بخود، نخلستان، آویزان، داستان-

لقد جاء نسيم حجازي بمفهوم الآيات في رواياته ولكنه لم يستخدم كلمات القرآن، كما هي عند د. نجيب الكيلاني، لأن لغته أردية والقرآن الكريم منزل باللغة العربية.

ومثال ذلك في روايته (السد الأخير) إن طاعة الرسول من طاعة الله، فهذا واجب على من يطبق أحكام الله ورسوله في الحياة^(١).

١. السد الأخير، لنسيم حجازي، ص ٤٩٠.

" وبعد أيام قليلة لم يكن في جيش صلاح الدين الأيوبي أحد لا يعرف أحمد بن حسن ويوسف بن ظهير. بعد عام ، أصبح يوسف قائداً لجيش السلطان وأصبح أحمد بن حسن عضواً في مجلس الشوري. كلاهما كان لديه إخلاص عميق لبعضهما البعض. لو استطاع أحمد بن حسن أن يقف ضد أحد في ساحة المعركة فهو يوسف ، وكان يوسف يعترف بتفوق صديقه في جمع العلماء.

وكان يوسف وأحمد بن حسن قد تعهدوا بعدم الذهاب في إجازة حتى يتم تثبيت علم الهلال في القدس مرة أخرى بدلاً من الصليب. في الأيام التي كان فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي (صلى الله عليه وسلم) يستعد للهجوم الأخير على القدس ، كان بعض المتطوعين من جيش السلطان الذين غادروا في بغداد. عاد ودخل أحد الجنود خيمة يوسف وقدم خطاب زوجته. فتح يوسف الرسالة وقرأها ونصحته بالجلوس وبعدما تفكر برهة نظر إلى الجندي. قال الجندي كنت سأرسل زوجتي إلى منزلك. كانت تصف الحالة الحرجة لزوجتي أب. لذلك رأيت طفل الماء ، إنه بصحة جيدة. لقد أخبرت زوجتي. هي تعني بزواجك. قال يوسف وهو يبتسم ابتسامة حزينة على وجهه: "أتمنى أن تكافأ ، ثم تنظر إلى الحرف مرة أخرى".

بعد فترة ، كان يوسف يتجول بقلق في خيمته وحده. بعد قراءته خمس أو ست مرات ، حفظ هذه الكلمات من الرسالة القصيرة"

" زوجي! تلقيت رسالتك بعد طول انتظار. أتمنى أن أرى معك علم الإسلام يركب على القدس. أنا مريض قليلاً لكن لا تقلق. سوف أتعافى بسماع خبر انتصار القدس. نعم ، أريدك أن تكون أول من يخبرني عن انتصار القدس. وقي بتعهدك. أدعو الله كل ليلة أن تنعموا برفع العلم على القدس. طاهر سعيد جدا وزوجة محسن تعنتني بي كثيراً. لا أشعر بأي ألم".

وضع نسيم حجازي ذلك من الآية الكريمة

قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾. (١) .

وفي مكان آخر في روايته (السد الأخير) استخدم نسيم حجازي مفهوم القرآن، حيث قال على لسان طاهر للمسلمين بأنكم إذا اتحدتم ولم تتفرقوا فسوف تنصرون على عدوكم، فلم يكن الإتحاد والجهد ضرورياً من قبل مثل اليوم، لأن جميع طاقات الكفر استعدت لسدكم عن الدين الإسلامي (٢) .

ومفهوم هذا الكلام مأخوذ من الآية الكريمة،

قال الله ﷻ: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾. (٣) .

وكذلك استخدم نسيم حجازي آيات القرآن كما هي، مثلاً في روايته (حكاية مجاهد) استخدم الآية الكريمة كما هي،

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾. (٤) .

أي قاتلوا الكفار حتى تنتهي الفتنة ولا تبقى منها شيء.

فذكر هذه الآية عندما استعد عبد الله للخروج إلى الجهاد، فقبل رحيله أعطت عذراء قماشاً صغيراً لأمه ثم أشارت إلى عبد الله، ففهمت الأم مقصدها وأعطت القماش لعبد الله، كان مكتوباً على القماش بالخيط الأحمر هذه الآية الكريمة (٥) .

وفي رواية (محمد بن قاسم) استخدم نسيم حجازي مفهوم القرآن عندما قال محمد بن قاسم أثناء دعائه "إن جميع حياتي لله ولدينه الحنيف" (٦) .

١ . سورة النساء، الآية: ٨٠ .

٢ . السد الأخير، نسيم حجازي، ص ٢٨٥ .

٣ . سورة آل عمران، الآية: ١٠٣ .

٤ . سورة الأنفال، الآية: ٣٩ .

٥ . حكاية مجاهد، نسيم حجازي، ص ٥٢ و ٥٣ .

٦ . محمد بن قاسم، نسيم حجازي، ص ٢٥٧ .

أخذ حجازي ذلك من

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (١) .

١ . سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ .

السرد

مفهوم السرد

ارتبط السرد بوجود الإنسان في كل جميع الأزمنة، وفي جميع الأمانة، لذا فهو قديم قدم نشأة الإنسان، ويمتد مفهومه ليشمل مختلف المجالات والخطابات (١).

السرد لغة:

"عرفه ابن منظور: السرد هو تقدم شيء إلى شيء ما، يأتي به مشتقاً ببعضه في أثر بعض متتابعاً، ويقال سرده سرداً: إذا تابعه، وفلان ليسرد الحديث سرداً: إذا كان جيد السياق له، ومنه كلامه - صلى الله عليه وسلم - : لم يكن يسرد الحديث أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه، وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه". (٢). وهو أيضاً التتابع وإيجاد السياق (٣).

وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في القرآن الكريم حيث

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. (٤).

السرد اصطلاحاً:

١ . الدرس السرد في الخطاب النقدي المعاصر، زهيرة بارش، رسالة ماجستير، تحت إشراف: حسان راشدي، مقدمة إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، بجامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ص ٧ .

٢ . لسان العرب، ج ١٣، ص ١٧٣ (س - ر - د).

٣ . مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي وجميل شاكر، الطبعة الأولى، (ب.ت)، الدار التونسية، تونس، ص ٢٩ .

٤ . سورة سبأ، الآيتان: ١٠ و ١١ .

يعد مصطلح السرد من أكثر المصطلحات القصصية إثارة للجدل فهناك العديد من المفاهيم المختلفة التي استخدم فيها هذا المصطلح، يطلق الكثير من الباحثين مصطلح السرد بوصفه مرادفاً لمصطلح (الحكي) ولمصطلح (الخطاب) (١).

وإذا بحثنا عن كلمة السرد في التراث العربي نجدها تدور حول معاني كثيرة: كالانساق، التتابع، الموالات، النسيج، والسبك

"ينقل السرد القصصي تجربة نقدية لا تشبه الثقافة العربية النقدية ، ويعتمد على المنهج الهيكلي الذي يعيد مشاهدة طبيعة عمل تحليل الأعمال الأدبية بالاعتماد على البيانات العلمية ، ويعتمد على مادته وأدواته المتاحة ، يعطي دراسات لغوية ولغوية جديدة ، يتبعها ارتباط بالنقد العربي ، وما أكملت التجارب الأدبية ، بعد التوجه نحو التحليل الداخلي من خلال دراسة النصوص السردية ، وكيف طورت معظم الدراسات المنهج البنائي واحتوت على مقدمات ، والمداخل التي تبين مدى الاستفادة النقدية من الجهود المبذولة في الغرب وفيما يتعلق بوصف النظرية التي يقوم عليها السرد بالدليل المنهجي ، حيث تتطلب ضرورة علمية ، وفهم هذه النظرية بالبحث عنها. المظاهر في الأعمال النقدية العربية".

"السرد في اللغة العربية يسير وفق سيرة واحدة. أما السرد الحديث والقراءة من وجهة النظر هذه ، فقد أصبح السرد حاضرًا في الأعمال السردية ، بخلاف ما هو في الجوار. وهذا المعنى الذي يدل على هذا النوع لأقرب الأنواع الأدبية لتوضيح هذه التقنية المتخصصة مع التغير في النظرة من خلال كتابتها في التعامل مع اللغة العربية ووقت الحدث ومكان السرد. لقد سار وفق مفهوم كبير ومعيار يتعلق بعلاقة الراوي بالراوي ، وبالشخصيات التي تقوم بالسرد". (٢).

١ . انظر: السرد ومنهاج النقد الأدبي، عبد الرحيم الكردي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤م، مكتبة الآداب، القاهرة -

مصر، ص ٩٨ .

٢ . انظر: السرد ومنهاج النقد الأدبي، ص ١٠٠ .

أما عبد الملك مرتاض فذهب إلى أن مصطلح السرد يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي برمته فكأنها الطريق التي يختارها الراوي أو القاص ليقدم بها الحديث إلى المتلقى^(١).

"والسرد هو دراسة القص واستنباط الأسس التي تقوم عليها وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه وتلقيه ولا يتوقف علم السرد عند النصوص الأدبية فقط وإنما يتعدى ذلك إلى الأعمال الفنية من لوحات وأفلام وإحياءات الخ".^(٢).

وهذا ما نجده في قاموس السرديات بحيث يعرف السرد بأنه:
"خطاب يقدم حدثاً أو أكثر والسرد كمنتج أو سيرورة موضوع وفعل، بينة المتعلق بحدث حقيقي أو خيالي أو أكثر يقوم بتوصيله عدداً من الرواة إلى عدد من المروري لهم".^(٣).

وفي الأخير يمكن القول بأن السرد يتعدد استعماله ويختلف استعمال مصطلحه من باحث لآخر والسرد حاضر بأشكاله اللانهائية في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة^(٤).

أشكال السرد الروائي:

تعد استعمال الضمائر في السرد:

قد يكون واضحاً أننا نريد بالضمائر ثلاثة منها خصوصاً: (أنا، أنت، هو) ويبدو أن ضمير الغائب (هو) هو الأكثر استعمالاً في السرد المكتوب جميعاً^(١).

^١ . انظر: مكونات السرد في النص القصصي الجديد، عبد القادر بن سالم، الطبعة الأولى، (ب.ت)، دار القصة، الجزائر، ص ٧٣ .

^٢ . قراءة سردية في مفكرة (رجل أمني) أمداد الآداب، العدد ٧، أكتوبر ٢٠١٣، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق، ص ٤١ .

^٣ . قاموس السرديات، جerald برنس، تعريب: السيد إمام، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣، مكتبة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة - مصر، ص ١٢٢ .

^٤ . انظر: طرائق تحليل السرد الأدبي، مجموعة من المؤلفين، تعريب: حسن بحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢م، اتحاد كتاب العرب، بيروت، لبنان، ص ٩ .

"والحق أن اصطناع الضمائر يتدخل إجرائياً مع الزمن من جهة، ومع الخطاب السردى من جهة ثانية ومع الشخصية وبنائها وحركاتها من جهة أخرى". (٢) .

وكما أنه "وبحكم انقسام الضمائر في اللغات الطبيعية، تبعاً لمنطلق الأشياء إلى ثلاثة أضرب فقط وهي: المتكلم - المخاطب - الغائب، فإن الساردين محكوم عليهم سلفاً بالتأرجح بين هذه الضمائر الثلاثة استعمالاً" (٣) .

"ومن الواضح أن الرواية العربية لم تستطع التخلص نهائياً من أشكال السرد القديمة ولا سيما من فعل (كان) الذي تعتقد أنه موروث عن أدوات السرد الشعبي، من أجل ذلك نلاحظ أن بعض النصوص الروائية العصرية تجنح إلى الإكثار من اصطناع هذه الأداة". (٤) .

أنواع السرد القصصي

"السرد ما بعد الحدث: هو زمن الرواية المشهورة في الرواية ، حيث يقول الراوي إنه يسرد أحداثاً حدثت في الماضي سواء كانت بعيدة أو حديثة.

"السرد السابق للحدث: يشير إلى الحكايات التنبؤية التي تستند إلى الصيغة العامة في المستقبل ، ولكن لا يمكن منعها من الموافقة على الصيغة الحالية ، واستخدام هذا الزمن داخل الرواية يعتمد في الغالب على أقسام معينة وأقسام النص التي تتحدث عن الأحلام والتنبؤات ، تتكشف الأحداث ، ولا بد من التمييز بين هذا السرد وتلك التي تستخدمها روايات الخيال العلمي".

١ . في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) عبد المالك مرتاض، الطبعة الأولى، (ب.ت)، دار المغرب، وهران - الجزائر، ص ٢٣ .

٢ . في نظرية الرواية، ص ٢٣١ .

٣ . تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية سينمائية مركبة لرواية (زقاق المدق)، عبد المالك مرتاض، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٥م، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عنكون الجزائر، ص ١٩٤ .

٤ . في نظرية الرواية، ص ٢٣٠ .

"السرد المتزامن للحدث: هو الوقت الحقيقي الذي يتماشى فيه حديث الراوي مع مجرى الحدث ، وقد يسعى بعض الكتاب لعمل شيء له تماسك أثناء السرد من خلال سرد قصة كاتب يبدأ لكتابة روايته".

"السرد المتداخل: هو سرد في شكل متقطع تكون فيه المقاطع السردية التي تنتمي إلى أزمنة مختلفة مترابطة بين الحاضر والماضي والمستقبل. يظهر هذا السرد في روايات أو مذكرات مراسلات". (١)

والرواية العربية لا تخلو من أشكال السرد، وفي ما يلي سنحاول عرض وتقديم هاته الأشكال السردية:

السرد بضمير الغائب:

لعل الضمير الغائب هو سيد الضمائر السردية الثلاث، وأكثرها تداولاً بين السرد، فهو الأشيع لجملة من الأسباب لعل من أهمها:
"إنه وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها السارد فيمرر ما يشاء من أفكار وإيديولوجيات.. الخ". (٢)

"يحب الكاتب اصطناع الغائب حتى يتجنب السقوط في فخ الأنا الذي قد يجبر إلى سوء فهم العمل السردى".

السرد بضمير المتكلم:

"إن غاية هذا الضرب من السرد هي وضع بعد زمني بين زمن الحكى وهو زمن الحدث حال كونه واقعاً والزمن الحقيقي للسارد وهو تجسيد في اللحظة التي تسرد فيها الأحداث عبر الشريط السردى وبعض ذلك يتبين أن السرد بهذا المفهوم ينطلق من الحاضر

١ . في نظرية الرواية، ص ٢٣٠ .

٢ . الدرس السردى في الخطاب النقدي المعاصر، ص ٣٧ .

نحو الوراثة. ولضمير المتكلم القدرة المدهشة على إذابة الفروق الزمنية والسردية بين السارد والشخصية والزمن جميعاً". (١) .

السرد بضمير المخاطب:

"قد يكون هذا الشكل من السرد أحدث الأشكال عهداً ومن أشهر من اصطنعه الغرب في الرواية الجديدة، نجد ميشال بيطور في رواية التحويل، وكان هذا الضمير يأتي استعماله وسيطاً بين ضميري الغائب والمتكلم، فإذا هو يحيل على الخارج قطعاً، ولا يحيل على داخل حتماً". (٢) .

إن اصطناع ضمير المخاطب، يتيح العمل السردى أن يستبد بحملة من الإمتيازات في مجال السرد الحدائى (٣) .

أمثلة على رواية القصص

قصة حملة لاند رور

"الأحداث احتفالاً بالذكرى السبعين لتأسيس لاند رور ، أقامت احتفالاً في وهي منطقة نائية داخل جبال الهيمالايا الهندية ، تحكي قصة السائقين المحليين الذين يقودون أسطولاً من طراز ١٩٥٧ لاند. مركبات روفر ، من أجل نقل وتزويد بعض القرى الواقعة على طول الطرق الجبلية الوعرة والطريق بين قريتين صغيرتين ، مانيبانغانغ وسانداكفو ، عاش فريق لاند روفر في قرية مانيبانغانغ وكان المنزل والسائقون بذلوا قصارى جهدهم من أجل تساعد هذه القرى وبالتالي متانة السيارات وسائقها".

الأمير السعيد

١ . تحليل الخطاب السردى، ص ١٩٦ .

٢ . تحليل الخطاب السردى، ص ١٩٧ .

٣ . في نظرية الرواية، ص ٢٤٩ .

"إنها واحدة من أفضل القصص المكتوبة في الأدب الإنجليزي والتي كتبها أوسكار وايلد ، القصة تحكي كيف أن تلك المملكة تهمل الفقراء ، وتمثال الأمير السعيد يأخذ المساهمة من السنونو لمساعدة الفقراء داخل المدينة ، يشرع الأمير في فقدان أحجاره الكريمة والياقوت وأوراق الذهب واحدة تلو الأخرى عندما يبدأ الطائر في أخذها وإعطائها للفقراء الذين رآهم الأمير من مملكته السامية ، تصل السخرية الدراماتيكية للقصة إلى ذروتها عندما يشاهد عمدة المدينة الطائر ميتًا بتمثال المملكة المكسور ، وعندما يتم إرسال التمثال إلى الفرن لإصلاحه ، فإن الأمير والسنونو يذهبان للعيش في المدينة. الذهب في الجنة هو مكافأة له. الحسنات مع الفقراء".

وظائف السرد

- توجد ثلاثة مؤثرات تعمل في السرد نفسه وتعمل على إفراز ثلاث طاقات تكمن فيه:
- طاقة تكمن في الخطاب السردى وتحفظ بتوخي الدلالة أو تغير من المضمون من زاوية الرؤية الخيالية، وهي الزاوية التي تتحدد بشكل الأشياء كلها في الرواية وتصدر عن (العاكس) أو (الراوي) أو (المؤلف) (١) .
 - الوظيفة المتعلقة بتركيب السرد، وبحجمه وبتناسب أجزائه ويأثر هذا التركيب وهذا التناسب في الحجم في منع الدلالة وفي التعبير عن مضمون، وهذه الوظيفة لا تعتمد على السارد بل تعتمد على النص نفسه (٢) .
 - طلاقة أو الوظيفة الخاصة بالرؤية القولية والذي بهذه الرؤية يحدد رويتها هو (السارد) وموقعه.

وهكذا نجد وظائف السرد الثلاثة هي نفسها وظائف اللغة لأن السرد نفسه لا يخرج عن كونه لغة سواء أكان بالنسبة للشفرة أو التعبير عن المضمون (٣) .

١ . تحليل الخطاب السردى، ص ١٩٨ .

٢ . السرد في الرواية المعاصرة، عبد الرحيم الكردي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥م ، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ص ١٥١ .

٣ . السرد في الرواية المعاصرة، ص ١٥١ .

الرؤية السردية لروايات نجيب الكيلاني

رواية الطريق الطويل لنجيب الكيلاني

تجسيد الزمن في رواية "الطريق الطويل":

للزمن عدة آليات اتضحت وتجسدت في الرواية من خلال بعض النماذج، كالاتي:

الاستذكار:

تمثل في قول الأم لسيلمان حين تذكره؛ "لكن أمي كانت تقول لي إن لعب القمار حرام وإنه يخرب البيوت، وكانت تحذرنني من ذلك كثيراً، لكن ماذا سيحدث لو خالفتها مرة واحدة وجبت هذه اللعبة؟؟" (١) .

كما نجده أيضاً في قوله: "وجاء رمضان يا سليمان فتذكرت أمواج الرحمة والروحانية التي كانت تغمر بلدنا الصغير كل عام.. وتذكرت الأطفال وهم يجرون فرحين عصر آخر يوم من شعبان وهم يرددون صوت منغم حبيب "الصيام بكره يا عباد الله... والمسجد الكبير وهو مكتظ بالفلاحين وأصوات الابتهالات والتكبير والتسبيح.. " (٢) .

وفي قوله أيضاً: "وهناك عثرنا عليها بطريق الصدفة بعد هذه السنوات التي مرت... ويا ليتنا ما عثرنا عليها... " (٣) .

الاستذكار هو أنه يستذكر الإنسان أشياء حصلت في وقت مضى أو في حقبة زمنية معينة كتذكارة لتاريخ أو حادثة ما .

أحداث الرواية / السرد القصصي

من أجل المعاملة الحسنة والحررة لخان بدأ حاشية ورؤساء القبائل يتآمرون ضده. كان معظم زعماء القبائل مهتمين بمصالحهم الشخصية أكثر من اهتمامهم بالحرية والشرف

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٣٧ .

٢ . الطريق الطويل، ص ١٤٧ .

٣ . الطريق الطويل، ص ٣١٠ .

الوطني لوطنهم. جشع الحاشية ومصالحهم الشخصية جعلهم يصبحون عملاء للحكومة البريطانية. لقد غيرت هذه الظروف الوضع في دولة البلوش. في هذه الظروف، عندما حاول الحاكم محراب خان توحيد القوة المركزية من خلال وضع حد لتمرّد زعماء البلوش، سعى زعماء القبائل إلى القضاء على الحاكمية والحاكم نفسه.

تمرّد زعيم كشكي في كيتش مكران في عهد مير شاه قاسم مير محمود خان وأصبح رئيسًا هو نفسه. وطرد حاكم أمير بلوشستان من البلاد. عندما جلس أمير محراب خان الثاني على حكم بلوشستان ، توفي سردار شهه قاسم وأصبح الآن ابنه سردار بهاي خان على رأسهم

كان للملا عبد الرحمن وابنه عبد القادر تأثير كبير على مير محراب خان. كان أخوند فتح محمد متشككًا نوعًا ما في مير محراب خان في تلك الأيام. لهذا كان الملا عبد الرحمن يطعن بالظهر مقارنة بأخوند. أراد الملا عبد الرحمن لفترة طويلة قتل أخوند فتح محمد والحصول على وزارته. سردار مير قادر بخش زركزي ، رغم أنه كان صهر أخوند طه محمد ، إلا أنه كان من أنصار الملا عبد الرحمن. كان مير محراب خان في معسكر جندوة خلال تلك الأيام ، بينما قام عبد الرحمن باستفزاز وتضليل سردار قادر بخش لقتل أخوند نت محمد. من قبيل الصدفة ، كان أخوند فتح محمد مستلقيًا مريضًا في المنزل لبضعة أيام ولم يخرج حتى يكون لدى سردار قادر بخش فرصة لقتله. (١)

لم يستطع سردار قادر بخش الصبر لفترة طويلة. كان ذلك في شهر رمضان ، وذات يوم دخل بيت أخوند بالسيف وقت الإفطار. كان أخوند مستلقيًا داخل المنزل. كان ابنه الملا مبارك بالخارج في الفناء. قام سردار قادر بخش بقتل الملا مبارك على عجل وأنهى عمله وبدلاً من أن يغادر إلى جاجير جا جان ، ذهب للعيش في منزل بيبي لال بيبي ، أرملة مير محمود خان. .

مستويات الصراع بين الأنا والآخر:

تعددت مستويات الصراع بين الأنا والآخر في الرواية، وفيما يلي سيتم رصد تمثيلات الأنا والآخر كما بدت في الرواية.

صورة الأنا:

أولاً: صورة الذات الفردية الأنا

على الرغم من أن مير محراب خان لم يتردد في قتل قائد عظيم مثل سردار قادر بخش زركزئي انتقاماً للملا مبارك ، إلا أن أخوند فتح محمد لم يكن راضياً عن ذلك ، فقد دمر منزله من كلا الجانبين بسبب شره ، إلا أن والده كان قتل من جانب وقتل صهره في الجانب الآخر. لكن بحسب خان صاحب ، بما أنه لم تكن هناك جريمة بحق الملا عبد الرحمن وعبد القادر ، فقد رفض خان صاحب قتلهم أو عزلهم ، فغضب أخوند فتح محمد خان وذهب إلى قندهار ثم من قندهار إلى هرات. ذهب إلى وزير فتح خان واشتكى من مير محراب خان. :

أولاً: استدعاء الرموز الدينية التاريخية

وزير فتح خان عن سردار بردل خان أخوند فتح محمد. أرسل إلى جنداواه في خدمة مير محراب خان. طلب سردار بار بردل خان من خان قتل الملا عبد الرحمن وعبد القادر أيضاً. لأنهم متورطون في مؤامرة قتل. لكن مير محراب خان أبلغ سردار بردل خان بالوضع الحقيقي بأن أخوند وعبد الرحمن وابنه عبد القادر لم يكونوا متورطين في جريمة القتل هذه على الإطلاق لكنهم أبرياء. وزير فتح محمد يرى وجهات النظر المتغيرة لمحراب خان خاف وتخلّى عن طلبه. سردار بردل خان، عندما علم بالوضع الحقيقي ، سحب توصيته وذهب إلى قندهار. أخوند فتح محمد اعتذر لخان صاحب واستأنف منصبه كوزير:

"اسمي عثمان امينو انحدرت من قبائل لفولاني في شمال نيجيريا، يقال أن قبائلنا قد أتت مهاجرة من صعيد مصر في قديم الزمان، وقد كانت لنا حروب وغزوات وممالك في أجزاء كثيرة من أفريقيا، وفي نهاية القرن الثامن عشر ظهر لنا زعيم مشهور في التاريخ، اسمه

عثمان دان فوديو استطاع أن يوحد قبائلنا ويجعل لها جيشاً جباراً تخفق فوقه ألوية الإسلام... وهكذا حكمنا إمارات كثيرة، منها سوكوتو وكانو وبرونو... قبر عثمان دان فوديو ما زال حتى الآن في مدينة سوكوتو... لعل أبي سماني عثمان تيمناً بهذا القائد العالم المسلم العظيم". (١)

كان بلاط خان محراب خان يهيمن عليه عدد قليل من حاشيته الأفغانية. ومن الجدير بالذكر بشكل خاص داود محمد غلزاي وأخوند فتح محمد وابنه أخوند محمد صديق وملا محمد حسن وسيد محمد شريف. لم يكن لديه أي مصلحة أو انتماء لأرض البلوش والحكومة البلوشية. انفصلوا عن بعضهم البعض فقط من أجل خدمتهم ومكاسبهم الشخصية ، وعاشوا في حالة صراع دائم مع بعضهم البعض. كان كل منهم حريصاً على القضاء على خصمه واستبداله كرئيس لوزراء قلات. لهذا الغرض ، لم يتجنبوا قتل بعضهم البعض.

ثانياً: المونولوج

كان رجل يدعى داود حمد من أصل خلجي أفغاني قريب من مير محراب خان في تلك الأيام. أراد داود محمد تحويل أي شخص يقف في طريقه عبر خان عن طريق المكر والخداع. لم يعجب آل ساردار بطبيعة خان المتراخية والمريبة. وبسبب هذا ، غضب جميع الزعماء من مير محراب خان. ضعفت قبضة خان على وزرائه ومستشاريه وظهرت شبكة من المؤامرات في كل مكان. كان أخوند فتح محمد أكبر شوكة في طريق داود محمد. أعطت توصية بردل خان لساردار فرصة نادرة لينتقم من محمد. لقد آتت إستراتيجية داود محمد ثمارها وأشتعلت طبيعة مير محراب خان المتحمسة ضد أخوند. (٢)

كان لمقتل أخوند فتح محمد تأثير كبير وضار على حكومة بلوشستان. وكان فتح محمد بالو شخصية مؤثرة للغاية في سياسة بلوشستان. والسبب في ذلك هو أن سردار مهر

١- الرواية ص ٥.

٢- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ص ٥٦.

الله خان ريسانى سردار سيرا ساراوان وساردار قادر بخش زاراكزي السيرا سردار جلوان كانا زوج ابنته. ومع ذلك ، كان يشغل وزارة بلوشستان لفترة طويلة. كان له تأثير كبير على الزعماء القبليين. قُتل سردار قادر بخش في وقت سابق ، والآن بعد أن قُتل أخوند فتح محمد أيضاً ، غضب سردار مهر الله خان ريسانى. كان زعماء سراوان الآخرون غير راضين أيضاً عن السياسة الصارمة للأمير محراب خان. (١).

"قد يظن البعض أن عدم زواجي حتى الآن سببه أنني أريد أن أتفرغ للعبادة والدعوة... لا... دعني أعترف... إن الدماء الحارة في عروقي تلهب جسدي، والزواج نصف الدين، الزواج نداء الفطرة مع كوني رجل دين... لكنني أكره الزيف والخداع". (٢)

معارضة مفتوحة للأمير بلوشستان. كان سردار جلوان قد ثاروا مرة من قبل تحت قيادة مير رشيد خان. الآن ، وبسبب صعود وتحريض سردار مهر الله خان ، أثرت الثورة. وبهذه الطريقة ، رفض جميع أفراد عائلة ساردار في سراوان وجلوان طاعة مير محراب خان. كان مطلب السياسة أن يراجع أمير بلوشستان محراب خان سياسته ويتبنى سياسة لإرضاء جميع الرؤساء حتى يتم معالجة مظالمهم ، ولكن على العكس من ذلك ، استبدل أمير محراب خان أخوند فتح محمد بدواد محمد. عين وزيراً . عمل قرار الأمير هذا على صب الزيت على النار. سئم جميع زعماء القبائل من هذا الرجل الإنجليزي الشرير ، أبي محمد. نظرًا لأن طبيعة داود محمد كانت مليئة بالدهاء ، فقد تعامل عمومًا مع أي شخص يهدده أو أي زعيم قبلي أثار الخوف في قلبه ، وكان أمير بلوشستان يتورط في المؤامرات.

صورة الذات الجماعية (النحن)

عندما وصل سردار ساراوان إلى قلات للتفاوض مع أمير محراب خان وإنهاء الخلافات بينهم ، أخافهم موقف الأمير محراب خان لأن مير محراب لم يحترم الرؤساء بما فيه الكفاية. مهاجمتهم واعتقالهم ، لذلك غادروا قلات إلى كوتششي بين عشية وضحاها.

١- ينظر: بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، ص ١٧٧.

٢- الرواية، ص ٦.

بمجرد الوصول ، أثار زعماء القبائل ثورة ضد أمير بلوشستان. كما انضم إليهم سردار خان رند ، سردار بهرام خان بيليدي ، واثنين من سارداران آخرين. حصل داود محمد على فرصة في قلات وأقام مرة أخرى أمير محراب خان ضد سردار. أصبح أمير محراب خان مستعداً لشن حرب ضد ساردارز.

أرسل خان صاحب شاه خاسي منور محمد إلى جهالة بان (جلفان) لجمع الجيش وذهب هو نفسه إلى خوزدار مع عائلته لبضعة أيام. بعد أن مكث في خوزدار لبضعة أيام ، غادر إلى بيتش. ووصلت دارا سولا وبقيت. وهنا جاء أحمد خان ماجسي وغلان ناجي مغيري خان لاستقباله. من أجل تحذير أهل سرابان، أمرهم خان صاحب بنهب وحرق شير خاري^(١)

الشيخ المخلص إحدى صور (الحنن)^(٢)

عندما علم زعماء المتمردين بتصميم وثروة مير محراب خان ، أصيبوا بالفرع الشديد. لأن الرؤساء لم تكن لديهم القوة للتنافس مع بلوشستان الغنية. أخيراً أرسل عتر سيدة عجوز بيبي وخاتون إلى القرآن ومير محراب خان. بسبب القرآن اعتذر طفيل عن مير محراب خان نيابة عن رؤساء القبائل. أمير محراب خان غفر ذنب الرؤساء.

واتفق سردار محمد خان ريسانى سيد محمد شريف ، مير عبد الكريم ، ريسانى ، مير أسد ومصري خان شاهي زي منغل فيما بينهم. خوفاً من الخسارة التي قد تلحق بهم غداً ، أجبروا أنفسهم على إغلاق منزلهم بستارة صفراء وذهبوا إلى سردار شير بردل خان والي كداعي في قندهار ، وكتب عن خيبة أمله وطلب من مير محراب خان أن يوقفه

مير أحمد يرخان جاء سردار شير دل خان إلى بيشين مع جيش صغير لمهاجمة قلات وفي ٤ يونيو ، عندما وصل إلى بيشين، علم أن خان محراب خان كان يخطط لمهاجمته بجيش كبير. تم إعداده. لذلك رأى شير بردل خان أنه ليس لديه جيش كبير

١ - الرواية، ص ٣٨.

٢ - تكرر مشهد الشيخ المخلص في عدة مواضع منها، ص ٢٠، ٢٣، ٢٨، ٩٥.

لمنافسة خان وعلى أي حال هذا الأمر هو شأن داخلي لأمير بلوشستان ، فكيف يمكنه التدخل فيه. فرجع إلى قندهار في ذهول وندم. ذهب سردار أسد خان والهارب سردار معه إلى قندهار. في أغسطس من نفس العام توفي سردار شير بردل خان وأصبح شقيقه سردار بار بردل خان حاكم قندهار.^(١)

صورة الآخر:

أولاً: الآخر اليهودي/إسرائيل

بعد أن ترك أخوند محمد صالح وسيد محمد شريف البلاط ، استغل داود محمد الوضع وبدأ جهوده ليصبح وزيراً. لكن الوضع أصبح معقداً ولا يطاق بالنسبة لأمير محراب خان. لم يثق بأحد في المحكمة. كان داود محمد يضع شبكة من المؤامرات حول وزير خان أن أخوند محمد حسن تعرف بطريقة ما على خططه أنه يريد الحصول على حكومة قلات وأبلغ مير محراب خان بمؤامرات داود محمد ومير محراب خان في، أصبح داود محمد وزيراً وعين أخوند محمد حسن وزيراً.

كان رجلاً في حزب أخوند محمد حسن ، وأخوند صالح محمد ، وسيد محمد شريف. في ذلك الوقت لم يكن هناك معارض في الحكم إلا عبد القادر. كان زمام أمره في يدي أمير محراب خان أيضاً. أخيراً ، بتحريض مير محراب خان ، حصل على إذن بقتل عبد القادر وفي الخامس ، انتهز الفرصة وقتل عبد القادر.

بعد مقتل داود محمد وعبد القادر ، صار الحقل الآن بيد الملا محمد حسن. بدأ مراسلة سرية مع السيد محمد شريف وغيره في قندهار ، ومن ناحية أخرى مع أخوند صالح محمد الذي ترك كوتش وذهب إلى السند وبعد ثني مير محراب خان في قلعة عاد إلى أخوند صالح محمد ، ووافق على إحضاره. عاد أخوند صالح محمد إلى قلات. أعطاه مير محراب خان ومحمد صديق خلات واحتفظ به كضيف خاص لعدة أيام^(٢)

٣- الرواية، ص ١٣.

١- الرواية، ص ٢٥.

مير محراب خان قد ورث دولة كانت فيها مناطق عديدة في حالة تمرد ، واستغل المهراجا رانجيت سينغ منطقة ديرا غازي خان ، مستفيدة من الضعف المركزي. قبائل شهناواز خان بيزينجو ومنغل في سراوان وجلوان كان أحمد زي مدعومًا بالدعم الذي أصبح هو نفسه منافسًا لحكومة قلات." (١)

وصل شاه شجاع إلى ولاية البنجاب وأقام علاقاته مع الحكام البريطانيين وأقنعهم بمساعدته في الشروط التي فرضوها عليهم. في غضون ذلك ، كان مير محراب خان يواجه أيضًا مواقف صعبة. يصف جول خان نصير هذه المواقف على النحو التالي (٢)

ثانيا: الآخر المسيحي

كانت قبائل ورؤساء الكوتشي وسراوان وجلوان قد هربوا تقريبًا من أيدي أمير محراب خان. وعلى الرغم من أن مقاطعتهم النائية كانت محمية من قبل الزعيم فقير محمد بيزينجو ، إلا أن الأمير لم يتوقع أي مساعدة خاصة من هناك. الأمير محراب خان كان شخصًا عاجزًا في ذلك الوقت وكان يشهد تدمير مملكة البلوش التي بناها الأمير نصير خان بسبب طبيعته المتهورة للغاية. كان قلبه ينبض بالتأكيد لكن يديه وقدميه. لم يكن لديه القدرة على الحركة. أذنيه كان يسمع صوت أعداء الأمة ، لكن لسانه لم يكن لديه الشجاعة لتحديهم. أولئك الذين اعتقد أنهم أصدقاءه انفصلوا عنه واحداً تلو الآخر وأولئك الذين حاول بقية الأطفال أن يأخذوه. كان مير محراب خان خائفًا جدًا من الأعداء الداخليين لدرجة أن أيدي البريطانيين المملوطة بالدماء خنقته

دخل البريطانيون الهند في القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولكن حتى منتصف القرن الثامن عشر كان يقتصر على التجارة. الذي كان مريحًا جدًا له. من العصور الوسطى في القرن الثامن عشر استغل البريطانيون الشقاق بين اللوردات الإقطاعيين في الهند

٢- الرواية، ص ٢٥.

٣- الرواية، ص ١٤٤.

والمشاجرات المستمرة بين حكام مختلف الولايات وبدأوا في غزو الولايات الأخرى واحدة تلو الأخرى بقوة السيف وأحياناً بقوة كيس المال. (١)

كان البريطانيون قد أقاموا قبضتهم بالفعل على شواطئ الخليج الفارسي في جنوب بلوشستان وبحر العرب، حيث كانت الطرق البحرية من أوروبا إلى الهند ومن الهند إلى إيران تمر. دخلت شركة الهند الشرقية في اتفاقية مع ملك إيران حتى في العقد السابع من القرن الثامن عشر فيما يتعلق بامتيازات وامتيازات التجار البريطانيين في إيران. بموجب هذه الاتفاقية، حصل البريطانيون على حق امتلاك الأراضي الساحلية. استخدموا هذه الأراضي لبناء مستوطناتهم التجارية وإرساء قواربهم في بندر عباس (٢)

الآخر المسيحي بوصفه انتهازياً :

في قلات رحب مير محراب خان بالجمهور والضيوف ترحيباً حار. لكن بيتش ما كان يعرف أداب حكم الإمبراطورية ، فقد كان مجرد جندي فخور ومتغطرس. رفعت ترحيب مير محراب خان الحار والأخلاق الآسيوية معنوياته وجعلته ينسى مزاجه الغربي. رغم أنه عامل مير محراب خان بكرامة من خلال أقواله وأفعاله ، الذي كان محاطاً بأعدائه الداخليين من جميع الجهات. ومع ذلك ، نظراً لسلوك بيتش السيئ ، لم يتم التوصل إلى اتفاق دائم بينهما. لكن في وقت لاحق ، أعطى مير محراب خان إذنًا سخيًا للقوات الإنجليزية بالمرور عبر أراضيه وشراء السلع للحصول على حصص.. (٣)

الآخر المسيحي بوصفه الحضاري

كان ابن مير أحمد يار خان، شاهناواز خان ، الذي كان يدعي عرش وحاكمية قلات، في كتشي مع فتح خان. كان أخوند محمد صديق يخدم الأمير باركزئي في متسونغ مع أتباعه. وصل إلى شجاع الملك في شيكاربور وأكد أيضاً للبريطانيين أن شاهناواز خان

١- الرواية، ص ٢١.

٢- الرواية، ص ١٠٢.

١- الرواية ص ٣٢.

كان الوريث الشرعي لعرش قلات وأن مير محراب خان قد تولى سيطرة غير شرعية على حكومة قلات. بين بعد الحصول على إذن مير محراب خان ، أمر بني كابهي بشراء وجمع الحبوب للقوات الإنجليزية. كان السيد ليتش لا يزال في شيكاربور عندما أبلغه بني الكوتشي أن رجال مير محراب خان قد نهبوا الحبوب التي جمعها. كان بيرنز غاضبًا من هذا وكتب رسالة تشهير إلى خان وأرسل هذه الرسالة إلى شاه شجاع الذي كان تحت ملجأ البريطانيين. حيث تم تهديد مير محراب خان بأنه إذا لم يخضع للبريطانيين ، فسيتم خلعه ويعين مير شاهناواز خان خان قلات. (١)

ثالثاً: الآخر الجنسي

شجاع الملك كتب هذه الرسالة إلى فاعل خيره، خان مير محراب خان ، التي تلقاها عندما وصل إلى قلات هارباً. ليحميه باللعب على حياته. بينما كان الجيش الذي يلاحقه على وشك القبض عليه والذي أخذه تحت حمايته وأتى به إلى وادي السند بشرف واحترام.

ضعف موقف مير محراب خان بسبب تمردات زعماء القبائل ومؤامراتهم ، وعلى الرغم من قراءة الرسائل الافتراضية لبيرنز وشجاع الملك ، فقد حاول توضيح سوء الفهم بإرسال ممثله بدلاً من الكلمات المريرة. الملا محمد حسن ، الذي لم يثق به الخان ، ولكن لأنه لم يكن هناك خادم آخر جدير ، أرسله إلى البريطانيين.

وصل الجيش الإنجليزي إلى مكان الهروب في ذلك الوقت. ساروليم مكين كان يرافق الجيش الإنجليزي وشجاع الملك كسفير ووزير. التقى الملا محمد حسن ساروليم بمكين هاربا. أكد الملا محمد حسن جميع الاتهامات التي وجهها أخوند محمد صديق وشهناواز خان ضد مير محراب خان وأكد للبريطانيين أن مير محراب خان كان ألد أعدائهم

وأنه نصب لهم فخًا لمؤامرات خطيرة. أرسل البريطانيون الملا محمد حسن إلى قلات بعد أن منحه جوائز وأكرمه.^(١)

كان محمد حسن دورانجي يقوم بالمهمة. عند وصوله إلى قلات ، أظهر مير محراب خان الوجه المخيف للبريطانيين. أخبر مير محراب خان أن البريطانيين هم أعداءه اللدودون الذين كانوا يخططون لقتله وتسليم حكومة قلات إلى مير شاهناواز خان. قال الملا محمد حسن إنني حاولت إسعاد البريطانيين معك ، لكن مكنائين لا يمكن أن يكون معك بأي ثمن وغير مستعد لعقد اتفاق ودي معك. قال إنه لا توجد طريقة لإنقاذ البريطانيين باستثناء العداء المفتوح واقترح حظر ممر بولان وإصدار أمر بالنهب العام للبريطانيين في كوتش. لقد حاول طمأنة مير محراب خان أنه بهذه الطريقة سيُجبر الإنجليز على التراجع ، لكن هذه الكلمات القاسية للملا محمد حسن لم يكن لها أي تأثير على مير محراب خان. لأنه كان يعلم أن جميع الرؤساء تمردوا عليه وأن المحكمة كانت في أيدي الحثالة مثل الملا محمد حسن. لذلك ظل صامتًا ، ولكن الملا محمد حسن وجه رسالة إلى جميع الرؤساء مفادها أنه يجب إلحاق الأذى بالبريطانيين قدر المستطاع ، ووضع الختم الملكي على المراسيم التي كان يمتلكها يوميًا ، والتي كانت في أيدي البريطانيين^(٢)

رابعاً: الآخر الأناني

على الرغم من أن مير محراب خان لم يكن على علم بمؤامرة الملا محمد حسن وسيد محمد شريف ، إلا أن قلب بيرنز ملاً شكوكه ولم يستطع أن يفهم أن بيرنز أعطاه عشرون ألف روبية بدون سبب ، فلماذا أعطاه؟ عندما شعر أخوند محمد حسن بتردد مير محراب خان، أكد لأمير محراب خان أن البريطانيين يريدون إغرائه بإغراء الثروة. إذا ذهب إلى كويتا ، فسوف يعتقله البريطانيون ويأخذه إلى كلكتا. كان أمير محراب خان في نفس

١- الرواية، ص ١٠.

٢- الرواية، ص ٣٦.

الموقف الذي كتب فيه مكين ، مستوحى من بيرنز وسيد محمد شريف ، رسالة إلى أمير محراب خان مفادها أنه لا داعي لأن يأتي إلى كويتنا (١)

انخرط البريطانيون في معارك مع الأفغان في حملة شجاع الملك. من قلات تواصلت معه مراسلات الملا محمد هان السرية. حرض الملا محمد حسن غوردو نواه من دارا بولان والرحل قبال خي باسم مير محراب خان لسرقة الرسل والمرسلين والقوافل البريطانية ثم بإرسال معلومات كاذبة إلى البريطاني مملوؤة من الاتهامات الموجهة ضد مير محراب خان. (٢)

توجهت مفرزة من الجيش الإنجليزي نحو قلات تحت قيادة عميد القوات ولشائر. هدد مباشرة خان مير محراب خان بأن يصبح خاضعًا للحكومة البريطانية وشاه أفغانستان بشروطه الخاصة. كان على دراية بالوضع الداخلي في سلطنة قلات. كان على يقين من أن خان ليس لديه خيار سوى قبول كل شروطه. لكن عندما تلقى خان معلومات عن تهديد وهجوم البريطانيين ، قرر القتال معهم.

الآخر/ المكان:

"جاماكا هي نيجيريا الجنوب اللاهي المتمزق المنطلق في مجال الشهوة والعريضة، الساقط بين براثن الغدر والخيبة، الذي باع نفسه للشيطان". (٣)

كتب آخوند محمد صديق ، الوزير الملحق ببلاط الخان، تاريخًا لحكام قلات بالفارسية ، وكتب فيه بأنه نصح الخان بأن القوات البريطانية والجيش يصعب قتالهما. لذلك ، من المناسب التراجع مؤقتًا.

١- الرواية، ص٧.

٢- الرواية، ص٩١.

٣- الرواية، ص٣٦.

ولكن رد عليه مير محراب خان: أعلم أن الإنجليز هو ملك لندن وكل الهند. فكما تم احتلال كابول وقندهار. نعلم أننا لا نستطيع التنافس مع الهيمنة والسلطة التي يمتلكها ، ولكن أين يجب أن نذهب بعد الهروب من هذا البلد؟ مر أجدادنا عبر هذه الأرض واستمروا في الحكم^(١)

و عندما علم خان بالهجوم غير المتوقع للبريطانيين، اتصل بزعماء ساراوان وجالافان للمساعدة. ودعا زعماء القبائل من أجل الفخر الوطني واستقلال بلوشستان. وأصدر فتوى للجهاد الإسلامي، حاول إثارة الحماسة الإسلامية لدى الرؤساء ، ولكن ما هو تأثير شرارة الإيمان القصيرة على من ختم قلوبهم بالكفر؟ لم يعر زعماء بلوشستان أي اهتمام لهذا الإعلان الوطني للحقيقة باعتباره الفواق الأخير لهذا المجاهد. كما أرسل أمير محراب خان ابنه الله داني إلى سردار رشيد خان زاراكزاي إلى منطقتهم، لكن لم يكن لزعيم رشيد خان أي نفوذ ولم يحب أن يحمل السيف ضد البريطانيين من أجل حماية الوطن والأمة. بخيبة أمل من جميع الجهات ، أرسل مير محراب خان ولي عهده مير ناصر خان إلى سردار فضل خان زغار مينغال لتكوين جيش مع دار وكل محمد. مع بضع مئات من الناس من دولته الذين يمكن جمعهم من سكولكوه بشارة ومانجوتشا في ذلك الوقت، كان مستعداً للاحتفاظ بوطن البلاد وانتظر وصول الجيش الإنجليزي.

الرؤية السردية لروايات نسيم حجازي

كان نسيم حجازي يسرد الكلام لأهداف ومقاصد سامية للحصول عليها فيعكف على الأهداف والموضوعات ويعالجها بكل مهارة، ويسرد كلمه ليبين أحداثه بطريقة سليمة تجذب القاري لمتابعة الرواية بكل شوق.

مثلاً في روايته (السد الأخير): حين كان صلاح الدين يخاطب أحمد ويوسف لشجاعتهم:

"سلطان صلاح الدين أيوبی نے پیار کے ساتھ احمد کے کندھے پر ہاتھ رکھتے ہوئے کہا، سر دست میں تمہاری زبان سے متاثر ہوا ہوں، مجھے تمہاری سپاہیانہ صلاحیتوں کا صحیح علم نہیں، اس لیے تمہیں بارہ دستوں کا سالار مقرر کرنا ہوں اور یوسف تمہاری آواز میں ایک سپاہی کی سی خود اعتمادی ہے۔ ممکن ہے تم آگے چل کر اپنے آپ کو بڑی سے بڑی ذمہ داری سنبھالنے کے قابل ثابت کر سکو لیکن سر دست تمہیں پانچ دستوں کا سالار مقرر مقرر کرتا ہوں، تم دونوں کو میں یقین دلاتا ہوں کہ میرے دل میں فقط جواں مردی اور شجاعت کی عزت ہے، خوشامد کی نہیں، اور حضرت خالد کے متعلق شاید میں اپنے جذبات کی صحیح ترجمانی نہ کر سکوں، کاش میں مصر کا سلطان ہونے کی بجائے اسلام کے مجاہد اعظم کی فوج کا ایک معمولی سپاہی ہوتا، میرے لیے نہ صرف وہ مجاہدین بلکہ وہ لوگ بھی قابل رشک ہیں جنہوں نے عراق اور شام کے میدانوں میں خالد اعظم کی افواج کی سواروں کو گرد کے بادلوں میں روپوش ہوتے دیکھا تھا، میں اپنی ذات سے غازیان اسلام کو پانی پلاتے ہوئے شہید ہو جانے والی ایک بڑھیا کا درجہ بلند سمجھتا ہوں" (۱)

ترجمة: قال السلطان صلاح الدين واضعاً يده على كتف أحمد: إنني أعجبت بلسانك الآن ولا أعرف عن مواهبك الحربية فعلى ذلك أعينك قائداً لاثني عشر كتيبة، ويوسف رأيت في صوتك اعتماد جندي وأرى أنك ستثبت نفسك لائقاً لأي منصب كبير في المستقبل ولكنني الآن أوليك إمارة خمسة كتائب، ولتكونا على وعي أنه ليس في قلبي عزة إلا للشجاعة والبطولة، ولا أحب الإطراء في المدح، ولعلي لا أترجم مشاعري عن خالد بن وليد إلا أنني أغبط على هؤلاء المجاهدين الذين رأوا فرسان جيوش خالد الأعظم، وهم

۱. السد الأخير، لنسيم حجازي، ص ۲۴.

يغيبون في الغبار بميادين العراق والشام وإني رأيت عجوزاً كانت تسقي الماء لغزاة الإسلام،
واستشهدت فهي أعظم عندي منزلة من نفسي، فهذه العبارة السردية سهلة يستطيع القارئ
فهمها بسهولة.

وكذلك قد يكون السرد لبيان مشاعر وأحاسيس الشخصيات، فمثلاً في موضع آخر
من روايته (السد الأخير) يبين نسيم حجازي مشاعر بطل الرواية "طاهر" حيث يقول وهو
يخاطب صفيّة:

(کاش آپ کو معلوم ہوتا کہ میں کانٹوں پر چلنے کے لیے پیدا ہوا ہوں، میں آپ کو اپنے ساتھ نہیں گھیٹ سکتا، آپ نے
میرے ساتھ جو کچھ کیا ہے، شازے میں اس کا بدلہ نہ دے سکوں، میری گردن ہمیشہ جھکی رہے گی، میں خود پسند نہیں ہوں، لیکن
ایک سپاہی کی زندگی میں ایسے مرحلے آتے ہیں جب اسے اپنی زندگی کی عزیز ترین خواہشات قربان کرنا پڑتی ہیں، وہ کسی کے پسینے کے
بدلے خون تک بہانے کے لیے تزار ہوتا ہے، لیکن اسے فرض مجبور کرتا ہے تو وہ اس کے آبسوں کی بھی پروا نہیں کرتا اور میسے ان
جنگ میں چلا جاتا ہے، آپ ایک عالیشان محل میں رہ کر بھی اپنا دم گھٹتا محسوس کرتی ہیں لیکن ترکستان میں آپ کی ہزاروں بہنیں
ایسی ہیں جنہیں اس کھلے آسمان کے نیچے سرچھپانے کو جگہ نہیں ملتی) ^(۱) .

ترجمة: لو علمت يا صفيّة أنني لم أولد إلا للسير على الأشواك ولا أستطيع أن
أخذك معي، فبسبب إحساناتك أظن أنني لا أستطيع أن أجازيك عليها ولا أستطيع أن
أشكر عليها للأبد ولن أنسى فضلك، ولست برجل أناني معجب بنفسه، وإنما هو جندي
بسيط يضحى بكل أمنياته العزيرة للدفاع عن الإسلام والمسلمين، ويكون مستعداً بأن يريق
الدم مكان العرق، ولكن الواجب يجبره على ترك كل شيء، واختيار ميدان القتال، فأنت
تحسين نفسك متضايقة في هذا القصر العالي فما بالك بأخواتك في تركستان اللواتي لا
تجدن الخمار على رأسهن تحت السماء المفتوحة.

وكذلك من السرد الجميل في (حكاية مجاهد) على لسان نعيم لأهل قرية نرجس
يخبرهم عن أهمية الجهاد:

۱ . السد الأخير، لنسيم حجازي، ص ۳۰۳، ۳۰۴ .

(برداران! اگر میں اپنے فرائض کی وجہ سے مجبور نہ ہوتا تو مجھے اس جگہ چند دن اور ٹھہر جانے پر اعتراض نہ ہوتا لیکن آپ کو معلوم ہونا چاہیے کہ جہاد ایک ایسا فرض ہے جس کسی بھی حالت میں نظر انداز نہیں کیا جاسکتا میں آپ کی محبت کا تہہ دل سے ممنون ہوں، امید ہے کہ آپ مجھے خوشی سے اجازت دے دیں گے) (۱) .

ترجمة: إخواني الأعزاء، إذا ما كنت مجبوراً من فرائضي، لما اعترضت أن أعيش بينكم في هذه القرية لأيام كثيرة، ولكنكم تعلمون بأن الجهاد فرض على كل مسلم، فلا أستطيع تركه ولا غض النظر عنه، وأنا عالم بمحبتكم لي، وأعلم بأنكم سوف تسمحون لي بالذهاب إلى الجهاد بكل فرح وسرور.

ومن السرد الجميل في (حكاية مجاهد) عن تقليد هومان نعيم لصلاته:

(علی الصبح نعیم کی آنکھ کھلی، اٹھ کر باہر نکلا چشمے پر وضو کیا اور اپنے کمرے میں کرفجر کی نماز ادا کی، اس کے بعد وہ سیر کے لیے باہر نکل گیا، جب واپس آکر کمرے میں داخل ہونے لگا تو دیکھا کہ اس جگہ جہاں وہ اکثر نماز پڑھا کرتا تھا، ہومان آنکھیں بند کیئے قبلہ رو ہو کر رکوع اور سجود کی مشق کر رہا ہے، نعیم چپکے سے دروازے میں کھڑا اس کے بے ساختہ تقلید پر مسکرا رہا تھا، جب ہومان نے نعیم کی طرح بیٹھ کر تھوڑی دیر ہونٹ ہلانے کے بعد دائیں بائیں دیکھا تو اس کی نظر نعیم پر جا پڑی، وہ بدحواس ہو کر اٹھا اور اپنی پریشانی پر قابو پانے کی کوشش کرتے ہوئے بولا۔ میں آپ کی نقل کر رہا تھا، گاؤں کی بہت ساری لڑکیاں اور لڑکے اسی طرح کرنے لگے ہیں، وہ یہ کہتے ہیں کہ اس طرح کرتا ہو انسان بہت بھلا معلوم ہوتا ہے، میں آپ کے کمرے میں داخل ہوا تو زگس بھی اسی طرح کر رہی تھی، میں۔۔ بھی۔!) (۲) .

ترجمة: وفي الصباح استيقظ نعيم من نومه وخرج من البيت ليتوضأ بماء النهر، ثم دخل غرفته ليصلي الفجر، وحين انتهائه من صلاته خرج ليتنزه في القرية، وعندما رجع نعيم وجد أن هومان يحاول تقليد صلاته، فكان هومان يحاول أن يركع ويسجد مثله، فاختماً نعيم وراء الباب وبدأ يراقبه مبتسماً، فجلس هومان مثل نعيم وبدأ يحرك شفتيه، ثم نظر يمينه ويساره فرأى نعيم مختبئاً خلف الباب ينظر إليه، فوقف هومان بسرعة حجاباً، فقال لنعيم: "كنت أحاول تقليدك، والأولاد في القرية أيضاً يحاولون تقليدك وهم يقولون إن هذا الفعل إذا فعله الإنسان يكون نشيطاً، وعندما دخلت غرفتك رأيت نرجس أيضاً تحاول تقليدك."

۱ - حكاية مجاهد، لنسيم حجازي، ص ۱۵۹.

۲ - حكاية مجاهد، لنسيم حجازي، ص ۱۵۲، ۱۵۳.

وكذلك كان يسرد نسيم حجازي بصورة الدعاء على لسان أحد شخصيات رواياته كما في روايته (محمد بن قاسم) نجد بطل الرواية (محمد بن قاسم) يدعوا ربه بصوتٍ عالي:

(يارب العالمين! میرے نحیف کندھوں پر ایک بھاری بوجھ آپڑا ہے، مجھے اس ذمہ داری کو پورا کرنے کی توفیق دے! اور میرا ساتھ دینے والوں کو ان کے آباء و اجداد کا عزم اور استقلال عطا فرما! حشر کے دن فدا یان رسول صلی اللہ علیہ وسلم کی جماعت کے سامنے میری نگاہیں شرمسار نہ ہوں، مجھے خالد کا عزم اور شتی کا ایثار عطا کر! میری زندگی کا ہر لمحہ تیرے دین کی سربلندی کے لیے وقف ہو) (۱) .

ترجمة: يا رب العالمين إن في كتفي الضعيفتان مهمة عظيمة فألهمني القوة الكافية، حتى أستطيع إنهاء مهمتي بكل جهد وصبر، واهدي الذين مثلي ليجاهدوا في سبيلك مثل النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الحشر، وألهمني شجاعة وقوة خالد بن الوليد، وكذلك ألهمني همة وعزم مثني - رضي الله عنهما -، واجعل كل حياتي في خدمة دينك الحنيف. وكذلك من السرد في رواية حكاية المجاهد:

(تین سال بعد ابوالحسن شہر میں اپنے لیے ایک خوبصورت مکان اور اس کے قریب ایک مسجد تعمیر کروا چکا تھا، اس کی دیکھا دیکھی اس کے چند ساتھی بھی اس شہر میں آباد ہو گئے اور ابوالحسن نے مسلمان بچوں کی تعلیم و تربیت کے لیے ایک مدرسہ تعمیر کر کے درس و تدریس کے فرائض طلمحہ کے سپرد کر دیئے) (۲) .

ترجمة: فبعد ثلاث سنوات أقام أبو الحسن لنفسه بيتاً جميلاً في مدينة سرانديب، وكذلك أقام بجانبه مسجداً جميلاً، فبدأ أصدقائه يقلدونه فأقاموا لأنفسهم بيوتاً في سرانديب، فخلال خمس سنوات بلغ أبو الحسن وطلحة أهل سرانديب للإسلام فدخل كثير منهم في الإسلام، ثم أقام أبو الحسن مدرسة دينية لأبناء المسلمين لتعليمهم الإسلام، وجعل طلحة أستاذاً عليهم ليلقي عليهم محاضرات دينية.

مرت ثماني عشرة سنة على زواج أبو الحسن. كان خالد في السادسة عشرة من عمره ونهيد في الرابعة عشرة من عمره. مع سقوط الخليفة وليد بدأت الفتوحات الجديدة للمسلمين.

۱ . محمد بن قاسم، لنسيم حجازي، ص ۲۵۶ .

۲ . محمد بن قاسم، لنسيم حجازي، ص ۳۴ .

ذات يوم وصلت سفينة من تجار السند. وكان معه مسيحي من عمان. أخبر تجار السند عرب الجزيرة عن الفتوحات المعجدة للمسلمين في تركستان وشمال إفريقيا. أكد رجل الأعمال العماني كل هذه الأمور. وكان أبو الحسن وبعض أصحابه مستعدين للحج. الآن إلى جانب نوايا الحج ، انضم أيضًا شغف الجهاد.

اعتاد الملك أن يروي أخبار الدول الجديدة من أفواه التجار القادمين من الخارج باهتمام كبير. ولدى سماعه نبأ الفتوحات الأخيرة للمسلمين ، استدعى أبو الحسن وأبدى رغبته في إرسال بعض الهدايا من الذهب والمجوهرات إلى خليفة المسلمين أو والي العراق. أجاب أبو الحسن. سوف آخذ هدايا من الماء لهم بكل سرور. باع تجار السند بضائعهم وعادوا إليها بعد شراء بضائع جديدة. بعد أيام قليلة من مغادرتهم ، استعد أبو الحسن ورفاقه لرحلة الحج. هذا العام ، باستثناء المسلمين التسعة في سارانديب ، كان عدد العرب الذين يؤدون فريضة الحج مرتفعًا أيضًا بشكل غير عادي.

وبقي طلحة وثلاثة تجار عرب آخرين في الخلف لرعاية منازل الحجاج. بعض العرب تركوا أطفالهم الصغار تحت حماية طلحة وأخذوا زوجاتهم معهم ، وبعضهم ترك أهله في المنزل.

كان أبو الحسن ينوي اصطحاب زوجته وأطفاله معه ، ولكن قبل الرحلة بثلاثة أيام ، مرض السالمي فجأة واضطر إلى تأجيل هذه النية.

كان خالد ، مثل نسر صغير يرفرف في العش بعد الفقس ، مصممًا على إظهار صفاته العسكرية في مجال العمل ، لكن مرض والدته أجبره على البقاء في المنزل. ووعده أبو الحسن بإرساله في جولة في شبه الجزيرة العربية بمجرد عودته.

في يوم الخروج من المستشفى أصيبت سالمي بحمى شديدة لكنها لم تستلق في الفراش رغم الألم الشديد. قبل أن تقول وداعًا لزوجها ، توسلت. ينظر! أنا بخير تمامًا. خذني معك لا تنسى وعودك.

ورد أبو الحسن بنبرة حزينة. لا ، الحمى الموسمية ستؤذيك كثيراً على متن السفينة. عندما تكون بخير ، سأرافقك في رحلة أخرى. اسمع ، سأترك خالد ونهيد في رعايتك. سوف تعني بك طلحة أيضاً.

قال لا والدموع في عينيه! خذني بالتأكيد! أستطيع أن أتحمل كل الآلام معك.
قال أبو الحسن. لا تكن عنيدا. انظر مدى سرعة نبضك. وجهك أحمر بسبب الحمى. أنت لم تسافر أبداً عن طريق البحر. سأعود قريباً.

لا ! أدرك هذه المرة أن رحلتك طويلة جداً وقد لا أستطيع الانتظار طويلاً.
أجاب أبو الحسن بوجه حزين. سلمى! أنت تبكين ، لقد مرت سنوات عديدة منذ أن أخبرتك أن المرأة المسلمة لا تذرف الدموع عند وفاء المجاهدين.

كان لهذه الكلمات تأثير سحري على السالمي. مسحت دموعها وحاولت أن تبسم. السبب الذي جعلني أشعر بالاكئاب الشديد ليس لأنك كنت تغادر ، ولكن لأن الماء كان يتركني. إذا كنت قد أخذتني مرة إلى ميدان الجهاد ، فربما لم تلومني على الضعف. أستطيع أن أقف معك في وابل السهام ، لكن انتظارك كل يوم صباحاً ومساءً ، التسلق على سطح المنزل والنظر إلى البحر سيكون اختباراً للصبر بالنسبة لي.

أجاب أبو الحسن. هذا الصبر جهاد النساء. ما لا يستطيع الرجال فعله في الميدان. يمكن لهؤلاء النساء الجلوس داخل جدران المنزل الأربعة. لا يمكن للمرأة أن تصبح خالد (رضي الله عنه) وموشاني (رضي الله) ولكن يمكن أن تحصل على مكانة أمهاتها. اليوم جنودنا يقاتلون بعيداً عن منازلهم وهؤلاء النساء يرفعن طموحاتهن. الذين يتحملون مسؤولية الأمهات والأخوات والزوجات بصبر واستقلالية. بفضل ثقتهم بهم ، فإن التفكير فيما سيحدث لأطفالهم وأطفالهم في المنزل لا يسبب القلق في قلوبهم. سلمى! أخبرني أنت. هل الجندي الذي يظن أن الزئير زوجته ستصاب بالعمى والأطفال سيتعثرون في الشوارع؟ هل يمكن أن تموت مبتسماً مثل رجل شجاع؟ افترض ، إذا لم أحضر ، فلن ترسل خالد إلى الجهاد مثل الأمهات العربيات الأخريات؟

رد السالمي . تعتقد! إذا كنت لا تمنع في أن تكون أباً سيئاً لخالد ، فأنا لا أريد أن
أكون أمّاً سيئة أيضاً.

غادرت سفينة أبو الحسن في المساء . كان السالمي يقف على السطح ونهيد ينظر
إلى البحر . على الرغم من ضبط النفس ، اندلعت الدموع في عينيه .

قال نهيد . أم ! لقد وعدت أبي ألا تذرف الدموع أمامنا .

فأجابها السالمي وهي تمسح دموعها . بنت! أتمنى لو كنت أنا فقط ، قلبي ضعيف
جداً مقارنةً بوالدك .

جلس السالمي قائلاً هذا . قالت ناهد وهي تضع يدها على نبضها . أم! لا تزال تعاني

من الحمى . انت ترقد في السرير!

الشخصية

مفهوم الشخصية لغة:

في القاموس المحيط: "الشخص سواء الإنسان وغيره وتراه عن بعده، فالجمع شخص وشخوص وأشخاص.. والشماخص المختلف والمتفاوت، وكلمة شخص التي تطلق على الإنسان تدل أيضاً على التناقض وعدم الإتقان في العادات والصفات". (١) .
تثير الدلالة اللغوية لمفهوم الشخصية في الواقع الاجتماعي بأنه فرد موجود في الحياة وهو كائن حي يمارس عاداته وتقاليده كأبي فرد.

اصطلاحاً:

"البناء الفني للرواية يقوم على أسس متكاملة من أهمها الشخصية، فالشخصية الروائية ليست سوى مجموعة من الكلمات لا أقل ولا أكثر، أي شيئاً اتفاقياً أو خديعة أدبية يخلقها الروائي عندما يخلق شخصية ويكتبها..، فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات لأنها سوى كائنات من ورق". (٢) .

كما أن "الروائي أثناء تصويره الشخصية الروائية، يستطيع أن يصورها مباشرة، فيقوم بوصف أفكارها ودوافعها، أو أن يتركها تعبر عن نفسها بنفسها من خلال ما تقوم به من حركات وانفعالات" (٣) .

أنواع الشخصية

نجد عدة أنواع من الشخصيات، وأهمها:

١ . قاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة: شخص.

٢ . بنية الشخص الروائي (الفضاء - الزمان - الشخصية)، حسن بحراوي، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٠، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ص ٢١٣ .

٣ . جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبيحة عودة زعرب، غسان كتفاني، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦، دار مجلاوي عمان، الأردن، ص ١١٨ .

أ - الشخصية الرئيسية:

تعرف بأنها "هي التي تقوم بفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية بطل العمل دائماً ولكنها هي الشخصية المحورية". (١) .
وهي أيضاً التي "يصطفيها القاص لتمثيل ما لما أراد تصويره، أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس". (٢) .

ب- الشخصية الثانوية:

وهي الشخصية التي تضيء الجوانب الحقيقية للشخصية، وتكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية أو تعديل لسلوكها، إنها شخصيات متناثرة في كل الرواية تساعد الشخصية الرئيسية.
كما إنها هي أداء لإبراز الحدث (٣) .

ج - الشخصيات المعارضة:

وتعتبر "القوى المعارضة في النص القصصي، وتقف في طريق الشخصية الرئيسية أو المساعدة، وتحاول قدر جهدها عرقلة مساعيها وتعد أيضاً شخصية قوية ذات فعالية في القصة وبنية الحدث". (٤) .

علاقة الشخصية بالعناصر السردية الأخرى:

علاقة الشخصية بالحدث:

"نجد أن الشخصية في الرواية ترتبط بالحدث، إذ هي المؤدية والفاعلة له، وهي التي تحدد مساره واتجاهاته، فلا توجد شخصية بدون حدث، أو حدث بدون شخصية مما يؤكد

١ . جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص ١٣١ .

٢ . تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شريط أحمد شريط، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩ م، دار القصة، الجزائر، ص ٤٥ .

٣ . جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص ١٣٢ .

٤ . تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص ٤٦ .

أن العلاقة بينها وطيدة، حيث تكون الشخصية متصلة به مشدودة إليه فاعلة إياه أو فيه". (١)

وللشخصية عدة معايير تحدد معالمها الروائية عبر علاقاتها الوطيدة والمستمرة والواضحة لأحداث الرواية على اختلاف المضامين التي تعبر عنها (٢).

إن ارتباط الحدث بالشخصية والشخصية بالحدث يعني التفاعل بينهما بحيث يقوم الكاتب من خلال الحدث ببيان أبرز سمات الشخصية في أبعادها المختلفة.

ونلاحظ مما تقدم حول العلاقة بين الشخصية والحدث أن لهما علاقة وطيدة، علاقة اتصال ولا يمكن أن نفصل الشخصيات من الحدث والعكس صحيح.

١ . الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، نادرا أحمد عبد الخالق، ص ٢٦٩ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٦٩ .

الشخصيات في رواية الطريق الطويل:

الشخصيات الرئيسية:

سليمان

وقد وصف الكاتب بأنه تلميذ مجتهد من شباب المستقبل مريض بمرض البلهراسيا والانكلستوما، "كانت صورة المكسب المتوقع تلج في عقلي وتجعله شيئاً مؤكداً فلم يرادوني في شبح الخسارة لكن قلبي كان يدق غالباً متواصلاً، وأن أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، كانت أعصابي تصخب وتحترق والعرق يتصبب من جبيني وضميري يُلهبني بسياط من اللوم والتفريع، إذ كيف أخلاف أمر أمي وأقترف هذا الوزر الأكبر" (١).

"طالب في الرابعة ابتدائي كنت أحب بسيمة حبا يتناسب مع عمري وعمرها وكانت تبدو في نظري كبيرة عالية القدر.

أما أنا فقد عادت الظروف أن تراني أمي وأنا أبكي فسارعت تجفف لي الدموع وهي تقول إن قلبك طيب مثل أمك تماماً، كل شيء يهون يا بني فلا تبكي ولست أدري ما العلاقة بين سفر بسيمة واصابتي بالتهاب في الزور في اليوم نفسه إذ ارتفعت درجة حرارتي وأخذت تتنابني نوبات شديدة من السعال ولم يأتي الليل حتى كنت أهذي من الحمى" (٢).

سليمان كان مريضاً وعلى الرغم من اجتهاده في دراسته طلبت منه المدرسة الذهاب إلى العلاج حتى يشفى تماماً ثم يعود رغم فقر عائلته ومريض أمه فكان يحب بسيمة فعندما سافرت هو مريض كذلك في نفس اليوم.

كان عمي يسكب في أذني مواعظه ويأخذه الحماس الشديد وو يحذرني من أوهام الحب، سأكون غريباً في إحدى المدن لطلب العلم ويحذرني من المغاللات في عواطفني ومن الإفراط والتفريط لأنه سيكون على حساب مستقبلي ونجاحي، وكان العم فريد بالنسبة

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة، ص

٧ .

٢ . المرجع السابق، ص ٥١ .

لسليمان هو مصدر مواعظه فكان دائماً ينصحه ويعطيه دروساً من خلال تجاربه، فالعم فريد عاش حياته بكل أنواعها من حلوها إلى مُرّها فكانت حياته متشابكة مع بعضها البعض لذلك ينصح سليمان بالقيام بالفعل الصحيح والأجدر.

"أجريت العملية الجراحية بنجاح وأفقت من أثر التخدير لأرى بجانبني أسرتنا كلها وهم يبكون" (١).

"عشت أسبوعين غارقاً في الزايات والدعوات والتمنيات الطيبة بالشفاء العاجل" (٢).
مرض سليمان ودخل المستشفى وأجري العملية ومكث أسبوعين في المستشفى وزارته كل عائلته.

"خرجت من عندها قاصداً حجرتي أخذت أجمع ما يكفيني من ملابس وكتب لمدة أسبوع وهو الوقت الذي سيتم فيه زواج ثريا وأضعه في حقيقتي وكأن الدنيا من حولي كانت تعزف لحناً جنائزياً يمزق نياط قلبي والدمع قد احتبس في أعماقي أو بدت لي الدنيا سوداء حزينة لا خير فيها ولا أمل في أيامها" (٣).

لأنه عند ذهابي إلى القاهرة تعرف بفتاة تدعى ثريا وأحبها وعند عودته إلى القاهرة وجد الشوارع مزينة لأنه كان عقد قران ثريا مع رئيس قسم التموين وفي الوقت نفسه رئيس والد ثريا في ٤٥ من عمره وما زال أسبوع فقد على زواجهما لذلك قررت الرحيل إلى أحد أصدقائه لمدة أسبوع من أجل الدراسة للامتحان.

"كانت كارثة ضخمة تلك التي حلت بعد أيام لم يكن باستطاعتي أن أصمد لها، لأنها كانت أكبر من رجولتي وصبر وتعليمي، بل إنها زلزلت إيماني بالحياة ومن فيها بالطموح والأمل والناس والمال وكل ما في الوجود وخيل إلى أن الأقدار تتحداني دائماً وتوجه إلى صفعات ظالمة قاسية.... أتدري لماذا؟! لقد ماتت أمي" (٤).

١. الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ١٤٥.

٢. المرجع السابق، ص ١٤٦.

٣. الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٢٩٨.

٤. المرجع السابق، ص ٣١٩.

أنته الفاجعة وهي وفاة أمه التي كانت تحلم بأن تراه طبيياً فقد أفدته بالنفس والنفيس وكل ما لديها رغم مرضه وكانت أمنيتها أن يكون طبيياً وأن يعالجها لكن الموت كان سباقاً.

الأم:

تشكو من آلام حادة في صدرها وهي حامل في شهرها السادس، "تعد العشاء المكون من الخبيزة وتتأوه باكية (آه يا قلبي) وتصر على تهيئة الظروف المناسبة لعلاجي" (١)

رغم مرض الأم إلا أنها كانت تعمل بجد من أجل الحفاظ على العائلة ومن أجل دفع تكاليف علاج سليمان والتكفل به ليشفى ويعود إلى دراسته.

"جلست بجانبها بالتعويذات والمأثورات المعروفة كما تذهب عني أثر الحسد الذي ظنت أنه سبب دائي فإذا ما عجزت عن الرد بكت أمني وتناست آلامها الشديد الذي يسكن صدرها" (٢).

"كان في صمتها حزن بليغ وأسف عميق لأنها آثرت أن تحتزن آلامها فلا تبوح بها لأحد وهذا هو السبب في آلام القلب التي كانت تعاودها من وقت لآخر قد اشتدت وطأتها في هذه الآونة فلم يعد يهنا لها نوم ولا يطيب لها مطعم حتى ازداد شحوب وجهها، وتدهور قوامها، فإذا ذهبت إلى الصلاة أرى سجودها قد طال فأحسب أنه زيادة التبتل والضراعة لكنه يطول لدرجة تبعث على الشك فأذهب لأحركها في إغماء فأجرى هنا وهناك لأحضر الماء فأبلل بها وجهها، أو أبحث عن بصل تشمها، كنت أخاف أن تروح أمني ضحية هذه الإغماءات فيسقط قلبي عن موضعه" (٣).

"احتجزت ليلي ومحمود في إحدى الحجرات وأغلقت عليهما الباب لأنهما كان مجردين من الثياب تماماً حتى تنتهي أمني من تنظيف الثوب الواحد لكل منهما وغسله" (٤).

١ . المرجع السابق، ص ٤ إلى ٨ .

٢ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٥١ .

٣ . المرجع السابق، ص ٨٥ .

٤ . المرجع السابق، ص ١٩٥ .

خفت على الأم درجة حدة الآلام القاسية الحادة لدرجة كبيرة لأنه سد الدين، لأن الخلاص من أعباء الديون شيء يبعث على السعادة والمتعة ويشعر بالحرية التي لا ينوه جلالها قيود، فقد تم بيع كل ما في المنزل لتسديد الديون.

"جلست تستمع إلي في زهو وانسراح والغبطة تطفو من وجهها، فلا تكاد تلمح أن وراء هذه التقاطيع الضاحكة آلاماً قاسية تحز في قلبها" (١).

الأم هنا تتمنى رؤية سليمان طبيباً وتدعو له قبل وفاتها كما أنها تنصحه بأن يكون رؤوفاً ولطيفاً مع العباد لينال مراده وتخبره كذلك وتذكره عن الحياة القبلية التي كانوا يعيشونها جراء عدم وجود النقود عند الذهاب إلى المستشفى تتساءل في حيرة من أين لنا النقود لشراء الدواء.

الأب عبد الدائم:

"يجلس على الكرسي الخشبي يتيماً وقد أسند خده على راحته وهو يهمس في صوت يشبه النجوى، ويقول: يا رب تسدد ديوني يا رب لا تذلي لأحد يا رب أزرقنا واشف مرضانا.. أفرجها يا رب يا كريم" (٢).

يفكر الأب في ديونه ليل نها، ويتعذب كثيراً بسببها، فلا يحلو له مأكلاً ولا يصفو له مشرب أتعبه التفكير الكثير فكثير عدد الشعيرات البيضاء في رأسه، ولحيته المهملة وشاربه وازدادت وضوحاً وعمقاً في جبهته، حتى لفائف التبغ التي كان يضعها بيده قل عددها وأصبحت رقيقة جداً بحيث أنه لا يكاد يجذب منها نفسين أو ثلاثة إلا وجدها لفظت آخر أنفاسها والشاي الذي لم يكن ينساه بين لحظة وأخرى أصبح لا يناله إلا كل بضعة أيام.

"كان محدود الطاقة فقير المورد وكلما رأى مرسى أبو غفر ازداد وجهه شحوباً وغما واختلجت عضلات وجهه من الغضب المكبوت، وانتقض جسده كله من الغيظ الدفين وبان في عينها الضيق والتبرم.

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ٢٧٢ .

٢ . المرجع السابق، ص ٥٥ .

لم يكن سليمان مطلقاً في ذلك اليوم ولم يأت من الغيظ لتناول طعام الغداء ولعله
احترم عوافي ودموعه ومشاعري البائسة لانه ليس في حاجة إلى المزيد من الألم لنفسه ولي.
باع كل شيء لسد الدين لمرسي أبو غفر ولم يبق له شيء.
أما أبي فجلبابه الأزرق هو هو، لم يتغير، اللهم إلا في لونه الذي حال وأصبح باهتاً
وبعض الرقعات التي أضحت جليلة واضحة" (١) .
مكافحاً من الطراز الأول وأكبر من الزعماء ذوي الهيل والهيلمان، كان رجلاً فلاحاً
لكن بصيرته النفاذة وإيمان العميق دفعاه لأن يؤمن بميولي الخاصة ويؤكد كلامي المنطقي
لأن نفسه البيضاء الصافية لا تعرف جدلاً عميقاً ولا أنانية منحرفة" (٢) .
انفجرت أساريه وأصبح وجهه ضحوكاً باشا يداعب ليلي ويتسم لمحمود ويقبل على
عمله في الحقل أو المنزل بروح طيبة وقوية وشغف زايد .

الشخصيات الفرعية

الإنجليز

وقد وصفهم صاحب الرواية، بأن "لهم مسدسات ومدافع وقنابل ودبابات، الإنجليز
هم أساس البلاء، كما أنهم أقدار لم يكفيهم أن ينتزعوا اللقمة من أفواه الجائعين ويستبعدون،
بل يتسلوا بمنظر البؤس والشقاء الذي يلون حياتنا التعيسة" (٣) ..
وهم كل يوم ذاهبون وراجعون من المستشفى عرباتهم الصفراء، وهم أيضاً: أناس كفار
وغلاظ الأكباد، الموت عندهم أمر معين ومعهم سلاح كثير (٤) .

حسن أبو غفر:

أحد أثرياء الحرب في قرينتنا، وكان يحقد علي لنجاحي في دراستي وقال لي: في
شماتة: جلبابك مرقع.. أأست خزيان (١) .

١ . الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، ص ١٩٥ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٧٨ .

٣ . الطريق الطويل، ص ٣٢ .

٤ . الطريق الطويل، ص ١٩ .

"تاجر يخزن البضائع قبل الحرب وأثناءها، فما إن تأزمت الحالة وانتشر الغلاء وراحت السوق السوداء حتى خرج مخزون بضاعته، فارتفع من رجل فقير مغرور إلى تاجر كبير يملك ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه" (٢) .

والمرابي المعروفة وقد رسم على ثغره ابتسامة مفتعلة صفراء، وأخذ يتهادى في مشيته التي تباعث حذراً وتمناً ودهاء ونظراته التي تعيش هنا هناك وتنححه التقليدي. كان كالحنظل الشديد المرارة.

كانت الحرب خير وبركة عليه فقد هياً له السوق السوداء وعلمته أفضل وسائل الاحتكار وعرفته كيف يصل إلى ذوي السلطات وممن يشرفون على توزيع التموين في البلاد فيترشيهم ويهاديهم ويبني ثروة على الخداع والسحت وعلى أشلاء الضحايا (٣) .

نسيمة:

ذات الاثني عشر ربيعاً لم تكن تكترث لحجة تبديها لها إنما تعلم أننا كنا في ميت غامر حيث الحلوى والفاكهة وكل شيء، فأستنار وجهها الجذاب (٤) .

"كانت كالدمية اللطيفة التي تتعلق بها روح الطفل فيظل بجانبها ويداعبها ويبكي بكاءً مرّاً إذا اختطف أحد منه هذه الدمية، الصغيرة بوجهها المستدير الدقيق الملامح ونظراتها الحنونة البريئة أصبحت خادمة تأمر لتطبيع، وقد تهان وتعيش على فتات الموائد، مسكينة تنساق ساذجة تساق كالذبيحة بينما تغنى وتبتم وتتحدث عن عمها المزعوم الذي سيذهب إليه في الإسكندرية" (٥) .

تجلس داخل الحجرة ذاهلة عن كل شيء تحلق في اللامنظور ولست أدري ما الذي جعلني أشبهها بالأميرة المسحورة كانت جميلة القوام جذابة حلوة التقاطع رغم الشحوب

١ . الطريق الطويل، ص ١١ .

٢ . الطريق الطويل، ص ٥٩ .

٣ . المرجع السابق، ص ٥١ .

٤ . الطريق الطويل، ص ٢١ .

٥ . الطريق الطويل، ص ٢١ .

الذي يكسوها وبروز وجنتيها رغم الدهول الذي تسبح فيه، وألهاني النظر في وجهها عن التدقيق في ملامحها وهندامها (١) .

دخلت البيت كانت تصرخ وتبكي وتهذي كالمحمومة وظلت حياتها بعد ذلك مقسمة بين فترات الدهول قد تطول وقد تقصر وفترات من الهياج والهذيان والبكاء، وكلما رأت أحداً أو سمعت صوتاً مغترباً فزعت وارتاعت وتمسكت بأهداب من حولها.

لأن نسيمة أصيبت بصدمة ولأنه تم الاعتداء عليه من طرف سيدها ويعدها بالزواج كل مرة ولم يفعل، فتدهورت حالتها فمرة تضحك ضحكات هستيرية ومرة تبكي بكاء شديداً، وكل هذا بسبب سيدها فتضل تسأل نفسها وتجيب ومن شدة الأزمة، فضلت أن تقذف نفسها في البحر لكن أمنيته لم تتحقق سرعان ما أنقذوها وقادوها إلى أحد الأقسام فوجدت نفسها بين عشية وضحاها بين السارقات والعاشرات وأصبحت موضع للزراية والاحتقار فانهارت أعصابها وفي الأخير تعود لقريتها وهي بحالتها هذه لتنتحر على سكة القطار وتصبح أشلاء (٢) .

١ . الطريق الطويل، ص ٣١٢ .

٢ . الطريق الطويل، ص ٣٠٦ .

الشخصيات في روايات نسيم حجازي

الشخصيات في رواية السد الأخير

فالشخصيات في روايات نسيم حجازي معظمها رئيسية، تبدأ الرواية (السد الأخير) بشخصية (يوسف) من سكان المدينة المنورة وكان من قائدي جيش الفاتح الكبير صلاح الدين الأيوبي، والذي كان قد نصب لواء المسلمين على قلعة يروشلم قبل استشهاده، وقد ضحى بحياته من أجل الإسلام والمسلمين، فهذه الشخصية رئيسية تضحى بحياتها وتجتهد لخدمة الإسلام والمسلمين.

بعد ثمانية أيام ، قام الجيش الإسلامي بغزو القدس من جميع الجهات. كان السلطان صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) يقود الجيش الغازي على حصان أبيض. كان يوسف الجندي الذي رآه السلطان لأول مرة وهو يتسلق أسوار الحصن بشنقة. كانت السهام والحجارة تمطر من فوق وكان يوسف يحمي نفسه بدرع على رأسه. كانت فرصه في النجاح في الوصول إلى فيصل ضئيلة. قال سلطان في قلبه إذا وصل هذا فيصل إلى بر سأعطيهِ سيفي جزاء. وصل يوسف إلى فيصل وكان عدد من الشباب يقلدونه. قتل سيف يوسف بضعة رجال. كان السلطان يخبر جنرالاته أنه يحق له الآن الحصول على حصاني. كان عدد قليل من المجاهدين يتسلقون الجدار ويوقفون الحراس الذين هاجموا يوسف من الخلف وكان يوسف قد أخذ أرجل ستة أو سبعة جنود بهجمات المتتالية. صلاح الدين رحمه الله كان يقول بفرح أيها الشاب! أجعلك قائد كل جيش أول. ولفت انتباه السلطان إلى جبهة أخرى لبعض الوقت. عندما نظر مرة أخرى إلى ذلك الجزء من الجدار ، استولى جنوده على ذلك المكان ، لكن يوسف لم يكن هناك. سأل صاحبه أين ذهب يوسف؟

فأجاب مشيراً إلى أعلى برج من الباب ، انظروا إلى ذلك! يقاتل يوسف في موقف خطير للغاية.

نظر سلطان. كان سيف يوسف يقاتل ثلاثة سيوف في نفس الوقت. وصل اثنان من جنود السلطان لمساعدته. بضربة واحدة من سيف يوسف ، انكسرت علامة الصليب. قال سلطان بدموع الفرح في عينيه انت ابني. انا اعينك والي هذه المدينة. لكن السيف سقط من يد يوسف وكان شاب يحاول مسانده. تعرف عليه سلطان. كان أحمد بن حسن.

دخل جنود السلطان وفتحوا بوابة الحصن. ألقى العدو ذراعيه. ركض سلطان حصانه ودخل الحصن وترجل من على ظهره وتسلق البرج على عجل مع عدد قليل من جيشه. ظهرت على جسد يوسف علامات إصابة. كان أحمد يعطيه ماء من شغاله. جثا السلطان على الأرض وجلس بالقرب منه. بعد أن لعب بدرعه رأى جروح ووضعه على يده على نبضه وقال بنبرة قاتمة يا بني! جعلتك والي هذه المدينة. ربما كان عهدك قصير جدا. إذا كنت تريد تنفيذ أمر على سكان المدينة ، فأسرع!

وقال أحمد بن حسن إن حاكم هذه المدينة يرغب في تثبيت علم النصر بيديه. رأى السلطان بريقًا غير عادي في عيون يوسف بهذه الكلمات. رأى السلطان نبضه مرة أخرى وأشار إلى جندي ليحضر العلم. خلع ضابط صليب الشارة المكسور ورماه بعيدًا. السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وأحمد بن حسن رفع يوسف بدعم. عادت يدي يوسف الميتة للحياة فجأة. قام بتثبيت العلم. كانت هناك ابتسامة على شفثيه. الابتسامة التي لا يم الابتسامة التي لا يملكها إلا الشهداء في سبيل الله. وفجأة خرجت هذه الكلمات من شفثيه زاهدة! لقد تم احتلال القدس!

بأمر من السلطان ، تم نقل يوسف إلى غرفة في القصر الملكي. آخر ما قاله لأحمد بن حسن وهو عقله هو هذا أحمد! جزء واحد فقط من صلاة زوجتي كان القبلة. لم أستطع أن أصل إليه بخبر انتصار القدس ، لكن سرا من الطبيعة يأتي الآن إلى فهمي. زاهدة تنتظرنني في مكان آخر غير بغداد. لو كانت في هذا العالم ، لكنت وصلت بغداد بالتأكيد. شعرت بها وهي تراقبني وهي ترفع العلم! تذهب إلى بغداد. إذا كانت شاندا ، فمن حقه أن يكون

أول من يسمع نبأ انتصار القدس في بغداد. إذا لم يكن على قيد الحياة ، فأنا أعطيك ابني! وبعد قول هذا أغمض عينيه وراح يردد زاهدة بصوت خفيض! لقد جئت إلى القدس محتلة. لقد رفعت راية النصر بيدي! فتح عينيه مرة أخرى. نظر إلى سلطان وأحمد ، ولكن بعد أنفاس طويلة ، كانت حجاب الموت أمام عينيه.

قال سلطان احمد! استعدوا للذهاب إلى بغداد على الفور! أعطيك بعض المال لأرملة يوسف. إن لم يكن حيا إن شاء الله أوكل إليك رعاية أخيه.

والشخصية الرئيسية في الرواية هي شخصية (طاهر) بطل الرواية وتدور أحداث الرواية حوله وكان من سكان المدينة يرتحل إلى مدينة بغداد بأمر من أستاذه، وتتصف هذه الشخصية بالذكاء والفطنة، عالما بأمور الفروسية والجهاد، فقد وهبه صلاح الدين سيفه لشجاعته وبطولته، حاول نشر الإسلام وإيقاظ المسلمين النائمين لمقابلة التتار والاستعداد للجهاد ضده.

كانت شخصية (طاهر) شخصية رئيسة من أول الرواية إلى نهايتها في شجاعته وبطولتها، للدفاع عن الإسلام والمسلمين من التتار.

وكذلك نجد في الرواية شخصية (مهلب بن داود) وهذه الشخصية كانت من أسرة فقيرة، وكان مهلب ذكياً جداً، فكان يعمل لأهدافه الخاصة وحاول تدمير البلاد، إذ كان له الدور الحقيقي خلف المؤامرات ضد (طاهر) بطل الرواية وأصدقائه، وهذه الشخصية كانت تقوم على هلاك الأقاليم والأمم لمصالحها الذاتية، حيث نجحت في مصالحها، وفتحت الطريق لتتار بالدخول إلى بغداد ودمارها.

وهذه الشخصية أيضاً ثابتة من أول الرواية إلى نهايتها، هدفها دمار الأمم والأقاليم لمصالحها الذاتية.

وكذلك نجد في الرواية شخصية (مهلب بن داود) وهذه الشخصية كانت من أسرة فقيرة، وكان مهلب ذكياً جداً، فكان يعمل لأهدافه الخاصة وحاول تدمير البلاد، إذ كان له الدور الحقيقي خلف المؤامرات ضد (طاهر) بطل الرواية وأصدقائه، وهذه الشخصية كانت تقوم على هلاك الأقباط والأمم لمصالحها الذاتية، حيث نجحت في مصالحها، وفتحت الطريق لتتار بالدخول إلى بغداد ودمارها.

وهذه الشخصية أيضاً ثابتة من أول الرواية إلى نهايتها، هدفها دمار الأمم والأقباط لمصالحها الذاتية.

الشخصيات في رواية حكاية مجاهد

نعيم

شخصية (نعيم) وهو بطل الرواية تدور الأحداث حوله، وكان يعيش في مدينة البصرة، أحب فتاة اسمها (عذراء) كانت تعيش مع أسرته بعد وفاة والديها، وانت علاقته مع عذراء علاقة مبنية على البساطة والألفة.

تعلمت هذه الشخصية الفنون الحربية لتلتحق بجيش (محمد بن قاسم)، ترجح هذه الشخصية الجهاد أكثر من حبها لعذراء وتدع أخيره عبد الله يتزوج من عذراء التي أحببتها. فكان نعيم بطلاً شجاعاً، حاول كثيراً الدفاع عن الدين الإسلامي بجهاده ومهارته حيث سقط مجروحاً في إحدى معاركه أدت إلى وفاته.

وهذه الشخصية مسطحة أي (ثابتة) من أول الرواية إلى نهايتها وهو ترجيح الجهاد بدلاً من الحب وإعلاء كلمة الله والمحافظة على المسلمين من الأعداء، وهي شخصية رئيسية في الرواية.

عبد الله

شخصية عبد الله وهو أخ أكبر لبطل الرواية، تعلم الفنون الحربية، وذهب للجهاد بعد إذن من أمه، يتزوج من عذراء بعد اختفاء أخيه (نعيم) للمحافظة عليها، ثم يرحل للجهاد مرة أخرى وينال انتصارات في مختلف المعارك، يساعد أخاه نعيم للخروج من السجن. إن تاريخ الإسلام من ٣٥ إلى ٧٥ هـ حافل بمثل هذه الأحداث الدامية التي أراق عليها الكثير من الدموع في القرون الماضية ولن تنتعش ذاكرتها دون دموع وتنهيدات في المستقبل. استمر السيف الذي رفع باسم الله في قطع حناجر أولئك الذين أخذوا اسم الله خلال تلك الفترة. كان الخطر يتزايد يوماً بعد يوم من أن المسلمين لن يكونوا محاصرين في شبه الجزيرة العربية بالسرعة التي انتشروا بها في جميع أنحاء العالم في بضع سنوات. في ذلك الوقت كانت الكوفة والبصرة مركزين لمؤامرات مختلفة. لقد نسى المسلمون تقاليدهم الأولى وابتعدوا عن روح الجهاد. ومن وجهة نظرهم، لم تكن هناك أيديولوجية سوى السعي لتحقيق

الأهداف والغايات الشخصية والجلوس على أمورهم الواجبة وغير الإلزامية. كانت هناك حاجة إلى يد من حديد لإعادة المسلمين إلى المركز.

اندلع جبل بركاني في الصحراء العربية وابتلعت شرارات التمرد المحترقة في العرب وغير العجم بشعلة هذا الجبل البركاني المهيب. هذا الجبل البركاني كان حجاج بن يوسف. صارمة للغاية ولا ترحم ووحشية ، لكن الطبيعة أرادت إنهاء الحروب الداخلية في الصحراء العربية وتحويل خيول المسلمين السريعة نحو ساحات القتال في الشرق والغرب.

يمكن تسمية حجاج بن يوسف بصدیق المسلمين وأيضاً أسوأ عدو. أفضل صديق لأنه يخلق جوًا سلميًا ويمهد ثلاثة مسارات عظيمة للتقدم. كان أحد الطرق هو الذي قاد جيش المسلمين إلى فرغانة وكاشغار. والطريق الثاني هو الذي أخذ المسلمين إلى سمند إقبال إلى حدود المغرب وإسبانيا وفرنسا. والطريق الثالث هو الذي أخذ حفنة من جيش محمد بن قاسم إلى السند.

أسوأ عدو بسبب سيفه الماص للدماء الذي كان يستخدم لقطع رؤوس الأشرار والمفسدين. في بعض الأحيان يتجاوز حدوده ويصل إلى رقبة الأبرياء. لو لم يتلخح حجاج بن يوسف بدماء الظالمين ، لما كان هناك سبب يمنع التاريخ من رؤيته رجلاً عظيماً في ذلك الوقت. لقد كان إعصاراً فجر العديد من الأزهار العطرية والبراعم الخضراء لجولشان إسلام جنباً إلى جنب مع الشجيرات الشائكة.

ومع ذلك ، كان جزء من عهده مأساوياً للغاية والآخر سعيداً للغاية. كان مثل الريح التي تقطع سرعتها بعض الأشجار الخضراء ، ولكن في أحضانها تمطر السحب الخفية وتجعل آلاف الحقول الجافة خضراء وخضراء.

عام ٥٧٥ هـ انتهت الحروب الأهلية في الصحراء العربية. ثم قام المسلمون بالقرآن بيد وسيف في اليد الأخرى. في ذلك الوقت ، بدأت مناقشة اسم زيد بن أمير مع اسم حجاج بن يوسف. زيد بن أمير كان في الثمانين من عمره. كان في شبابه تحت نير أولئك الفرسان الذين داستوا إمبراطورية قيصر في إيران وسوريا وفلسطين. وعندما رفض ضعف الشيخوخة حمل السيف ، قبل منصب قاضي في إحدى مقاطعات إيران. عندما اندلع تمرد

في شبه الجزيرة العربية ، وصل ابن عامر إلى الكوفة وحاول تحسين الوضع هناك بالوعظ ، لكن صوته ثبت أنه صوت في الصحراء.

ولما رأى معصية أهل الكوفة وصل ابن عامر إلى البصرة إلا أن أحوالها لا تختلف عن الكوفة. لم ينتبه له الأشخاص الكسالى وذوي العقول الشريرة. محبباً من الصغار والكبار ، ركز ابن عامر كل آماله على الأطفال الصغار وبذل كل جهوده لتعليمهم وتدريبهم. أعجب حجاج بن يوسف بهذه الخدمة المتفانية وتولى جميع نفقات المساعدة. لإكساب الطلاب مهارات كاملة في الحرب والفروسية وما إلى ذلك ، تم توفير أفضل سلالات الخيول وأسلحة جديدة وتم إعداد إسطنبول رائع بجوار مدرسة الخيول.

كان الطلاب يجتمعون كل مساء في حقل واسع بالقرب من المدرسة. هناك تلقوا تدريبات عسكرية عملية. اعتاد الجميع على التجمع حول هذا المجال في المساء لمشاهدة الحيل الجديدة للطلاب في فن المبارزة ورمي الرمح وركوب الخيل.

عندما سمع سعيد شهرة هذه الحوزة ، كتب رسالة إلى صبرا واقترح إرسال عبد الله إلى هذه المدرسة. كان عبد الله يتقدم مرتين ليلاً ونهاراً بأربعة أضعاف في هذه البيئة. بينما كان موضع حسد العديد من أقرانه في التعليم ، فقد حقق أيضاً مكانة متميزة في فنون الدفاع عن النفس.

مرت سنتان فقط منذ قدوم عبد الله إلى هذه المدينة حتى أصبح أطفال وشيوخ البصرة على دراية باسمه. حتى من وجهة نظر ابن عامر لم يخف جوهر هذا التلميذ الموهوب.

وهذه الشخصية أيضاً ثابتة غرضها الجهاد من أول الرواية إلى نهايتها وهي شخصية ثانوية في الرواية.

يوسف

"چند دن کے بعد صلاح الدین ایوبی رحمہ اللہ شعلیہ کی فوج میں کوئی شخص ایسا نہ تھا جو احمد بن حسن اور یوسف بن ظہیر سے واقف نہ ہو۔ ایک سال کے بعد یوسف سلطان کے جانبازوں میں سے بے دستے کا سالار اور احمد بن حسن مجلس شوری کارکن بشن چکا

تھا۔ دونوں کو ایک دوسرے سے غایت درجے کی عقیدت تھی۔ میدان جنگ میں اگر احمد بن حسن کو کسی پرش رک آسکتا تھا تو وہ یوسف تھا اور علماء کی محفل میں یوسف اپنے دوست کی برتری کا اعتراف کرتا تھا۔
سر جھکا کر سوچنے کے بعد سپاہی کی طرف دیکھنے لگا۔
یوسف نے اپنے چہرے پر ایک غمگین مسکراہٹ لاتے ہوئے کہا: آپ کو جزا دے، اور پھر دوبارہ خط دیکھنے میں منہمک ہوگی۔

رات خدا سے دعا کرتی ہوں کہ یروشلیم پر جھنڈا نصب کرنے کی سعادت آپ کے حصے میں آئے۔ ظاہر بہت خوش ہے اور محسن کی بیوی میرا بہت خیال رکھتی ہے۔ مجھے کسی قسم کی تکلیف نہیں۔" (۱)۔

" و بعد أيام قليلة لم يكن في جيش صلاح الدين الأيوبي أحد لا يعرف أحمد بن حسن ويوسف بن ظهير. بعد عام ، أصبح يوسف قائداً لجيش السلطان وأصبح أحمد بن حسن عضواً في مجلس الشوري. كلاهما كان لديه إخلاص عميق لبعضهما البعض. لو استطاع أحمد بن حسن أن يقف ضد أحد في ساحة المعركة فهو يوسف ، وكان يوسف يعترف بتفوق صديقه في جمع العلماء.

وكان يوسف وأحمد بن حسن قد تعهدوا بعدم الذهاب في إجازة حتى يتم تثبيت علم الهلال في القدس مرة أخرى بدلاً من الصليب. في الأيام التي كان فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي (صلى الله عليه وسلم) يستعد للهجوم الأخير على القدس ، كان بعض المتطوعين من جيش السلطان الذين غادروا في بغداد. عاد ودخل أحد الجنود خيمة يوسف وقدم خطاب زوجته. فتح يوسف الرسالة وقرأها ونصحه بالجلوس وبعدما تفكر برهة نظر إلى الجندي. قال الجندي كنت سأرسل زوجتي إلى منزلك. كانت تصف الحالة الحرجة لزوجتي أب. لذلك رأيت طفل الماء ، إنه بصحة جيدة. لقد أخبرت زوجتي. هي تعتني بزوجاتك.
قال يوسف وهو يتسم ابتسامة حزينة على وجهه: "أتمنى أن تكافأ ، ثم تنظر إلى الحرف مرة أخرى".

بعد فترة ، كان يوسف يتجول بقلق في خيمته وحده. بعد قراءته خمس أو ست مرات ، حفظ هذه الكلمات من الرسالة القصيرة"

" زوجي! تلقيت رسالتك بعد طول انتظار. أتمنى أن أرى معك علم الإسلام يركب على القدس. أنا مريض قليلاً لكن لا تقلق. سوف أتعافى بسماع خبر انتصار القدس. نعم ، أريدك أن تكون أول من يخبرني عن انتصار القدس. وقي بتعهدك. أدعو الله كل ليلة أن تنعموا برفع العلم على القدس. طاهر سعيد جدا وزوجة محسن تعطني بي كثيرا. لا أشعر بأي ألم "

عذراء

عذراء من الشخصيات الثانوية في الرواية وهي الفتاة التي كانت تعيش في بيت بطل الرواية نعيم بعد وفاة والديها ، فكانت تحب نعيم ولكن العلاقة بينها وبينه علاقة المودة والألفة منذ صغرها وعلاقتها مع عبد الله أخ نعيم علاقة الحياة والكلفة. تتزوج من عبد الله بعد انتظارها الطويل لنعيم واختفائه لتحفاظ على نفسها، وهي شخصية ثابتة في الرواية هدفها الحفاظ على نفسها خاصة بعد وفاة والديها.

ابن الصادق

وهي شخصية ثانوية في الرواية وثابتة أي مسطحة غرضها بُعد الناس عن الجهاد ونشر الفساد والفتن بين المسلمين. وكانت هذه الشخصية من أسرة يهودية، تعلم عدة لغات، تغزل بامرأة نصرانية اسمها (مريم) فاعتنق النصرانية، ولكنها أحبت أخاه (إلياس) وتزوجت منه. فيعتنق ابن الصادق الإسلام، ولكنه رجل منافق يحرض الناس عديم المشاركة في الجهاد، وكانت حياته خالية من اللهو والمجون، حيث قتل نفسه بأكل السم خلال السفر عندما طلبه الخليفة عمر بن عبد العزيز مقيداً بالسلاسل. وهذه الشخصية شرسة غرضها نشر الفساد وهي شخصية منافقة.

ذليخا

وهي شخصية ثانوية في الرواية، وهي بنت نصرانية اختطفها ابن الصادق لمعاقبة أمها مريم التي تزوجت من أخيه.

ساعدت بطل الرواية بالهروب من قبضة ابن الصادق، وكانت تحب نعيم، حيث طلبت منه الخنجر علامة منه لكن أحد الأعداء طعنها بالخنجر الذي أعطاها نعيم وتعتنق الإسلام في آخر حياتها ملبية على طلب نعيم لها بذلك.

وهذه الشخصية ثابتة في الرواية غرضها الدفاع عن بطل الرواية لأنها كانت تحبه. مرت طفولة صبرا وشبابها بأقصى مسارات الحياة. في عروقه كانت دماء هؤلاء الفرسان العرب الذين أظهروا جوهر سيوفهم في حروب الكفر والإسلام الأولى. عاد جده من اليرموك في صورة غازي واستشهد في القادسية. كانت على دراية بكلمات غازي وشهيد منذ طفولتها ، بل يجب أن يقال إنها عندما حاولت نطق الأحرف الأولى أأ بلسانها الصغير ، كانت أول جملة تعلمتها والدتها هي أبا غازي وبعد أيام قليلة الدرس أبا: كان شهيدا. بعد أن نشأت في مثل هذه البيئة ، كان من المتوقع أن يكون شبابها وكبر سنها هو كل ما يمكن توقعه من امرأة مسلمة مطيعة. عندما كانت طفلة ، كانت تروي حكايات عن شجاعة المرأة العربية. في سن العشرين كانت متزوجة من عبد الرحمن ، وكان الزوج الشاب يتمتع بكل صفات المجاهد ، ودائماً ما ألهمه حب زوجاته المخلصات للجهاد بدلاً من حصره داخل جدران المنزل.

عندما غادر عبد الرحمن إلى الجهاد للمرة الأخيرة ، كان عبد الله في الثالثة من عمره وكان نعيم أقل بقليل من ثلاثة أشهر. حمل عبد الرحمن عبد الله وعانقه وقبل نعيم من حجر صبرا. ظهرت نظرة خفيفة من الاشمئزاز على وجهه ، لكنه حاول على الفور أن يبتسم. عندما رأت رفيق حياة يغادر إلى ساحة المعركة ، شعرت صبرا وكأن قلبها عاصفة لفترة ، لكنها لم تسمح للدموع بالتدفق في عينيها.

الشخصيات في رواية محمد بن قاسم

محمد بن قاسم

شخصية محمد بن قاسم وهي شخصية رئيسية في الرواية، وهو بطل الرواية كان بارعاً في الحروب عالمياً بكل الفنون الحربية، وكان شاباً شجاعاً وحكيماً، تزوج من ابنة الحجاج (زيدة) وأثناء الحرب عالج كثيراً من جرحى المسلمين وعاملهم معاملة حسنة.

وجه كثيراً من أهل السند إلى الإسلام لحسن خلقه، فقد أبلى بلاءً حسناً في عدة معارك في السند، حيث فتح مدن كثيرة في السند وانتصر في كل معركة قادها ضد أعداء الإسلام في السند.

١. وكانت نسب محمد بن قاسم على النحو التالي: محمد بن قاسم بن محمد بن

حقام

٢. هذا من حجاج بن يوسف: حجاج بن يوسف بن حقام

يتضح مما تقدم أن حجاج ووالد محمد بن قاسم "قاسم" كانا أبناء عمومة ، لذا فإن من يسمون محمد بن قاسم ابن عم الحجاج ليسوا على حق ، كما أن محمد بن قاسم غير صحيح. عن الحجاج ، يُسَلَّم إليه أنه يتبين من الأنساب أن محمد بن قاسم لم يكن ابن أخ الحجاج ، بل كان من أقرباء أخيه. الآن مشكلة الصهر متروكة ، لذلك سيتم حلها مع مشكلة العمر لأن كلاهما مترابط.

لننتقل الآن إلى المشكلة الثانية وهي ما كان العمر الحقيقي لمحمد بن قاسم وقت فتح السند؟ هناك نوعان من النظريات في هذا الصدد. تقول إحدى النظريات أن العمر كان "١٧" سنة بينما تقول النظرية الأخرى أن العمر كان "٢٧" سنة. وحجة القائلين بأنه بلغ السابعة عشرة من العمر هي القصيدة التي أثنى فيها شاعر على محمد بن قاسم وقال: "إنه

(محمد بن قاسم) قاد الجيش وهو في السابعة عشرة من عمره". يعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) كتب منذ ١٥ سنة.

ويقول من شغل المنصب ٢٧ سنة أنه يتضح في كتب التاريخ أن محمد بن قاسم تولى والي بلاد فارس عام ٨٣ هـ ، وأن غزو السند حدث بعد ذلك بعشر سنين أي عام ٩٣ هـ. الآن ، إذا كنا نعتقد أنه كان يبلغ من العمر ١٧ عامًا وقت غزو السند ، فسيكون من الصعب تصديق أنه كان يبلغ من العمر ٧ سنوات وقت غزو بلاد فارس ، وهذا أمر مستحيل. لذلك ، فمن الصحيح أنه كان يبلغ من العمر ١٧ عامًا وقت إقليم فارس ، مما يجعله يبلغ من العمر ٢٧ عامًا وقت فتح السند.

في الأصل ، تعني عبارة "قد اليهودي لمدة سبع سنوات" قيادة الجيش في سن ١٧". حيرت هذه الجملة المؤرخين القدامى والحديثين قليلاً. وقد قيل هذا النصر عند بعض المؤرخين بمناسبة السند ، وقيل عند البعض بوفاة محمد بن قاسم. ولأنه كان والي بلاد فارس عام ٨٣ هـ ، فمن المستحيل أنه كان يبلغ من العمر ١٧ عامًا وقت فتح السند. لأنه لم يكن المالك الاسمي لشيراز (المدينة الفارسية التي تولى فيها محمد بن قاسم الوالي) ، لكنه أيضًا جعل شيراز جميلة جدًا وبعد الاطلاع على التفاصيل الموجودة في هذا الصدد ، كان هذا بعيد المنال. ذهبوا إلى السند في سن ١٧. ولأنها كانت قصيدة متصلة ، فهناك احتمال للخطأ كما كتب يعقوبي ١٥ بدلاً من ١٧. لذلك ، لا يمكن قبول منصب ١٧ عامًا. ثم السؤال هو كم كان عمره؟

يمكننا تتبع هذا من تقليد يجعل مسألة العمر واضحة للغاية. في "كتاب الأغاني" يروي أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) إشارة إلى الإمام المدني (توفي ٢٢٥ هـ ، للأسف لم يتم حفظ كتبه) أن حجاج طلب من أخته "زينب" الزواج منها. اختر أحدهما:

١. محمد بن قاسم ١٧ سنة ذائع الصيت بين بني ثقيف.

٢. الحكيم بن أيوب بن الحكيم ابن عم حجاج.

اختارت أخت حجاج الترتيب. من هنا حُلَّت مشكلة الصهر بأن محمد بن قاسم لم يكن صهر الحجاج ، لكن حتى لو اختارت أخت الحجاج محمد بن قاسم ، لكان محمد بن قاسم ابنة- صهر ، وليس صهر. ويذكر كذلك أنه بعد هذا الزواج ، أصدر الحجاج أمر والي البصرة. نعرف شيئين من هذا التقليد:

١. حجاج نفسه أخبر أخته أن محمد بن قاسم يبلغ من العمر ١٧ عامًا.

٢. بعد زواجه من أخت حجاج ، أصبح محافظًا للبصرة.

الآن إذا عرفنا متى حصلت القيادة على محافظة البصرة؟ لذا فإن مشكلة عصر محمد بن قاسم تحل بنفسها. وفي هذا الصدد خفف عننا معلم الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، وأبرز أحاديث السنة ، الإمام خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هجرية). كتب الإمام خليفة بن خياط في الصفحة ٢٩٣ من تاريخه أن "حكّم بن أيوب تولى ولاية البصرة" عام ٧٥ هـ. وهذا يدل على أن الادعاءات حول عمر محمد بن قاسم بأنه كان يبلغ من العمر ١٧ أو ٢٧ عامًا وقت فتح السند ، كلاهما لا يستند إلى الواقع. في وقت فتح السند ، كان عمر محمد بن قاسم الفعلي "٣٤ عامًا". قد يتفاجأ البعض من أنه حتى الآن كان الخلاف حول "١٧ أو ٢٧" مستمرًا ، وفجأة المطالبة بـ "٣٤" ولكن إذا لم يأت ضيق العمود ، لكان قد ثبت بمزيد من الحجج أن سن ٣٤ يصلح. يجلس إما ١٧ أو ٢٧.

لذلك كانت نتيجة كل هذا النقاش أنه في وقت فتح السند كان محمد بن قاسم "٣٤ سنة" وهو ابن شقيق الحجاج وليس صهره. لم يكن هناك صهر أو ابن عم. وهذه الشخصية ثابتة (مسطحة) من أول الرواية إلى نهايتها غرضها الجهاد والانتصار على العدو، ونشر الدين الإسلامي بالأخلاق الحسنة.

أبو الحسن

وهي شخصية ثانوية، كان أبو الحسن رجلاً من العرب، كان يرحل إلى السند للتجارة، وكان ينشر الإسلام في لاسند وينقل إليهم المعلومات عن الإسلام والمسلمين إليهم، وتزوج أبو الحسن من المرأة السندية وولدت له ولدان، فأسر أبو الحسن وبعد فك الأسر مات بسبب الجروح الكثيرة. وهي شخصية مسطحة من أول الرواية إلى نهايتها.

مرت ثماني عشرة سنة على زواج أبو الحسن. كان خالد في السادسة عشرة من عمره ونهيد في الرابعة عشرة من عمره. مع سقوط الخليفة وليد بدأت الفتوحات الجديدة للمسلمين. ذات يوم وصلت سفينة من تجار السند. وكان معه مسيحي من عمان. أخبر تجار السند عرب الجزيرة عن الفتوحات المعجزة للمسلمين في تركستان وشمال إفريقيا. أكد رجل الأعمال العماني كل هذه الأمور. وكان أبو الحسن وبعض أصحابه مستعدين للحج. الآن إلى جانب نوايا الحج ، انضم أيضًا شغف الجهاد.

اعتاد الملك أن يروي أخبار الدول الجديدة من أفواه التجار القادمين من الخارج باهتمام كبير. ولدى سماعه نبأ الفتوحات الأخيرة للمسلمين ، استدعى أبو الحسن وأبدى رغبته في إرسال بعض الهدايا من الذهب والمجوهرات إلى خليفة المسلمين أو والي العراق. أجاب أبو الحسن. سوف آخذ هدايا من الماء لهم بكل سرور. باع تجار السند بضائعهم وعادوا إليها بعد شراء بضائع جديدة. بعد أيام قليلة من مغادرتهم ، استعد أبو الحسن ورفاقه لرحلة الحج. هذا العام ، باستثناء المسلمين التسعة في سارانديب ، كان عدد العرب الذين يؤدون فريضة الحج مرتفعًا أيضًا بشكل غير عادي.

وبقي طلحة وثلاثة تجار عرب آخرين في الخلف لرعاية منازل الحجاج. بعض العرب تركوا أطفالهم الصغار تحت حماية طلحة وأخذوا زوجاتهم معهم ، وبعضهم ترك أهلهم في المنزل.

كان أبو الحسن ينوي اصطحاب زوجته وأطفاله معه ، ولكن قبل الرحلة بثلاثة أيام ، مرض السالمي فجأة واضطر إلى تأجيل هذه النية.

كان خالد ، مثل نسر صغير يرفرف في العش بعد الفقس ، مصممًا على إظهار صفاته العسكرية في مجال العمل ، لكن مرض والدته أجبره على البقاء في المنزل. ووعده أبو الحسن بإرساله في جولة في شبه الجزيرة العربية بمجرد عودته.

في يوم الخروج من المستشفى أصيبت سالمي بحمى شديدة لكنها لم تستلق في الفراش رغم الألم الشديد. قبل أن تقول وداعًا لزوجها ، توصلت. ينظر! أنا بخير تمامًا. خذني معك لا تنسى وعودك.

ورد أبو الحسن بنبرة حزينة. لا ، الحمى الموسمية ستؤذيك كثيراً على متن السفينة. عندما تكون بخير ، سأرافقك في رحلة أخرى. اسمع ، سأترك خالد ونهيد في رعايتك. سوف تعني بك طلحة أيضاً.

قال لا والدموع في عينيه! خذني بالتأكيد! أستطيع أن أتحمل كل الآلام معك. قال أبو الحسن. لا تكن عنيدا. انظر مدى سرعة نبضك. وجهك أحمر بسبب الحمى. أنت لم تسافر أبداً عن طريق البحر. سأعود قريباً.

لا ! أدرك هذه المرة أن رحلتك طويلة جداً وقد لا أستطيع الانتظار طويلاً. أجاب أبو الحسن بوجه حزين. سلمى! أنت تبكين ، لقد مرت سنوات عديدة منذ أن أخبرتك أن المرأة المسلمة لا تذرّف الدموع عند وفاء المجاهدين.

كان لهذه الكلمات تأثير سحري على السالمي. مسحت دموعها وحاولت أن تبسم. السبب الذي جعلني أشعر بالاكئاب الشديد ليس لأنك كنت تغادر ، ولكن لأن الماء كان يتركني. إذا كنت قد أخذتني مرة إلى ميدان الجهاد ، فربما لم تلومني على الضعف. أستطيع أن أقف معك في وابل السهام ، لكن انتظارك كل يوم صباحاً ومساءً ، التسلق على سطح المنزل والنظر إلى البحر سيكون اختباراً للصبر بالنسبة لي.

أجاب أبو الحسن. هذا الصبر جهاد النساء. ما لا يستطيع الرجال فعله في الميدان. يمكن لهؤلاء النساء الجلوس داخل جدران المنزل الأربعة. لا يمكن للمرأة أن تصبح خالد (رضي الله عنه) وموشاني (رضي الله) ولكن يمكن أن تحصل على مكانة أمهاتها. اليوم جنودنا يقاتلون بعيداً عن منازلهم وهؤلاء النساء يرفعن طموحاتهن. الذين يتحملون مسؤولية الأمهات والأخوات والزوجات بصبر واستقلالية. بفضل ثقتهم بهم ، فإن التفكير فيما سيحدث لأطفالهم وأطفالهم في المنزل لا يسبب القلق في قلوبهم. سلمى! أخبرني أنت. هل الجندي الذي يظن أن الزئير زوجته ستصاب بالعمى والأطفال سيتعثرون في الشوارع؟ هل يمكن أن تموت مبتسماً مثل رجل شجاع؟ افترض ، إذا لم أحضر ، فلن ترسل خالد إلى الجهاد مثل الأمهات العربيات الأخريات؟

رد السلمي. تعتقد! إذا كنت لا تمنع في أن تكون أباً سيئاً لخالد ، فأنا لا أريد أن أكون أمّاً سيئة أيضاً.

غادرت سفينة أبو الحسن في المساء. كان السالمي يقف على السطح ونهيد ينظر إلى البحر. على الرغم من ضبط النفس ، اندلعت الدموع في عينيه. قال نهيد. أم ! لقد وعدت أبي ألا تذرف الدموع أمامنا. فأجابها السلمي وهي تمسح دموعها. بنت! أتمنى لو كنت أنا فقط ، قلبي ضعيف جداً مقارنةً بوالدك.

جلس السلمي قائلاً هذا. قالت ناهد وهي تضع يدها على نبضها. أم! لا تزال تعاني من الحمى. انت ترقد في السرير!

جي رام

وهي شخصية ثانوية في الرواية، ولكنها شخصية متطورة نامية كانت في البداية شخصية شرسة غير مسلمة ولكن في النهاية أصبحت شحصيت تحب الصلح واعتنقت الإسلام متأثراً من أخلاق المسلمين.

منجو

شخصية منجو شخصية ثانوية أيضاً، كانت قائد النهايين وقطاع الطرق، وكانت شخصية شرسة تنهب أموال الناس وتعتقلهم في الأبر، ولكن بعد أن وقع في الأسر تابت من عملها الشنيع ووعده بالاجتهاد للعمل الصالح، وبعد ذلك قبلت هذه الشخصية الإسلام مع بعض أصدقائها بسبب أخلاق المسلمين الحسنة.

وهذه الشخصية متطورة نامية في الرواية، وكانت في البداية شخصية شرسة ثم تابت من أعمالها الشنيعة واجتهدت للعمل الصالح.

حاكم برتاب راي

هذه الشخصية من الشخصيات الثانوية في الرواية وهي شخصية ثابتة مسطحة في الرواية غرضها النهب والظلم على المسلمين وغيرهم، فقد اسر بتراب راي الكثير من مسلمي العرب.

زبير

شخصية زبير من الشخصيات الرئيسية وهي شخصية مسطحة ثابتة.

كان زبير رجلاً يحب الجهاد، حيث تقاتل ضد الأعداء بكل مهارة للحفاظ على المسلمين وكان زبير صديقاً حميماً لبطل الرواية (محد بن قاسم) فقد حزن حزناً شديداً عندما قتل بطل الرواية بأمر من الخليفة لأنه كتب رسالة إلى الخليفة ليخبره عن صدق صديقه ولكنه تأخر وقتل صديقه.

وكان رجلاً صالحاً محباً للإسلام والمسلمين، وكان يدافع عنهم بكل قوة.

انظر إلى كلامه هنا :

بدأت أحداث هذه الرواية من سنة ٤٥ إلى ٩٧ هـ، وقسمت الرواية إلى قسمين جزئيين فيضم الجزء الأول عشرة موضوعات وأما الجزء الثاني فيضم اثني عشر موضوعاً. تبدأ الجزء الأول من الرواية عن مجتمع منطقة سيلون (سري لينكا) ساحل سرانديب، يسكن فيها العرب وأهل القرية معاً منذ قرن من الزمان، وبعد نشر نور الإسلام في هذه المنطقة وكثرت فتوحات العرب على هذه المنطقة حتى دخل حاكم المنطقة في الإسلام، أثناء ذلك رست باخرة لتجار العرب وراء الساحل، فيخرج العرب وسكان المنطقة بزوارقهم الصغيرة نحو الباخرة من أجل شراء بضائع تجارية ثم يمكث أمير الباخرة أبو الحسن مع صديقه من تجار العرب في بيت عبد الشمس، فكانوا يخرجون العرب المقيمين في هذه المنطقة للقاء الحاكم المحلي ونقل المعلومات عن الإسلام والمسلمين إليه وبعد تعيين طلحة لتربية حديثي الإسلام، يرجع باقي التجار إلى مناطقهم، وأثناء قيام أبي الحسن عند عبد الله (عبد الشمس) ينشأ حب بين أبي الحسن وسلمى ابنة عبد الله (عبد الشمس) وهذا الحب أنشئ بسبب هيبة سلمى من أبي الحسن وبسبب حبها الذاتي له، وبعد مرور ثمانية أشهر رست سفينة أبي الحسن على ساحل سرانديب بأسطول تجاري آخر، وكيفية

ذلك الحب والألفة التي كانت في حالته الابتدائية كما تركها أبو الحسن قبل ثمانية أشهر تستبدل إلى عقد الزواج. (١)

فسبب ولادة خالد وناهيد عند أبي الحسن وسلمى أضاف من حسن عشرتهما وحبهما، وعندما يبلغ الطفلان إلى ٦ سنوات وإلى ١٤ سنة، يقرر أبو الحسن بالرحيل إلى بيت الله الحرام من أجل الحج، وكانت سلمى وأطفالها مستعدون للذهاب معه حسب الخطة، ولكن مرض سلمى الذي لم يسمح لها بالرحيل إلى بيت الله الحرام لذا يرحل أبو الحسن مع أسر العرب الأخرى ومع حديثي الإسلام من أهل المنطقة مع هدايا للحاكم.

وبعد أيام أتى شاب عربي إلى الحاكم ويخبره بأن سفينة أبي الحسن الراحلة من سرانديب نحو دمشق وجدة لا علم عنها ولم تصل في مكانها المحدود، وأرسل إليكم خليفة دمشق وحاكم العراق هذه الهدايا مع الأمني والأدعية الصالحة، وهذا الخبر المؤلم أصبح يقينا بأن سفينة أبي الحسن وأصدقائه قد غرقت في البحر، وهذه الشبهة الخفيفة أثارت الفوضى في المنطقة، أثناء ذلك يخرج شباب العرب مع زبيد وخالد على أسر العرب وأهل المنطقة بتسليتهم وإقناعهم بعدم حدوث أي شيء، وعندما ذهب شاب إلى بيت أبي الحسن علم بموت زوجة أبي الحسن، فيعرض الحاكم على خالد وناهيد بعدم الذهاب، ولكن خالد يظهر رغبته في الجهاد حتى سمح له الخليفة بالرحيل. (٢)

وبعد عدة أيام ترحل باخرتان من ميناء سرانديب، الباخرة الأولى فيها أسر العرب الذين أصبحوا يتامى والنساء اللاتي أصبحن أرامل، وأما الباخرة الثانية ففيها قائد الخليفة مع وفد كبير من الجنود ليرحلوا نحو حاكم البصرة ودمشق مع هدايا الخليفة لهما وكذلك ليحافظوا على الباخرة الأولى ليوصلوا أصحابها إلى أهاليهم بالسلامة، وذات يوم والباخرتان سائرتان في البحر أثارت الشبهة لمتابعة الباخرتين، فأظهر دليبي سنجه من باخرته وزير من باخرة أخرى بمظاهرة ومهارة رائعة.

١ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٥٠ .

٢ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٣٠٠ .

فكانت الحرب في البداية محدود على السهام، وفجأة اشتعلت النار في باخرة الأعداء فغرق كثير منهم في الماء ومن الذين نجوا اجتمعوا في سفينة واحدة وعلقوا العلم الأبيض على سفينتهم يطلبون الأمان فأتوا بهم جميعاً إلى الباخرة، فكان كلهم من منهبي الأموال، ولكنهم أسروا في هذه المرة. (١)

وذاث يوم أخبر قائد الناهبين قصة حياته المؤلمة وتاب من أعماله الماضية وعزم على ترك هذا العمل الشنيع فكشفت سلسله بأمر من زبير، فلما سألوهم عن باخرة أبي الحسن وأصدقائه فأخبرهم بأن الباخرة قد وصلت إلى ساحل ديبيل بحفظ وأمان ولكن هذا ليس ببعيد من حاكم ديبيل بأنه أسر المسافرين بعد نهب الباخرة، فأثناء ذلك وعد منجو قائد نهاب البحر بأنه سيجتهد وسيحاول في البحث عن أبي الحسن وأصدقائه عندما يصل إلى ديبيل وذلك بمساعدة من راجبوت جي رام، وعندما وصلت الباخرتان على ساحل ديبيل خرج منجو مع أصدقائه ليفي بوعدته فيذهب جي رام ليطلع الحاكم عن الباخرة ولكن أثناء ذلك يدهش جي رام بأن الحاكم قد أمر قواده بالاستيلاء على الباخرة وأسر المسافرين، فخرج الحاكم مع قواده نحو الساحل وأثناء ذلك فهم منجو بفساد نية الجيش فأقر الرجول إلى الساحل بدلاً من الذهاب إلى المدينة. (٢)

وفي اليوم أطلق جي رام من الأور، فلما علم عن أسر أخته واعد فاضطرب الحاكم، قيد الحاكم زبير وعلي على الأشجار وجلدهما بالسوط حتى أغمي عليهما، وأثناء ذلك يجتهد جي رام لإخلاق زبير وعلي من أسر الحاكم، فأراد الحاكم أن يخرج عيون زبير من قضيب حار من الحديد إلى أن تراجع جي رام من مطالباته وأعلن بأن أخته لم تكن في الباخرة وبعد أن نجى جي رام في إنقاذ حياة زبير وعلي التقى بهما في السجن وحاول إبراء نفسه بأدلة مقنعة، وبعد تبرئة نفسه وعد بالبحث عن خالد وناهيد وأخته، وأثناء ذلك اختفى منجو مع أصدقائه في حصن في الغابات الكثيفة على شاطئ نهر السند بمسافة بعيدة من

١ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٣٠٠ .

٢ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ١٧٠ .

برهمن آباد، وهناك بدأ يعالج ناهيد المريضة وينتظر القافلة القادمة بقيادة الحاكم برتاب راي الذي يسلمتي مع الحاكم دائر. (١)

وفي أحد الأيام كانت قافلة برتاب راي راحلة مع الأسرى نحو برهمن آباد، وجه منجو جي رام نحوها حيث التقى بقافلته، ثم استدعى في مجلس الحاكم وكان برتاب راي قد دبر له مؤامرة لقتله، ولكن تدخل قائد الشرطة بين جي رام الحاكم لنجدته في ذلك الوقت.

وفي اليوم التالي استدعى الحاكم زبيراً من أسرى المسلمين، فأمر الحاكم جندياً من جنوده للمبارزة مع زبير فانتهت المبارزة بنجاح زبير وهزيمة الجندي، فهاجم زبير على برتاب رأي بجرأة ومهارة حتى كاد أن يقتله ولكن زبير توقف عن ذلك بسبب أن وزراء الحاكم منعه من قتل برتاب رأي بأخذ الثأر من الأسرى الآخرين، فبمشاورة الوزراء بدأ جيش الحاكم برتاب راي باستعداد لمقاتلة العرب بدلاً من فك أسرهم الذين أسروهم من قبل، ولخلاص سكان برهمن آباد من مخاوفه العرب. أعلن الوزراء بقتل زبير وجي رام أمام الناس، وقبل نفوذ الإعلان دعا زبير جي رام بالدخول في الدين الإسلامي فقبل جي رام الإسلام، وأثناء ذلك قدم بهيم سنجه ابن قائد الجيش قريب من السجن الذي كانا فيه مسجونين، وجعل المحافظين من الجنود بفاصلة عنهم، وبدأ بالتحدث معهما، أثناء الحديث يظهر غضبه الشديد عليهما ويقطع الحبل من يدي زبير ويعطيه الخنجر ويقول له بأن يجرب حظه، ثم يرجع إلى المحافظين من رجال الشرطة ويخبرهم بأن هذا الشاب العربي ساحر وبدأ رأسي بالدوار أثناء حديثي معه، فتسلل هذا الوهم في نفوس المحافظين من رجال الشرطة أيضاً، وفي نفس الوقت يحضر منجو وبدأ يقسم الأسماك بين المحافظين من رجال الشرطة، ثم اشتاق إلى سماع المزمار، وعندما سحر هؤلاء المحافظين من صوت المزمار بدأ أصدقاء منجو بالتجمع في ذلك المكان كالمترجمين في المدينة وعندما اجتمعوا كلهم في مكان فجأة هجموا على المحافظين من رجال الشرطة دفعة واحدة وبعد قتلهم كسروا السجن وفازوا

بإخراج زبير وجي رام، فدخلوا الحصن في الغابة ولما علمت مايا ديوي عن إسلام أخيها أعلنت إسلامها بعد أن جعلت ناهيدة شاهدة عليها، وحسب الخطة يلبس زبير ملابس سندية ليرحل برسالة ناهيد نحو مكران. (١)

ويبدأ الجزء الثاني من هذه الرواية بدخول زبير في البصرة ولقائه مع الحجاج وعرضه أمامه كل الوقائع وكذلك عرض له رسالة ناهيد أيضاً.

وقل ذلك كان الحجاج يخاطب قتيبة بكل قسوة ولكن بسرعة يعرف محمد بن قاسم ويتأثر من حكمته الحربية ويعترف بصلاحيته في الحرب، وأراد الحجاج أن يرسله كمستشار عسكري ليلتقي مع أمير المؤمنين ولأداء الواجبات في دمشق، لكن فجأة بمجيء زبير الفار من السند ومعه رسالة ناهيد التي فتحت للحجاج محوراً جديداً للجهاد لفتح بلاد السند، وأثناء ذلك مع المشاورة مع زوجته بتزويج ابنته زبيدة من محمد ابن قاسم، وبعده يرسل زبير ومحمد بن قاسم إلى دمشق ويجتهد هو بنفسه لتعيين الناس في الجيش ويشير أصحاب المناصب كلهم ليستعدوا للجهاد لفتح بلاد السند، وبمجيء زبير ومحمد بن قاسم إلى دار الخلافة ووعدوا بأنهم سيحرضون عامة الناس ليشاركوا في الجهاد لفتح بلاد السند، وفي اليوم التالي انعقد معرض لمشاهدة الفنون الحربية والإجراءات العسكرية، حيث أن المباراة كانت بين صالح وزبير وفجأة ينهض زبير ويبارز بكل قوته إلى أن انتهت المباراة بسقوط السيف من يد صالح، وأما المباراة الأخرى كانت بين محمد بن قاسم وسليمان بالرمح حيث هاجم محمد بن قاسم بكل قوته وهزم سليمان بسرعة شديدة، ونجاح أو فوز شاب من الشبان أثار العزم والهمة والاستقلال لدى بقية الشبان وبدأوا يتهافون بأصوات عالية تشجيعاً للشباب الفائز، فبأمر من الوليد ذكر محمد بن قاسم عن أحوال اليتامى وأيامى المسلمين المقيدين في السند وأيضاً قرأ عليهم رسالة ناهيد، فبدأ كثير من الناس يعرضون أنفسهم ليشاركوا في هذه المعركة، وبعد عدة أيام يرحل آلاف من الجيش من دمشق إلى البصرة وذلك بعد التربية العسكرية للجيش لبضعة أيام ومن البصرة أيضاً انضم بعض من

١ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٦٠.

الجنود إليهم، وعندما وصل الجيش إلى مكران اختار محمد بن قاسم منطقة جبلية ليثبتوا فيها، وأما من الطرف الآخر كان بهيم سنجه مقيماً في قلعة قريبة من لسبيلة مع عشرين ألف جندي لايقاف زحف جيش محمد بن قاسم، فاستخدم محمد بن قاسم حكمته وقام بتقسيم الجيش إلى قسمين، وأما هو فقد قاد مجموعة قليلة من الجنود نحو القلعة، وأما محمد بن هارون قاد قسم آخر من الجيش واختار طريق آخر، فوقع قتال بين الجيشين وسقط الحصن في أيدي المسلمين، وأما من الطرف الآخر أحاط جنود محمد بن هارون جنود الحاكم دائر وانتصروا عليهم. (١)

والموقف الثاني لمحمد بن قاسم كان قريب من ديبيل، وبعد محاصرة المدينة في أحد الليالي بلغ المنجنيق الكبير من الطريق البحري نحو المدينة فأمر على سور المدينة بالأحجار، وضرب حجراً واحداً على معبد كبير وعلى العلم المترفرف عليها، فسبب سقوط العلم وقطعه مما أضعف من نفوس الجيش، فوقع معركة حامية بين الجيشين أدى إلى فرار الحاكم دابر مع ثلاثين ألفاً من جيشه من ديبيل، وبعد انتهاء المعركة قام محمد بن قاسم بجولة حول المدينة وبحسن أخلاقه وجه الناس إلى الإسلام فدخل عدد كبير في الإسلام، وأثناء رحيل جيش العرب من ديبيل انضم إليهم حوالي خمس آلاف مواطناً (٢)

ومن جانب آخر يصل الحاكم دائر إلى نيروان بعد هزيمته وهناك يأتي بهيم سنجه للقاء الحاكم وأظهر بعدم رغبته للقتال ضد جيش المسلمين لما فعله جيش المسلمين معه من قبل، فأراد الحاكم قتله إلى أن تدخل أوديه سنجه ونجى بهيم سنجه من الحاكم، فقيدهما الحاكم في سجن مظلم، وفي السجن التقى بأبي الحسن الذي اندهش عندما سمع عن فتوحات المسلمين وعن حياة ابنه وابنته، أراد الحاكم أن يقاتل مع المسلمين في برهمن آباد بدلاً من نيروان، وترك بعض الجنود في نيروان ورحل نحو برهمن آباد ومن الجانب الآخر دخل محمد بن قاسم إلى نيروان وبعد محاصرة المدينة لعدة أيام فتح أهل المدينة الباب ورفعوا أعلام النصر والفتح، وبعد ذلك توجه نحو سيون وسوستان وهناك قيدوا

١ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٢٥٠ .

٢ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ١٠٠ .

حاکمها ولكن بعد مدة أطلقوا سراحه، فاشترك هو وأصدقاؤه مع جيش المسلمين، وبعد عبور نهر السند اصطفى محمد بن قاسم جنوده في صفوف وبين لم الفرق بين الكثير والقليل، وبين الحق والباطل، فانتهت المعركة بقتل الحاكم دائر وعندما بدأت مرحلة معالجة الجرحه وتدفين الشهداء، جاء فرس وعلى ظهره جريح وهو بهيم سنجه ومعه أبو الحسن كان قد فر من السجن ليوصل أبا الحسن إلى جيش المسلمين. (١)

فنادى محمد بن قاسم ناهيد وزهره من ديبيل وهياً لهم الفرصة لخدمته مع زبير وخالد وكذلك هياً لهما الفرصة لخدمة المرضى، ولكن أبو الحسن ما بقي حياً غير يوم واحد بعد حضورهم، وبعدها تقدمت جيوش محمد بن قاسم مع جيشه نحو برهمن آباد، وبعد مشقة قليلة فتح الجيش هذه المدينة، فوصل محمد بن قاسم بجيوش المسلمين إلى القلعة التي كان فيها أسرى المسلمين فعانقوا بعضهم البعض.

ولما بلغت جيوش المسلمين بقيادة محمد بن القاسم قريباً من أرور فر الحاكم مع جيوشه من أرور لينجي بنفسه، وبعد فتح أرور بدأ محمد بن قاسم بالرحيل مع جيوشه نحو زاوية السند الأخيرة (ملتان)، وأثناء ذلك اطلع محمد بن قاسم الحجاج ووليد عن فتوحاته في السند، وعن الأوضاع في السند، وعن سلوك أهل السند، وبعد فتح ملتان رجع محمد بن قاسم مع جيوشه إلى أرور، وحين ذلك وصله أخبار عن وفاة أمه والحجاج بن يوسف فكان هو مشغول في تنظيم أمور الجيش، وكذلك كان يرغب أن يتوجه نحو ميادين الهند، وأما من الجانب الآخر كانت محبة أهل السند تتدفق عليه كتدفق البحر. (٢)

رغب محمد بن قاسم بالتقدم أكثر فأكثر وبعد إعطاء الأوامر لإصلاح الجيش بدأ محمد بن قاسم بمعاينة جيشه، فرأى خمسين راكباً قادمين بسرعة شديدة مثيري الغبار، وعندما وصل هؤلاء الركاب قريباً، أعطوا الرسالة لمحمد بن قاسم التي كانت من خليفة سليمان بن عبد الملك يأمره فيها بتعيين يزيد بن أبي كبشة قائداً على الجيش وإرسال محمد بن قاسم مقيداً بالسلاسل إلى دمشق، وبعد استبدال قائد الجيش بدأ زعماء السند وسلطات

١ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ١٨٠.

٢ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٢٩٣.

المسلمين العسكرية يفكرون عن أحوال المستقبل، وبهيم سنجه من طرف الجيش المحلي في السند أكد له بإخلاصهم وطالبوا منه بعدم الذهاب، ولكن محمد بن قاسم رأى طاعة أمير المؤمنين فرض عفيه، ودعا بهيم سنجه والقائدين الآخرين إلى الإسلام فأسلموا، فالتقى أشرف أرور بيزيد بن أبي كبشة واطمئنوا بعد تأكيد يزيد لهم بأن قائدهم محمد بن قاسم سيرجع إليهم، وبعد صلاة العشاء يلتقي يزيد مع محمد بن قاسم وكذلك تأثر بإطاعته لأوامر الملك مهما كان الأمر، ولإطلاعه على أحوال السند استدعى يزيد زبيراً في غرفته فكتب رسالة باسم عمر بن عبد العزيز، وكتب فيها كل التفاصيل عن محمد بن قاسم، وعرض عليه بأن يتدخل شخصياً لمنع الخليفة سليمان من قتل محمد بن قاسم، فأخذ زبير هذه الرسالة ورحل نحو المدينة، وفي صباح اليوم التالي كان محمد بن قاسم وخالد وناهيد وزهرة مع أربعين من الجنود الذين حضروا لقيده استعدوا للرحيل، فودع أهل أرور محمد بن قاسم بكل حزن وألم وكذلك دعوه بالدموع الغزيرة، عندما وصلت هذه القافلة بقرب من البصرة أعطى مالك قائد القافلة وصديق خاص وحميم لسليمان فرصة لمحمد بن قاسم بالفرار وذلك بتأثره الشديد به لأن صالح يريد أن يأخذه إلى واسط، وبهذه المناسبة أظهر محمد بن قاسم رضائه لمالك بالذهاب إلى البصرة فلما وصل إلى بيته التقى بزوجه زبيدة التي انشغلت بلقاء زوجها لآخر مرة، ومن الجانب الآخر يصل زبير إلى المدينة منهمكا هزلان وقبل أن يبين لعمر بن عبد العزيز ما يريد يغمى عليه أمام عمر بن عبد العزيز، وعندما أفاق زبير من غيبوبته أراد بإخراج الرسالة ليسلمه إلى عمر بن عبد العزيز، ولكن عمر بن عبد العزيز يخبره بأنه قد قرأ الرسالة، والآن هو ذاهب إلى دمشق، فأظهر زبير رغبته بالذهاب معه وأصر عليه إلى أن سمح له، وعندما وصل إلى دمشق غضب عمر بن عبد العزيز على الخليفة سليمان بسبب أعماله وانتقامه وقتله المظلومين وأمره بالتوقف عن هذه الأعمال، ففي بداية الأمر غضب سليمان ولكنه ندم بسرعة من عمله، قال: آسف إنكم تأخرتم ليومين وإنني قد أصدرت أمر قتلته ولكن لا بأس سأكتب مرسوماً حكومياً جديداً، غير أن السهم قد تجوز من القوس من قبل، فأخذ زبير رسالة الخليفة وبدأ رحلته مستقبلاً فرسه من مراكز الشرطة على المكان المراد بدون استراحة.

ظهر بياض الصبح فدخل زبير من باب غربي للمدينة فرأى أمامه جنازة وأراد معرفة عنوان صالح ولكنه عندما رأى جنازة محمد بن قاسم سقطت الرسالة من يده وسقط هو من الفرس وأخذ يتكلم بصوت منخفض (يا محمد بن قاسم) أريد أن أنام تحت شجرة كثيفة الأوراق على شاطئ النهر، فأيقظه خالد وقال له يا صديقي إنهض الآن سوف يدفنون صديقي وصديقك الحميم في القبر، تعال لنشارك بوضع التراب على قبره وبينما كان الناس منهمكين بوضع التراب على قبر محمد بن قاسم قرأ رجل مسنّ الرسالة التي أحضرها زبير من الخليفة، فغضب الشباب ما فعله صالح فخرج خمسون شخصاً نحو بيت صالح ليقبضوا عليه.^(١)

^١ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي ٣٠٠ .

نشأة المنهج الاجتماعية وتطوره

عند العرب:

نشأة المنهج الاجتماعي والفلسفات الواقعية في العصر الحديث كانت دعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع دعوة سان سيمون وجماعته إلى توجيه الأدب نحو خدمة المجتمع، تزامنت هذه الدعوة مع قيام الثورة الفرنسية ودعوتها إلى الحرية والإخاء والمساواة والتغيير المفهوم تبعاً لذلك. (١).

تطبيق مبدأ الالتزام في الأدب العربي:

شواهد على ذلك التزام شعراء صدر الإسلام بأصول العقيدة الإسلامية في إ شعارهم ومن النتائج التي ترتب على ذلك ضعف شعر بعض الشعراء المخضرمون في الإسلام عنه الجاهلية، مثل الشاعر حسان بن ثابت، وقد يبدو الالتزام ضرورة اجتماعية إسهام قرارات بعض أصحاب الاشتراكية المادية في وضع أسس جديدة للنقد الاجتماعي تطبيق المنهج الاجتماعي في كتابات بعض رواد الحركة الأدبية الحديثة في مصر مثل طه حسين في تصويره، المجتمع العباسي في دراساته عن بعض هذا العصر ويبدو هذ التطبيق واضح في بعض أعمال توفيق الحكيم في كتابه يوميات نائب في الأرياف الذي صور فيه كثيراً من المشكلات الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع الريف المصري، إضافة إلى أعمال أخرى لتوفيق الحكيم الذي عبر فيها عن موقفه في بعض القضايا والمشكلات الاجتماعية في عصره (٢).

١ . مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، عثمان موافي، ص ٢٧٣ .

٢ مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، عثمان موافي، ص ٢٧٤ .

علاقة الأدب بالمجتمع:

إن الأدب ليس زهرة برية تنبت في الصخور ولا صلة لها بالتربة الخصبة بل هو نبات مستلق يلتمس الوصول إلى الشمس عن طريق تسلق الأشجار الضخمة التي تبسط سلطانها على الدولة وحياتها الاجتماعية، إنه نتاج عقلي وثقافي شديد الارتباط بالبيئة الاجتماعية التي ينبت فيها (١).

فمن المُسَلِّم أن الإنسان لا يستطيع الانفصال عن مجتمعه لأنه اجتماعي بطبعه، فهو يؤثر ويتأثر به، ومنه يأخذ موضوعاته ولغته، وله يكتب ويتدع، وليس مطلوباً من الأدبي أن ينعزل وينحرف إلى شؤونه الخاصة فحسب، فقلمه مسؤول يأخذ على عاتقه محاربة الظلم، ونشر المعرفة والعلم والدعوة إلى العدل والاتخاذ، والتضامن والمحبة وسوى ذلك من الموضوعات التي تنهض بالمجتمع وتساعد في نموه وإزدهاره وسلامته (٢).

وفي هذا الصدد يقول (فيكتور هوجو) إنه لمن الخطأ أن نظن أن الشاعر يحق له أن يكون بمعزل عن مصالح قومه ورغباته، وأن ينحرف بقريحته عن التأثير في أهل عصره، وأبناء زمانه فلا يكون له دور في البناء الاجتماعي لأُمته، فمن ذا الذي يقتحم أحوال الحياة غير الشاعر، وأي صوت يعلو العواطف غير صوته؟.

ومما سبق يمكن القول أن البعد الاجتماعي يستهدف معرفة الشروط الاجتماعية للإبداع الأدبي، فالإبداع من جهة النظر الاجتماعية ضرورة يقتضيها حفظ البقاء الاجتماعي، فالشروط الاجتماعية تتدخل بالتنشيط أو التعويق فيما يتعلق

١ . الأدب والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأدب)، أحمد رشوان حسين عبد الحميد، الطبعة الأولى، عام

٢٠٠٤ م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ص ٤٧ .

٢ . الأدب تعريف، أنواعه، مذاهبه، أنطونيوس بطرس، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥ م، المؤسسة الحديثة

للكتاب، طرابلس، لبنان، ص ٢١ .

بانطلاق التفكير الإبداعي، والكاتب مهما بلغت أصالته وعبقريته لا يسعه التخلص من آثار البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها (١).

"فالعلاقة بين الأدبي والمجتمع علاقة جذرية متماسكة فلا يتولد فن عموماً ولا أدب خصوصاً إلا في الجماعة، فلا يصح إن قلنا أنه يولد فلان فناً ليتمتع به لنفسه أو يقول شعراً ليسمعه وحده ثم من أين يستمد الفنان أو الشاعر انفعاله المبدع أليس من تجاربه في بيئته؟ فلا يقتبس صورة وقيمة إلا من الثقافة التي تلقاها منذ الصغر فلا يشعر بالرضا والراحة إلا عندما يجد من يقرأ الشعر أو يستمع إليه، ومن يتمتع بالفن فيشاركه في الأحاسيس ويقدر الأنامل التي صاغت ونحتت". (٢).

"بالإضافة إلى العلاقة الجذرية بين الأدب والمجتمع فإننا نجد بينهما علاقة أخرى يؤكد علم اجتماع الأدب أو علم اجتماع النص الأدبي ألا وهي العلاقة التبادلية فكلاهما يؤثر في الآخر حيث يقال أن للأدب انعكاسات اجتماعية عديدة، وهو في حد ذاته يعد انعكاساً اجتماعياً حتى في أكثر موضوعاته خصوصية، فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطاً لغوياً، حتى اللغة تفسر من منظور اجتماعي قبل أن تفسر من منظور آخر". (٣).

أسس المنهج الاجتماعي:

ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع، فالأدب صورة لأعصر والمجتمع والأعمال الأدبية ووثائق تاريخية اجتماعية. الأديب يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ورؤيته تتبلو بتأثير المجتمع والمحيط والتربية، والأدب ضرورة لا غنى عنها عن المجتمع ولا يستطيع الإنسان أن يقدم حضارة دونه.

١. الأدب والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأدب)، ص ٤٧.

٢. النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوره، إضاءات نقدية، أزادة منتظري، وآخرون، الطبعة الأولى، عام

٢٠١٢ م، جامعة آزاد الإسلامية، خزيران - إيران، ص ٠١.

٣. المدخل الاختصاصي للأدب، شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، (ب.ت)، دار المعارف، مصر، ص ٩٦.

الأساس الاقتصادي هو الذي يحدد طبيعة الأيدولوجية.
الأدب لا يصور رجال المجتمع تصويراً فوتوغرافياً، بل تنقله من خلال فهم
الأدب له .

الأدب جزء من النظام الاجتماعي وهو كسائر الفنون ظاهرة ووظيفة اجتماعية.
ربط المنهج الاجتماعي والأدب بالجماهي وجعله هدفاً مباشراً لخطابه (١) .

أسس البعد الاجتماعي وتطوره:

لقد وجد الإنسان على سطح الأرض وهو يحمل في نفسه بذور التجمع
وعوامل الحياة الاجتماعية نظراً لتركيبه العضوي الذي يحتاج إلى وسائل الحياة، وبما
ركب فيه من غرائز وعواطف وإحساس وشعور وعقل يدرك به الأشياء والأمور يميز به
بين ما ينفعه وما يضره ويعني الأهداف التي يسعى إليها وهو لا يستطيع أن يحقق
الاكتفاء الذاتي ويحصل على كل ما يحتاج بمفرده فاضطر إلى التجمع وتأمين
حاجياته وذلك لا يتم إلا بالتعاون مع الجماعات التي يقدر بواسطتها فرض وجوده
وتكميل النقص الذي يعانیه في مسألة الدفاع والحصول على الأغراض والاقتران من
أجل التناسل، هذا التناسل الذي يضمن بقاء النوع البشري على قيد الحياة.

"إن الحياة الاجتماعية بالنسبة للفرد أمر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه
وبدونها وتعتبر الحياة ضرباً من الخيال نتيجة لحالة الإنسان الطبيعية، وفي هذا يقول
ابن خلدون: إن الاجتماع الإنساني ضروري أي لا بد له من الاجتماع الذي هو
ال عمران وبيانه أنه الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياته وبقاؤه إلا
بالغذاء وهدهاه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيها من القدرة على تحصيله أن القدرة
الواحدة من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة
حياته". (٢) .

١ . مناهج النقد الأدبي، وليد قصاب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٧، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص ٣٩ .

٢ . التفكير الاجتماعي الخلدوني علاقته بعض النظريات الاجتماعية، إدريس خضير، الطبعة الأولى، عام

١٩٨٣ م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ٨١ .

ولما كان الفرد الواحد من البر عاجزاً على تحقيق رغباته والحفاظ على كيانه ومدركاً لذلك القصور الموجود فيه فإن الحياة الاجتماعية قد أصبحت مفروضة عليه وعلى هذا الأساس فالفرد لا قيمة له في هذه الحياة ما دام لا يستطيع أن يعيش وحده ويحقق الاكتفاء الذاتي لنفسه، وقيمته تمكن في الحياة الاجتماعية وتبرز في التعاون والتفاعل والتبادل المشترك الذي يوفر له كل أسباب الحياة ودواعي البقاء في هذا الوجود.

"إذن الحياة الاجتماعية شيء أساسي وضروري وأن الحياة الفردية ضرب في الخيال ونوع من الجنون بالنسبة للحياة الإنسانية لأن مصالح الأفراد متوقعة على بعضهم البعض في مختلف الميادين وبالخصوص المسائل الهامة التي توقف عليها حياة الأفراد، ويرجع ابن خلدون المجتمع البشري إلى ثلاثة عوامل أساسية هي":

١- **ضرورة اقتصادية:** التي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها كما أن الفرد الواحد لا يقدر أن يحق هذه المهمة الناتجة عن رغبة حتمية فكان من الضرورية أن يجتمع مع غيره، ويتعاون من أجل تأمين حاجياته، لاستكمال الحيالة الاقتصادية وتوفير الغذاء لكل الأفراد والتبادل المشترك، فالبعض بالفلاحة والبعض الآخر بتولي عملية الطحن ومنهم الطبخ، وكل هذه الأعمال تفتقر إلى مجموعة من الأفراد ليؤدي كل واحد دوره^(١).

٢- **الدفاع:** إن الإنسان خلق ضعيفاً في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم الضعيف أو هو عبارة عن ذرة في هذا الوجود اللامحدودة، بالإضافة إلى ذلك خلقته ناقصة مقارنة لبعض الحيوانات التي هي جسماً أقوى منه وهي مجهزة بأعضاء كالصوف والبر والقرون والمخالب والأنياب تستطيع أن تصمد أمام الطبيعة، إلا أن الإنسان لديه وسيلة وهي العقل، وعندما استخدم العقل فلم يريداً من الاجتماع والتعاون الذي يضمن الانتصار، وبعد أن اجتمع الناس وتعاونوا على توفير وسائل العيش وأمنوا

١. التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته بعض النظريات الاجتماعية، ص ٨٢.

أنفسهم من خطر الحيوانات المفترسة، إلا أنهم وجدوا أنفسهم أمام مشكلة لا تقل أهمية عن سابقتها وهي الصراع القائم بينهم فاضطرهم إلى الاجتماع وتنظيم حياتهم تحت حاكم يدفع عدوان بعضهم البعض ولكي تستقيم الحياة^(١).

٣- **الميل الفطري:** توجد غريزة فطرية في الإنسان يدفعه إلى تحقيق أفكاره والتجمع والاستئناف بأخيه الإنسان، فالإنسان أو الفرد لا يمكنه أن يطمئن إلا بقوة الجماعة والتي تضمن له الحياة وتحصل على مطالبة وتحقيق رغباته، غير ابن خلدون لم يجرّد عاملاً والتي تضمن له الحياة وتحصل على مطالبة وتحقيق رغباته، وهو الغريزة الجنسية التي تلعب دورها الرئيسي في الحياة الاجتماعية، ولذلك نرى كثير من الأشخاص يخاطرون بحياتهم في سبيل تحقيق هذه الرغبة، وهنا تظهر النظم والمبادئ والتربية التي من شأنها أن تحقق من الإنسان وراء الغرائز الفطرية وتحدد من الأنانية الفردية حتى يصبح المجتمع متماسكاً متفاعلاً متبادلاً المنافع والمصالح^(٢).

ومن هنا نرى أن ابن خلدون بنى نظريته في تكوين المجتمع على ثلاثة عوامل وهي:

العامل الاقتصادي والميل الفطري والدفاع كما رأينا في عرضنا لآرائه في نشأة الحياة الاجتماعية وهذا يدلنا على أن علماء الاجتماع المحدثين لم يستطيعوا أن يخرجوا عن أفكار ابن خلدون وياتوا بأفكار جديدة أو يتحدوه على الأقل في بعض آرائه رغم أنهم جاءوا بعده بفترة طويلة وجده الطريق مبعداً والأسس موضوعة ومع ذلك فإننا إذا قارنا أفكاره بأفكارهم ولا سيما في موضوع تكوين المجتمعات الإنسانية فإننا نجد فرقا كبيراً بين آرائه الواسعة وآرائهم الجزئية، ولا يوجد اختلاف كبير بينه إلا في الأسلوب والتحليل بالنسبة للمسائل التي تطرقوا إليها^(٣).

رواد المنهج الاجتماعي عند العرب والغرب:

١. ينظر: التفكير الاجتماعي الخلدوني علاقته بعض النظريات الاجتماعية، ص ٨٢.

٢. انظر: التفكير الاجتماعي الخلدوني علاقته بعض النظريات الاجتماعية، ص ٨٣.

٣. انظر: المرجع السابق، ص ٨٣.

"من رواد المنهج الاجتماعي عند العرب نذكر إسماعيل أدهم، وسلامة موسى الذين حملوا لواء الصدق معياراً أو حد للفن الأصيل ومنادين بشجب ما ينتمي على كل من الإقطاع والبرجوازية وما يشيع فيها من الكتابات التي تجري على نسق كتابات ي زيادة وجبران، وعلي محمود، والأخطل الصغير وفي لبنان كان عمر فاخوري صاحب مدرسة التحرر الفكري يقر أن الأدب وسائر الفنون الجميلة ظاهرة اجتماعية أصلاً ووظيفة اجتماعية فعلاً ويكتب في مهاجمة النازية والفاشية وينصر الديمقراطية، كما يكتب الوضعية المنطقية لتكون فلسفة علم، وعلاقته بالواقعية الاشتراكية إذا لم يكتب واحداً من الإنسانيين المنتمين إلى المدرسة الهيومانية الجديدة".^(١)

إضافة إلى بعض مثقفي مصر الذين أعجبوا بهذه النزعة، وقد سلموا بأن الأدب وليد اللحظة والبيئة والسلامة لم يقبلوا الرومانسية لأنه لا يتنكر للرجعية، وكان هذا يعني وجود تيارين دون انتماء لأي حزب والآخر يأخذها نظيراً ماركسياً، وأخذت خيوطاً كثيرة تتجمع بعد الحرب العالمية لثانية وبعد ضياع فلسطين، تحركها أصابع التشاؤم ولتنادي بوجوب تغيير الأوضاع من أساسها كما كتب شبلي شمل كتابه (فلسفة النشوء والارتقاء) بأسطاً صورة من صور المذهب المادي رسمه لألمانيا (بخنجر) في القرن التاسع عشر، وأخذت ترجمات (رأس المال) لماركس، فكان لوقع هذه الترجمات من الآثار مثل ما أحدث كتاب شبلي المذكور وكتابات الأخرى التي عرضت لإصلاح اجتماعي ولغوي وديني.

وفي الناحية الأدبية كان (لشميل) يد فيها، اختلط الأدباء بالنقاد، فلا هم من اتباع الفن للفن مطلقاً ولا هم تعبيريون على طول الخط وليسوا هيومانيون ظاهريين. لكن سلامة موسى لم يكن ماركسياً وإن كتب عن أدباء الروس وتقمصه روح الإنجليز،

١. النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، أحمد كمال زكي، الطبعة الأولى، (ب.ت)، الشركة العالمية

ولوح بانه (مصري) يبحث عن مصريته إضافة إلى (يحيى حقي) وكذا (مندور) والذي قال عنه واضح الأسس الجديدة لعلم الأسلوب وكذا عبد الرحمن بدوي (١) .
 وآخر ما يمكن قوله كحوصلة لما سلف ذكره هو أن المجتمع يعتبر بمثابة المصدر الذي يستمد منه الأدب والكتاب مادته الأكبرية، كما يعتبر بمثابة الإناء الذي يفرغ فيه هذه المادة الأدبية بعد معالجتها.

ماهية البعد الاجتماعي

"يعتبر المنهج الاجتماعي منهجاً قائماً بذاته، لارتباط الوثيق بالحياة الاجتماعية، لها للأدب بمختلف أجناسه من صلة بديهية بالمجتمع، فالأدب يعكس المجتمع، ولكل كاتب نظرتة إلى المجتمع الذي يعيش فيه، والكاتب يعتبر مرآة المجتمع، يعكس الأحداث الاجتماعية وتفاعلاتها، ومن جهة أخرى فالمنهج الاجتماعي يعتقد على التأثير والتأثر، فالأديب بالعوامل الاجتماعية المعقدة، ومن ثم يؤثر بإبداعه في محاولته لتغيير الأوضاع الاجتماعية". (٢) .

ويقول أحد نقاد المنهج الاجتماعي بأنه: "المنهج الذي يستهدف النص ذاته باعتبار المكان الذي تدخل فيه، ويصغره بطابع اجتماعي". (٣) .

ويقول آخرون: "إن الأدب يصور لنا الحياة الاجتماعية في الفترة التاريخية التي كتب فيها، ويعطيها صورة واضحة عن وقائع اجتماعية محددة" (٤) .

"حاول الكثير من العلماء أن يعرفوا هذا العلم، كل بطريقته الخاصة، ولبأس من أن نستعرض عدداً من هذه التعاريف على سبيل الإلمام بوجهات النظر المختلفة،

١ . انظر: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، ص ١٥٧ و ١٥٨ .

٢ . مناهج النقد الأدبي الحديث، إبراهيم الشافعين، و خليل الشيخ، الطبعة الثانية، عام ٢٠١٣ م، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة - مصر، ص ٩٤ .

٣ . مناهج النقد الأدبي، وليد قصاب، ص ٣٥ .

٤ . علم اجتماع الأدب، محمد لبيدي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤ م، دار المعركة الجماعية، السويس، ص ١٠ .

وعلى سبيل التعرف على عدد من العلماء الذين ساهموا بنصيب كبير في نشأة هذا العلم وتطوره، وتتميز أغلب هذا التعاريف بقصرها وسطحيتها بما أفقدها الكثير من أهميتها العلمية، ولكنها مع ذلك تعبر عن وجهات نظر معينة كما نلمس منها مرحلة من مراحل تطور علم الاجتماع، ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا بتعاريفهم هنري جيد ينز: وقد عرف الاجتماع بأنه المدرسة العلمية للمجتمع، أما فيرشليد: وقد عرفه بأنه: دراسة بيئته الإنسانية في علاقتهما بعضهما بعضاً". (١) .

"أما بارنر: فإنه يؤكد على العلاقات الاجتماعية باعتبارها العنصر الذي تتكون منه الحياة الاجتماعية بصفة أساسية، حيث يرى علم الاجتماع عبارة عن الدراسة العلمية لسلوك الجماعي أي دراسة العلاقات بين الأفراد والعوامل التي تؤدي إليها وما ينشأ عنها من آثار على أساس أن كل فرد يتصل بغيره ويتفاعل معه". (٢) .

ويرى محمد الغريب أنه علم الاجتماع علم الحديث وبعد آخر علوم الاجتماع التي انفصلت عن مجموعة الفلسفية ويهدف إلى التنبؤ عن كافة أنواع السلوك (٣) .

١ . علم الاجتماع، عبد الحميد لطفي، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٧م، دار النهضة العربية لطباعة والنشر والتوزيع، ص ٠٤ .

٢ . علم الاجتماع مفهومات وموضوعات قسم الاجتماع، عبد السميع غريب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩م، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ص ٦٠ .

٣ . علم الاجتماع مفهومات وموضوعات قسم الاجتماع، ص ٦٠ .

الفصل الثاني

الأفكار الإجتماعية في روايات

الروائيين.

الأفكار الاجتماعية في روايات الروائيين

الأفكار الاجتماعية في روايات نجيب الكيلاني:

١- الصراع الاجتماعي

يعرفه أحمد حسين عبد الحميد رشوان: الصراع الاجتماعي هو عملية اجتماعية تحدث عن قصد ويعتمد بين فردين أو أكثر وبين جماعات أو حتى طبقات، وذلك في مجتمع واحد بسبب مشاعر الكره والعداء الناجمة عن تضارب المصالح والغايات حيث يسعى كل طرف إلى القضاء وتدمير الآخر، ويكون في الغالب بين مالكي المال وبين الفلاحين^(١).

إن ارتباط الأديب بواقعه يتيح له التعبير عن كل ما يجري فيه، فهو يشاطر الآخرين آلامهم وآمالهم، ولا بد أن يتأثر بكل ما يجري حوله على مسرح الحياة من أحداث.

ولهذا تجد أن الرواية العربية لم تهتم بالواقع الداخلي للأشخاص فقط، وإنما اهتمت أيضاً بالواقع الخارجي بكل ما فيه من صراعات وتفاعلات.

ويشير الصراع الاجتماعي عموماً إلى وجود علاقة مضطربة تناقضية بين طرفين أو أكثر، وهو من أبرز أنواع الصراعات التي اهتمت بها الرواية العربية، وما دام الطابع المميز للمجتمع العربي هو الطابع الفلاحي، فإن الفلاح كان طرفاً بارزاً في الصراع، حيث عانى ظلماً كبيراً من الإقطاع الذي استعبده^(٢).

ولنأخذ رواية (رأس الشيطان) إحدى روايات دكتور نجيب كيلاني لتدريس هذه الظاهرة فيه، فنجد أن الإقطاعي عثمان باشا يصف الفلاحين بأنهم "حيوانات

١. الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة، أحمد رشوان حسين عبد الحميد، الطبعة الأولى، عام

٢٠٠٣ م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ص ١٤٦ .

٢. في أديب نجيب كيلاني - أبعاد الصراع وامتداده -، أحمد موساوي، ص ٨٩ .

عجفاء.. قد أمسك بتلابيب أحدهم وأشوي جلده بالسياط وهو يتأوه ويتألم ويستغيث" (١) .

وهكذا عاش الضعيف في المجتمع العربي مستعبداً من القوي، وحال الغني فيه بين الفقير وقوته اليومي.

وحين تناولت الرواية هذا الواقع، فإنها ركزت على الصراع الاجتماعي وكشف الظلم الذي تعانیه شريحة كبيرة من المجتمع المصري لتبشر بشرارة ستنتقل يوماً لتحرق هشيم الإقطاع والاستغلا (٢) .

وهذا ما نجده في رواية رأس الشيطان في قول ضياء الدين مخاطباً الفلاحين قائلاً: "انتزعوا حقوقكم من أفواه الذئاب.. عثمان باشا فرد وأنتم آلاف" (٣) .

إن قصة الفلاح الذي يصارع الإقطاع من أجل الحفاظ على أرضه التي تمثل عرضه وشرفه، تكررت كثيراً في إنتاج الروائي "نجيب الكيلاني" (٤) ففي رواية (رأس الشيطان) يزيح الستار عن معاناة الفلاح المصري وهو يواجه ظلم الحكومة له وإخوانه بعد ما قاطعوا الانتخابات، فلم يسلموا من تعسف الباشا وتسلطه خاصة بعد "أن رأى أن لجان الاقتراع ظلت خاوية طول النهار.... وضحكات السخرية والازدراء تنطلق من أفواه هؤلاء الفلاحين الحيوانات..". (٥) .

وسرعان ما تبدأ المواجهة وتزداد حدة الصراع حينما أيقن الباشا "أن الانحناءات التي يلتقي بها إلى جانب الطريق إنحناءات زائفة، وتلك الابتسامات

١ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٠٨ .

٢ . في أديب نجيب الكيلاني - أبعاد الصراع وامتداده -، ص ٨٩ .

٣ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٣ .

٤ . في أديب نجيب الكيلاني - أبعاد الصراع وامتداده -، ص ٩٠ .

٥ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٠٦ .

الشاحبة التي تستقبله إلى مشي مجرد خداع ورياء.. لشد ما تزعجه هذه الطقوس" (١)

وقد صور لنا معاناة الفلاح المصري في ظل الباشاوات مركزاً على الفلاحين بأرضهم على الرغم من كل العراقيل التي يخلقها الإقطاعيون "فالوجوه الشاحبة التي أرهقها العمل والسهر والصبر.. تطالب بتحقيق الحياة... " (٢)

هكذا يتعامل الإقطاعي مع الفلاح فلا رحمة ولا شفقة فينتاب الخوف والقلق الفلاحين لأن مصيرهم ومصير من يعيلون بين أيدي طاغية لا يرحم "فالباشا لا يرحم في إيجارات الأرض، ... الباشا أخذ منهم القطن كله...، العيال بدون طعام أو ملابس، نحن نعيش في ظلم وظلمات وضياع" (٣)

ولا يمكن للإقطاعي أن يتنازل أو يستمع للفلاح لأن ذلك يحط من قيمته ويمس كرامته "لشد ما يزعجه أن يتنازل عن ذرة من كبريائه، ويرضخ لمطالب هؤلاء الفلاحين والأجراء أليس من السخرية أن يمد الباشا يده مصافحاً العبيد والحفاة العراة" (٤)

وما دام الفلاح في نظر عثمان باشا قد خلق من أجل العناء والشقاء فإن مالك الأرض هو الذي يقيم جهده ويعطيه ما يسد الرمق فقط.
فالعبودية أمر موروث في عرف الإقطاعي لا يمكن تغييره، فمن حقه أن يكون سيداً آمراً ومن واجب الفلاح أن يخدم سيده، ولا يفكر بشيء آخر سوى رضاه، كما قال عثمان باشا: "الويل لمن ينال من كبريائي وسلطاني" (٥)

١ . المرجع السابق، ص ٨ .

٢ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٥٥ .

٣ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٢ .

٤ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٢٨٢ .

٥ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٢٨٦ .

ولا بد من أن تصدر عنه أية شكوى أن يحطم سلطان - الناظر الجديد لمزرعة عثمان باشا - رأسه ويقطع رزقه" (١) .

وما يثبت لنا رفض الكيلاني وإدانته لكل أنواع القمع والاستبداد والاستغلال ودعوته إلى التضامن والتكافل، هو انتصار شخصياته المظلومة في صراعها الاجتماعي، وعودة الحق إلى أصحابه بحيث يعم الحب والأمن والسلام" (٢) .

والاستقرار في القرية "نحمد الله كثيراً أن عاد إليها السلام والاستقرار" (٣)، وتعاطفه مع الضعفاء ينبع من إيمانه القوي بحتمية انتصار الحق على الباطل، والخير على الشر.

ويتميز الصراع الاجتماعي في روايات "نجيب الكيلاني"، بأنه صراع ناتج عن فقدان العدالة الاجتماعية، وضياع الحقوق بسبب طغيان الإقطاع والأثرياء وعدم مراعاتهم لحقوق الفقير والأجير (٤) .

إن موضوع الأرض والفلاح قد ارتبطت بها الرواية ارتباطاً وثيقاً، من خلال تلك المعاناة والصراعات الاجتماعية والآلام الموجهة التي عرفتتها القرية المصرية.

ولقد صورت رواية (رأس الشيطان) صراعاً اجتماعياً بواقعية أخذت تنطوي على روح متفائلة، حيث الإنسان يتعذب ويقهر، ولكن كان الصبر هو الوسيلة المعتمدة للانتصار على اليأس القاتل، وبالتضامن مع إخوانه ينتصر في آخر الأمر، وتلك هي طبيعة الإنسان يقاوم من أجل البقاء ويرفض الاستسلام لليأس، فصراعه في (رأس الشيطان) ضد الإقطاع والاستعباد يعتبر دليلاً واضحاً على حبه للحياة الكريمة "فلا

١ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٦٩ .

٢ . في أدب نجيب الكيلاني - أبعاد الصراع وامتداداته -، ص ١٠٧ .

٣ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٢٩١ .

٤ . في أدب نجيب الكيلاني - أبعاد الصراع وامتداداته -، ص ١٠٨ .

بد لهذا الجيش من الفلاحين أن يبني لنفسه حياة رغيدة. كريمة. بالرغم من قسوة عثمان باشا وجبروته ورجاله غلاظ الأكباد" (١) .

إن الصراع الاجتماعي في روايات (نجيب الكيلاني) صراع ناتج عن رغبة قوية لديه في الكشف عن حقيقة الواقع اليومي للمجتمع المصري خاصة والمجتمع العربي عامة.

الطبقة

لا يمكن إنكار أن أي مجتمع يقوم على نظام طبقي مبني على طبقات اجتماعية مختلفة، إلا أن هذه الطبقة قد نحت انحناء قائماً على استغلال وتحكم القوي في الضعيف، والغني في الفقير وما إلى ذلك مما يسود المجتمعات وخاصة الإقطاعية.

"أي أن أي مجتمع يحتوي على عدة طبقات، فهناك طبقة غنية وتلك الطبقة مالكة للجاه والمال وهي الطبقة العليا، وطبقة فقيرة معدمة وتعتبر الطبقة الدنيا في الترتيب الاجتماعي، فبمجرد وجود طبقتين مختلفتين ووجود هذا الاختلاف في المستوى، هذا وحده سبب كاف ومدعاة للصراع حيث يظهر هذا الصراع في نطاق المجتمع الواحد بين الطبقات المختلفة".

"ولقد كانت السيطرة في الوطن العربي ولا تزال في أيدي الإقطاعيين الذين كانوا يلقبون بأصحاب المصالح الحقيقية، والذين كانوا يتولون الزعامة السياسية الأمر الذي أطاهم المزيد من القوة، فيجعل منه أكثر الحكومات وأهم السلطات التي تنصدر طبقات الشعب".

فالإقطاعي بسلطته وقوته كان يستغل الطبقة البسيطة من الشعب وخاصة الفلاحين الذين هدرت حقوقهم سواء من حيث المعاملة أو من حيث الحصول على الأجور حتى يحقق مصالحه الخاصة (١) .

١. رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٢ .

إن الصراع الطبقي في المجتمع العربي أثر على الروائيين وخاصة الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الوسطى لأنهم أدركوا بأحوال هذه الطبقة المهمشة في المجتمع، ومن خلال ذلك دخلت طبقة العمال عالم الرواية بوصفها طبقة مهضومة الحقوق وواجب الدفاع عنها.

ومن الروائيين الذين حاولوا معالجة تباعد الطبقات وتركيزها على الطبقة الضعيفة "نجيب الكيلاني" في روايته (رأس الشيطان) الذي صور فيها الصراع القائم بين الإقطاعي عثمان باشا كما مثل طبقة الأغنياء المالكة للمال والسلطة ويمارس حياته المرهفة على حساب الفقراء أي الفلاحين الذين لا يملكون أبسط متطلبات العيش ليكون في النهاية الانتصار لصالح الفلاحين المتشبثين بالأرض وسقوط النظام الإقطاعي الظالم.

من خلال هذا الصراع تبدوا لنا معالم المعاناة التي كان يعانيها الشعب المصري في مجموعه العام نتيجة الاستبداد والقهر والفقير، فالرواية معنية بتوضيح هذه المعاناة. إن هيمنة الطبقة المستبدة جعلتها تملك السلطة والثروة، وتحرم جموع الناس من حقها في العيش الكريم والكرامة الإنسانية، وكان عثمان باشا خير مثال لهذه الطبقة بغطرستها وإفلاسها الروحي وحرمانها للأغلبية من ثمره جهدها وعملها ..الناس جميعاً في القرية يعيشون في مأساة أزلية ممدتة إلى بعيد، والأزمات تأخذ بخناقهم.. الباشا لا يرحم في إيجارات الأرض.. الباشا أخذ منهم القطن كله العيال بدون طعام أو ملابس" (٢) .

يؤازر الطبقة المستبدة الاستعمار الإنجليزي الذي يرى فيها خير عون له على تكثيف الشعب والتحكم في مصير الفلاح المصري وإنتاجه.

١ . صورة المجتمع في رواية ليل وقضبان لنجيب الكيلاني، خنش زهوة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي حديث، قسم اللغة والأدب العربي، إشراف: د. واسيني بن عبد الله، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، عام ٢٠١٥ م، ص ٣٥ .

٢ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٢ .

"على الجانب الآخر يبدووا الإستسلام والاستكانة والخوف طابعاً عاماً، جعل الناس يرضون بكل ما يفرضه الاستبداد، ويقبلون منهجه خشية المضاعفات التي تترتب على الرفض أو إعلان العصيان نحن نخدمك... أمرك مقدس واجب التنفيذ". (١) .
والعامل يريد:

"أن يأكل ويحمي أسرته من الفقر والموت، إنه يعطي الكثير من طاقاته وقواه مقابل قروش قليلة، ويحیی في ظل قهر وعبودية وحرمان، رفعوا عقيرتهم بالشكوى لكن الخص هو الحكم، والسادة والباشاوات هم أصحاب المصانع والشركات". (٢) .
ومن ثم كان التنظيم السري الذي أسسه الدكتور ضياء الدين والذي جعل منه بطلاً شعبياً يلتف حوله الناس ويرون فيه أملهم، فلا يكاد يأتي إلى القرية في إجازة صغيرة إلا وتتدفق عليه جموعهم يلقون بآمالهم ومشاكلهم "ضياء الدين الذي يوقع نفسه في المشاكل.. ويتعرض لمن هم أكبر منه مركزاً ومقاماً ويتحدى الحكومة" (٣) .
"ويمكن القول أن ضياء الدين في الرواية ومن خلال بيئته الريفية، قد وضعته القدار ليحقق أحلام هؤلاء الناس، بالرغم من أن عثمان باشا قد طلب من محروس ناظر العزبة بأن يقتل ضياء، إلا أن لعم محروس عزف عن قتله نظراً لمكانته واحتراماً لقدره، فإن ضياء يواصل الإصلاح في المجتمع القروي الذي يعيش فيه بالرغم من أن قريته تململ وتغرق في الفتن والكوارث والدم المراق والناس المشتعلة". (٤) .
"أما عثمان باشا الإقطاعي لا يقبل أن يرد له أحداً أمراً أو يشاركه أحد في أمره إنه لا يطيق نقداً أو معارضة ولو جاء ذلك من أحد لجلده بالسياط "قد أمسك بتلابيب أحدهم وأشوي جلده بالسياط وهو يتألم ويستغيث". (٥) .

١ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٠٥ .

٢ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٥٤ .

٣ . المرجع السابق، ص ٣١٣ .

٤ . المرجع السابق، ص ٣٠٧ .

٥ . المرجع السابق، ص ٣٠٨ .

ويسعى على تفتيت كتلة الفقراء والتفريق بينهم وبين أصحاب الكلمة والريادة فيهم.

إنه يؤمن أن الناس عبيده وهو ولي نعمتهم لذا فالقتل جزاء من يعترض طريقه، فعثمان باشا وأمثاله يعيشون "حياة ممزقة متسخة بلا نظام أو معنى، الرجال يلبسون مسوح الرهبان، وأردية الشياطين تارة أخرى، يقضون الليل متقيظين والنهار نائمين... والآثام تربوا والعالم يمضي أمام أعينهم مهزوزاً مترنحاً وكأنه شرب الخمر مثلهم، والذئاب تعوي وتعربد وتسرق وتبدد المال وتفترس بلا ضمير" (١)

إن الطبقة في الرواية ممثلة في ملاك الأراضي الذين شكلوا الطبقة العليا في المجتمع المصري والتي لم تكن تحظى بوضع مادي مختلف عن باقي الشعب وإنما بوضع قانوني خاص وبألقاب خاصة تحدد مستويات رجال الطبقة من باشاوات وبهاوات وتفصل بينهم وبين العامة وتحدد التعامل معهم من السلطة ورجالها.

أصبح خطر تلك الطبقة من الأثرياء والقادة ليس فقط في الإخلال بالعدالة الاجتماعية "إنما المأساة في حقيقتها هي البحث عن عدالة شاملة.. عن حرية كاملة تؤمن بحق الإنسان..". (٢)

وامتد هذا الخطر ليؤثر على استقلال الوطن حيث أغرقت تلك الطبقة المجتمع في بئر التبعية الكاملة للإنجليز فاستفحل الفساد والسيطرة على موارد الدولة وأراضيها بعقود باطلة وهضمت حقوق الشعب وتردت أحواله المعيشية تماماً بالإضافة لهدمهم لكافة مبادئ العدالة الاجتماعية وإضرارهم بمصالح البسطاء من الشعب.

"فليس لهؤلاء الطغاة عائلات فقيرة يعولونها... وليس لهم قيم ومبادئ يؤمنون بها، ويؤرقون من أجلها، وليس لهم شرف يغارون عليهن ويضحون سبيله بحياتهم،

١. رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٠١ .

٢. المرجع السابق، ص ٣٢٥ .

والدليل على ذلك يسهرون الليالي مع ضباط قوات الاحتلال ويضحكون ويسكرون على أشلاء شعب مستعبد، يعيش في العذاب". (١) .

"إن التعبير عن هموم المظلومين والمقهورين والمستضعفين من عامة الناس هو ما ألح عليه كثيراً الكيلاني في رواياته، فقد كانت الطبقة الدنيا المظلومة، المقهورة المستضعفة حاضرة في روايته هذه حضوراً مستمراً دائماً ونماذج المظلومين والمقهورين تملأ صفحات كثيرة من الرواية".

ومنه نستنتج أن الروائي أراد الدفاع عن الطبقات الضعيفة في المجتمع المصرين والتي لم تستطع أن تطالب بحقوقها من شدة جبروت عثمان باشا الإقطاعيين إلا أن هذا التهميش الذي تعانيه طبقة الفلاحين لم يقتل فيها روح التحدي لهذا الواقع السلبي الذي طغت عليه المادية وعدم المساواة بين أفرادها ليكون في النهاية الانتصار للفلاحين الفقراء عن لقمة العيش أو التواقين إلى العدل والإنصاف والمتشبثين بأرضهم وسقوط النظام الإقطاعي الظالم.

الفساد الاجتماعي

"هو مجموعات من السلوكيات التي تحطم أو تكسر مجموعة القواعد والتقاليد المعروفة أو المقبولة أو المتوقعة من النظام الاجتماعي القائم بمعنى تلك الأفعال الخارجة عن قيم الجماعة الإنسانية، فهو يشمل جميع الممارسات التي تخالف الآداب العامة والسلوك القويم". (٢) .

ومن صور الفساد الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني، نرى في رواية (رأس الشيطان) نجد الاغتصاب.

١ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١٣٤ .

٢ . أثر الفساد الإداري على أبعاد التنمية المستدامة في الجزائر ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤، الوزاني كتنزة، الطبعة الأولى عام ٢٠١٥، المكتبة العلمية، الجزائر، ص ٢٣ .

موضوع الاغتصاب في الرواية:

"تناول الأدب العربي الحالة المركبة للاغتصاب، وثمة عدد كبير من النصوص الأدبية أو الروائية كان الاغتصاب بؤرتها الأساسية، أو تيمة بارزة من تيماتها، أو نواة بناء إحدى شخصياتها، أو أحياناً موضوعاً ثانوياً في السرد، وغالباً ما يذكر الاغتصاب عند بناء عوالم روائية بمفردات الواقع المعيش".

"بما أن الاغتصاب هو فعل تعدٍ وقهر للإرادة فهو يمارس على المرأة، إن كان بحكم القوة والسيطرة من كائن أقوى تجاه كائن أضعف أو الأقوى بمعايير مختلفة، المالك للحظة بما تمده ظروفها من أسباب التسلط والقوة، فيمارس الاغتصاب كتعبير عن امتلاك كيان الآخر الواقع في قبضته وتحت سطلته الكاملة، وطعن قيمة بالاغتصاب". (١).

إن الحديث عن العنف يتطلب دائماً وجود طرفين أساسيين هما من يمارس العنف من يُسلط عليه العنف، فالأول في شكله البسيط الواضح هو الشخص الذي يمتلك القوة لممارسة العنف، وكثيراً ما يكون الرجل الذي ينظر للمرأة على أنها الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه إلا تحت وصابته، وهذا ما نجده في شخصية "سلطان ناظر العزبة" الجديد "هذا القاسي العاق" (٢).

الذي حرّضه الباشا على أبوه محروس والذي قال عنه "سلطان ابني وحش مجنون" (٣).

كان سلطان حانقا أشد الحنق فقد داهم بعض اللصوص حقول القطن التي يمتلكها الباشا وسرقوا منها كمية صغيرة لا تزيد عن نصف قنطار، مع هذا فقد ملأ سلطان الريّة تهديداً فقد كان يمشي مفتول الشارب يوزع نظرات التحدي والإهابة

١. الاغتصاب بين الأدب العربي وسريالية الواقع، سوسن جميل حسن، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٦، منبر ثقافي عربي، ص ٣.

٢. رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٩٢.

٣. المرجع السابق، ص ٩٧.

لكل من يقابله، الذي يسوق الناس بالحديد والنار مستمداً سلطانه من نفوذ الباشا ومركزه "وكان يقضي ليله في المؤامرات وتدخين الحشيش، ويقضي نهاره في أخذ الناس ليحرثوا ويزرعوا ويحصدوا في أرض الباشا بأجر زهيد على الرغم منهم" (١) .

فبعد حادثة السرقة أرسل سلطان رجاله إلى البلاد النائية ليجلبوا التراحيل كي يعملوا في جمع القطن، وفلاحة أراضي العزبة. فنزل عمال التراحيل المنطقة "في ثيابهم المهلهلة الرثة، وأقدامهم الحافية المتشققة وعلى وجوههم المغبرة آلام العزبة، وسمات الذل والضياع" (٢) .

فكانت من بينهم فتاة جميلة مغلوب على أمرها، تغلبت عليها ظروف الحياة بمرارتها وظلمها فكانت عاملة في عزبة عثمان باشا، والتي أعجب بها سلطان وصفر لها ذاهلاً، وهتف بأعلى صوته:

- تعالي يا بنت.

- وأقبلت الفتاة تتعثر في ارتكابها وخجلها، وحاولت أن تحجب وجهها بشالها الأسود البالي.. الشمس قد لوحت بشرتها البيضاء وصبغتها بسمرة فاتنة، والحرارة كأنما قد تكومت فوق خديها، فجعلتها في حمرة الدم وعيناها - برغم الفقر والنحول والتعب - تتحدثان حديث البراءة والفتنة والجمال، وقدمها الصغيرتان الدقيقتان برغم الحفاء والوحل تثيران في نفسه المشتتة الجائعة إلى الحرام مشاعر متمزقة.. والوهم الكبير الذي خلفه تعاظم الحشيش انساها كل معنى إنساني" (٣) .

فامرأة تتعرض بسبب جمالها وصفاتها الأنثوية لمجموعة من الضغوطات التي تصل في آخر الأمر إلى الاغتصاب. فهذا ما حدث للبننت نجية عبد السلام بعد أن أوهما سلطان بأمر جمالها لا يصح أن تحرقه الشمس ويذبله العمل الشاق، وبأنه يحتاجها كعاملة لزوجته المريضة، ولكن "شعور بالخوف أكد لها أنها فريسة ضعيفة

١ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ١١١ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢١٢ .

٣ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٢٣١ .

أمام وحش كاسر... وهي بنت الستة عشر ربيعاً... تجلس إلى جوار سلطان الجبار الذي تفوح من فمه رائحة الحشيش" (١) .

وبقيت نجية عبد السلام أسيرة في بيته الذي يعيش فيه عياله وزوجته، إلى أن فاحت رائحة الفضيحة، فزوجة سلطان المريضة التي نهشت قبلها الغيرة هي التي كشفت بأن زوجها قد اغتصب نجية، وبالرغم من هذه الشائعة إلا أن سلطان وعددها بالزواج، لكنها كانت "أضعف من أن تثور أو تهرب أو تشكو بعد أن فقدت شرفها" (٢) .

لا أمل لها سوى أن يتزوجها سلطان، إنها لا تتصور نفسها وهي تسير في طريق الوحدة والألم متجهة صور كفر العرب، حاملة على رأسها العار والذل والضياع "ليتها ماتت قبل أن تسلم نفسها له" (٣) .

لكن بعد أن غادر عمال الترحيلة العزبة تنكر لها سلطان وأمسك يدها بقسوة ورمها خارجها وأغلق الباب "فمشت نجية عبد السلام في طريق أسود طويل.. شعرت برأسها يدور.. فانتحت جانباً ولمست يدها الباردة المرتجفة جذع نخلة عالية فتحسستها وتحسست بطنها وفي هدوء تسلقتها.. ثم قذفت بنفسها.. وانتهت كإنسانة.. وإن ظل جسدها مطروحاً على الأرض ينزف دمًا يُسَطِّر قصة مأساة دامية رهيبية..". (٤) .

تبقى المرأة في زاوية محصورة بن الذات التي ترغب في التحرر وبين الطرف الآخر المتسلط لينتهي بها الأمر على أن تفضل الموت على الحياة.

١ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٢١٧ .

٢ . المرجع السابق، ص ٢٢٠ .

٣ . - المرجع السابق، ص ٢٢١ .

٤ . رأس الشيطان، نجيب الكيلاني، ص ٢٢٧ .

ففي المقطع الأخير يوضح الكيلاني الوضعية المتأزمة التي عاشتها نجية، وأنها رفضت الوضعية التي كانت عليها، لأنها كانت ضحية لجسدها الأثوي، وهذا الرفض تمثل في البكاء "فنجية التعسة لا تكفُّ عن البكاء" (١).

والألم والأوجاع فهي تبين الصراع الداخلي لنفسية محطمة باتت من المستحيل مداواتها. فشخصية نجية تمثل دلالة للجسد المحطم والمنتهك الذي تغمره المعاناة والألم والقهر الاجتماعي.

ولم تمر ساعات حتى أمر سلطان خفراء الباشا بحرق الفلاحين انتقاماً منهم لرفضهم العمل في أرض الباشا، فاشتعلت كذلك القرية ومات سلطان "مات حقيراً كالكلب القذر لقد دفنوا جثته قبل أن يدفنوا جثة ضحيته" (٢).

يمكن القول أن الاغتصاب هو عبارة عن استجابة لتهديد الآخر، والضغط عليه وإرغامه على اتخاذ موقف معين، وبالتالي فهو سلوك يتبدى بالكلام وينتهي بالفعل، وهذا ما تطرق له الكيلاني في محاولة اغتصاب رئيس التحرير لسكرتيته الخاصة صفاء، التي شعت بأن تصرفاته تبدو غريبة ويتكلم في مواضيع لا علاقة لها بالعمل "ويدخن بكثرة مفرطة، تفوح من فمه رائحة الخمر، وعيناه فيهما رغبة محرمة... إنك جميلة اليوم.. بل أجمل من اللازم..". (٣).

كانت صفاء خائفة تستمع لكلماته وهي ترتجف إلى أن رأت يده تزحف كالحية الغليظة نحو يدها "وما إن أمسكت أنامله براحة يدها حتى همت بسحبها بسرعة وعنف" (٤)، وقام الرجل يتقدمه كرشه المنتفخ، وأمسك بزندها، وهمس كرجل يحتضر قائلاً: "أنا أعبدك... أنت لي" (٥).

١. رأس الشيطان، ص ٢٢١.

٢. رأس الشيطان، ص ٢٢٩.

٣. رأس الشيطان، ص ١٤١.

٤. رأس الشيطان، ص ١٤٢.

٥. رأس الشيطان، ص ١٤٣.

قال ذلك وهو يحاول لاهثاً أن يلتصق بها، ويقرب وجهه من وجهها ونوازع الشر تنطلق من عينيه في حيوانية، وصوت كخوار ثور يسلم أذنيها.. كانت تدفعه عنها وتقاوم بقوة "كان كالصخرة الثقيلة التي تأبى أن تتزحزح" (١).

هذا السلوك العنيف الذي مارسه رئيس التحرير على صفاء ولد لديها مشاعر الكره، ذلك كونه استعمل القوة ضدها، كما أنه لم يكن هناك رضا من طرفها "فهمت بأن تدفعه، لكنها أحست بقبضته تتراخى، ووجهه يشحب، وجفونه ترتخي.. ثم ارتمت على الأرض عاجزاً مقهوراً لا يستطيع أن ينطق.. لقد سقط الرجل في إغماءة" (٢).

لم تعد صفاء تعي ما حدث بعد ذلك تماماً، صورة مرتجة متشابكة الخطوط هي التي لم تزل عالقة بذهنها، خلق كثير وفدوا إلى تمام الحجرة من بينهم ضياء سرعان ما ألقى نظرة شاملة فاحصاً الحجرة، ودقق النظر في وجوه الحاضرين وصفاء التي تعرضت لمحاولة الاغتصاب والتي ولدت لديها صراعاً نفسياً بادياً على وجهها "صفاء كتمثال من الرعب والخوف، وتعبيرات غريبة ترسم على وجهها، ولم تكن هذه التعبيرات مجرد خوف وإشفاق وإنما تنبئ عن صراع نفسي هائل" (٣).

بعث في نفسه شيئاً من الشك.. حتى وجد نفسه مدفوعاً إلى السير في اتجاه بيت صفاء، سائلاً: ماذا جرى؟ تكلمي..... كانت رائحة الخمر تفوح من فمه.... فأجهشت بالبكاء، ومن بين دموعها انطلقت كلماتها حزينة منزعجة: أراد اغتصابي" (٤). لكن الله حطم قواه فتهاوى في ضعف.

إن لجوء رئيس التحرير لاستدراج صفاء بالقوة وإجبارها على القيام بأفعال لا تحبها وحرمانها من حريتها الذاتية في العمل هذا ما أعاقها في الاستمرار بشكل جيد

١. رأس الشيطان، ص ١٤٣.

٢. رأس الشيطان، ص ١٤٦.

٣. رأس الشيطان، ص ١٤٥.

٤. المرجع السابق، ص ١٤٦.

في حياتها اليومية مع الأشخاص "سوف أبقى في مسكني لا أغادره... لا أريد أن أرى أحداً...".^(١) .

وولد لها شهورا بالكآبة والإحباط وإحساسها بالإذلال والمهانة والخجل "أنا أحس بالخجل"^(٢) . فرئيس التحرير تعجبه صفاء لشبابها ونظارتها فهي حسبته تقوي صلته بالحياة التي يوشك أن يفارقها.

في هذه الرواية حاول الكيلاني أن يجسد لنا شكلاً من أشكال العنف ضد المرأة، ذلك من خلال الممارسات الوحشية ضدها، إذ تجده جعل من العنف صورة عاكسة للواقع وما تحمله من مواقف مأساوية ومتناقضات، ما تعاني منه المرأة بتعرضها لأبشع أشكال العنف.

إذن فالروائي عبر عن حالة من حالات المجتمع المعيشة وهي حالة الاغتصاب أو انتهاك الجسد والتعامل مع المرأة على أنها مخلوقة عاجزة تخضع لأوامر السلطة الذكورية، محاولاً إبراز مأساة هذا الجسد وهو يقاوم.

العلاقة بين الرجل والمرأة

"لا شك أن العلاقة بين الرجل والمرأة على الصعيد الواقعي هي عنوان كبير لإشكاليات التقدم والتخلف والتطور والارتقاء، ولكن رصد هذه العلاقة في الرواية قد لا يشكل مؤشراً أو دليلاً كبيراً على حركة تنامي الواقع وتطوره ذلك أن الروائي عامة حين يعرض الواقع، فإنه لا يقدمه كما هو وإنما يحاول إعادة ترتيبه بما يتناسب مع آمال الشعب وأهدافه، فالنظرة الواقعية عنده ليست استنساخاً بليداً للواقع، وإنما هي اكتشاف وغزو خلاق لقسماته الأساسية القائمة الممكنة لأنها اكتشاف لملامح النمطية النموذجية في الحياة، والمعبرة عن جوهر صراعاتها ومواقفها وحركاتها النشطة، بكل ما تتضمنه من عذابات وانتصارات ومشاق وإمكانات منهارة أو متولدة".

١ . المرجع السابق، ص ١٤٧ .

٢ . المرجع السابق، ص ١٤٨ .

"ومن هذا المنطلق صور الروائيين شتى العلاقات بين الرجل والمرأة، ووقفوا في معظم رواياتهم على صور إيجابية كثيرة لعلاقات سليمة ومعافاة، وصور سلبية قليلة لعلاقات مريضة مأزومة لكن كثرة هذه أو قلة تلك ليست إلا تعبيراً عن رؤية الكاتب الفنية للواقع، تلك الرؤية التي تحمل من الشجن والطموحات ما تحمله من الرؤية الواقعية".

والعلاقة التي يمكن أن تربط بين الرجل والمرأة علاقات كثيرة ومتنوعة سواء أكانت داخل الأسرة أو خارجها، وقد اخترنا من بين هذه العلاقات علاقتين مهمتين في حياة كل من الرجل والمرأة، ألا وهما علاقة أو رابطة الحب والزواج.

الحب

لقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الرجل والمرأة بأسمى المودة والرحمة، فجعلهما يتقاربان ويتجاذبان فهذه الرابطة القوية هي ما يعرف بالحب.

تعريف الحب:

الحب هو من أنبل العواطف وأقوى وسيلة لحفظ الجنس البشري، قد يقوم على لمسة من يد أو نظرة من عين يخضع لها القلب بغير تفكير، ويمثل عند البعض عبثاً ولهواً ومضيعة للوقت بأنه الأقدر على فعل المستحيل بتحطيمه لحواجز الكبرياء والتعالي والتعجرف^(١).

الحب ظاهرة إنسانية وعاطفية يمتزج فيها الشعور بالعقل والإرادة وقد يخلد إلى الأبد وهذا بالحفاظ على مقوماته ويرضخ في الأذهان، ويكون عبءاً للآخرين، أو هو استعداد خلقي في تكوين الإنسان وليس مكتسباً، فهو نوع من الميل نحو الآخر.

١. صورة المرأة في الرواية الجزائرية (رواية الوصف المخيف لرابح بوكريش أنموذجاً)، عدوان رانية، آية يخلف منيرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، إشراف: مسالي ليندة، جامعة بجاية، الجزائر، عام

"وقد تعددت التعريفات واختلفت الآراء حول عاطفة الحب هذه الظاهرة الغامضة التي لا طالما حيرت الإنسان البسيط والعالم الفقيه وهذا لا لسبب إلا لكونها - بالدرجة الأولى - عاطفة تختلف معالمها وتأثيراتها باختلاف التجارب الفردية، فالحب رغم التسليم بقدر مشترك له بين الأفراد يظل تجربة ذاتية، تجربة تؤثر أشد تأثير على عملية تصوره والحكم عليه ومن هذا فكل إنسان يمكن أن يعد نفسه صاحب خبرة في هذا الحب، فينبغي اعتبارها للإفادة منها".

الزواج

"إن الأسرة تنشأ بخطوة لها كيان تصوري في ذهن الناس يطلق عليه الزواج، ويعطي المجتمع هذه الخطوة قدراً كبيراً من الأهمية فيشاور ويرتب ويفاضل ثم يقرر. يجتمع الأهل والأصدقاء للاحتفال بالمناسبة ويعلن الجميع أن الزواج قد تم، وأن في قدرة العروسين ممارسة حياتهم كوحدة مستقلة باعتراف الجميع وتباريكه". (١).

موضوع الحب في روايات نجيب الكيلاني

لقد تناول معظم الروائيين العرب في نصوصهم قصص عاطفية غرامية مستعينين بأسلوب المجاز تارة والتلميح تارة أخرى، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تلك المنزلة الكبيرة التي يحظى بها الحب في حياتهم، وهذا ما يفسر اهتمام الروائي (نجيب الكيلاني) بالحديث عن الحب الذي يعد رمزاً للوفاء والولاء للحبيب .

وهذا ما نجده إحدى رواياته، حيث يقول: "هكذا كانت صفاء عندما تسلمت رسالة ضياء، خفق قلبها خفقات حلوى لها مذاق خاص، ولم يكن في ذهنها آنذاك صورة لبركات، أو صدى لكلماتهن ورئيس التحرير بدا هو الآخر كسطر باهت

١ . علم الاجتماع العائلي، محمد القصاص مهدي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٨ م، جامعة منصور، مصر، ص

غامض.. ضياء وحده هو العالم الفريد الذي ملأ كيائها واحتل فكرها، ولا مكان بعد ذلك لإنسان غيره في قلبها" (١) .

فالروائي بقوله يريد أن يبين لنا وفاء صفاء لمحبوبتها ضياء رغم الإغراءات الموجهة لها من طرف بركات الزناري ورئيس التحرير.

ويؤكد لنا في مقطع آخر مدى وفاء صفاء لضياء الدين بقوله: "إن صفاء تحبه، وعندما تتأكد أنه يبادلها هذه العاطفة فتصبح مشاكلها مجرد مشاغبات تافهة" (٢) .

وقد كان هذا الشعور بالحب متبادل بينهما ".... كانت نظراتهما تتعانق وكانت تعبيرات وجهيهما نابضة بالحياة والحب والأمل" (٣) .

كما تحدث الكيلاني في روايته عن الحب المستحيل، أي حب من طرف واحد، هذا الذي كان من طرف بركات الزناري اتجاه صفاء، التي كانت تعيش بدورها حالة حب اتجاه ضياء فيشير في قوله: "بركات إنسان طيب.. ذو قلب كبير... يحبك بكل روحه.. ولهذا يطلب يدك لنفسه فهل توافقين؟؟... نظرت صفاء إليه وصورة ضياء الدين ما زالت تشغل رأسها بسمته وذقنه الحليق والنظارة الزجاجية البيضاء تحتضن عينه التي تشعان براءة وطهرًا..." (٤) .

كما أن الروائي تناول موضوع الحب في روايته من زاوية أخرى، فتحدث عن الحب الذي يجمع الفرد بجماعة، أي ذلك الحب الذي كان بين ضياء الدين والفلاحين، فقد تحدث "نجيب الكيلاني" عن ضياء الدين الذي كان محبوباً من طرف الفلاحين حيث يقول أنهم: "يتشبثون بأذيال ثوبه ويطلبون منه أن يبقى بينهم

١ . رأس الشيطان، ص ١٣٠ .

٢ . رأس الشيطان، ص ١٢٩ .

٣ . رأس الشيطان، ص ١٧٢ .

٤ . رأس الشيطان، ص ٣١ .

أطول مدة ممكنة ليرفه عن نفوسهم المتعبة، ويمد لهم في حبال الأمل ويشهرهم بحياة طيبة" (١) .

فهو بالنسبة إليهم المستقبل والآمال كما تحدث أيضاً عن حب ضياء الدين للفلاحين فهو يحمل رسالة الثورة والتمرد على واقعهم الظالم، وكان واع بمأساتهم فيقول: أن الناس جميعاً في القرية يعيشون مأساة أزلية ممتدة إلى بعيد، والأزمات تأخذ بخناقهم" (٢) .

موضوع الزواج في روايات نجيب الكيلاني

الزواج ظاهرة اجتماعية هامة لتكوين الأسرة والربط بين الذكر والأنثى رباطاً ينتج عنه المودة والتآلف والسكينة، وبقاء النوع في صورة منظمة، وقد خصصت له المجتمعات قوانين مدنية وأكدت عليه الشرائع السماوية (٣) .

ويختلف بهذا الاختلاف أعرف وتقاليد المجتمعات والأديان البشرية وتباين ثقافاتهما، وتنوع اقتصادهما، فالزواج مدنياً أو دينياً عقد بين طرفين قائم في الأصل على الموافقة والاختيار (٤) .

ونظراً لأهمية موضوع الزواج نجد أغلب الروايات المعاصرة قد تطرقت له في نصوصها فنجد من ضمن روايات نجيب الكيلاني رواية رأس الشيطان واحدة من تلك الروايات التي تناولت هذا الموضوع، فيستحضر الروائي في روايته كيف طلب بركات الزناري وهو يسحق عقب السيجارة في طفاية زجاجية يطلب من صفاء الزواج بعد أن كانت تثقل عليه من بعيد "عزيزتي صفاء، إنها لهجة لم تألفها منه من قبل، ولم تجب،

١ . رأس الشيطان، ص ١٦ .

٢ - رأس الشيطان، ص ١٦ .

٣ . المرأة في الرواية العربية، صالح مفقودة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩، جامعة محمد خيضر، دار الشروق للطباعة والنشر، سكرة، ص ١٢٠ .

٤ . الشخصية الإشكالية مقارنة سوسولوجية ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي، حميد عبد الوهاب البدراني، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣ م، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ص ٧٤ .

بينما استطرد قائلاً: بركات إنسان طيب.. إنسان ذو قلب كبير.. ويحبك بكل روحه.. ولهذا فهو يسلك السبيل الذي لا التواء فيه.. ويطلب يدك لنفسه.. فهل توافقين؟؟ سألها في ذلة وانكسار وبقي فمه مفتوحاً نصف فتحة وأخذ يترقب شفيتها الرقيقتين اللتين لا تعرفان الأصباغ: وأيقن على الفور أن الأمر بالنسبة لها كان مفاجئاً وهو أمر جد خطير، فأراد أن يبدد الوجوم والارتباك الذين أطبقا في المكان فقال: "أنت تعلمين أنني زوج واقعي.. أشغل وظيفة حكومية إلى جانب عملي بالجريدة... لا أعرف المقاهي ولا رفاء السوء" (١) .

كما أشار الكيلاني إلى رغبة رئيس التحرير في الزواج من صفاء فقد كان ينظر إليها دائماً بنظرات تبعث على السرور والراحة والانفعال، حيث جعل من صفاء - ليست مجرد سكرتيرة - ولكن "تحفة جميلة، لوحة رائعة مثلاً أو باقة من الزهر يسعد قلبه العجوز بمرآها، ويستمتع بمسحتها الوداع الحزين، ووجهها الشاحب في الجمال الباهر في جاذبية أسرة" (٢) .

وبالإضافة إلى كل هذا فإن الكيلاني لم يفوت فرصة الحديث عن العلاقة التي تتوج في الأخير بالزواج بين ضياء الدين وصفاء، إذ تطور الشعور بالإعجاب إلى الحب حتى الخطوبة ثم الزواج "لكنني.. أعذرنيين فيما أقول أعني أنني رأيتك فانهارت مقاومتي، وتبين لي زيف حياتي وفراغها... صفاء هل تقبليني زوجاً؟" (٣) .

وفي موضع آخر "عزيتي صفاء إنني أخطبك لنفسني.. فهل تقبليني زوجاً" (٤)

١ . رأس الشيطان، ص ٣١ .

٢ - رأس الشيطان، ص ٧٢ .

٣ . رأس الشيطان، ص ٧٦ .

٤ . رأس الشيطان، ص ٢٠٠ .

الفقر

"تعتبر ظاهرة الفقر واحدة من أهم وأقدم المعضلات التي شهدتها المجتمعات أو أقراتها النظريات الاقتصادية والاجتماعية، ويرتبط التراث التاريخي لهذه الظاهرة بالفوارق الكبيرة في الثروة، وبوجود أفراد أثرياء أو أمم غنية تجد من مصلحتها إبقاء الأمم الأخرى في حالة فقر مستمر، والحقيقة أن الفقر من أخطر القضايا وأكثرها تعقيداً وقياساً وقراءةً، فهو ينطلق من مفارقة واقعية تجمع ما بين السبب والنتيجة، فالعديد من الثورات الاجتماعية والسياسة الكبرى في التاريخ الإنساني كان الفقر أحد أسبابها الرئيسية، كما أن ظاهرة الفقر جد مهمة في تحديد الملامح العامة لأي إقتصاد من إقتصاديات الدولة، فهي ظاهرة لا تخلو أي دولة منها، سواء كانت متقدمة أو متخلفة وهي قضية مألوفة ومتناولة من حيث أنها اقتصادية واجتماعية لجميع الشعوب والحضارات والمجتمعات، وفي جميع العصور، ون الطبيعي فإن دراسة أي ظاهرة أو مشكلة اجتماعية تتطلب تعريفاً واضحاً لتلك المشكلة أو الظاهرة".^(١)

موضوع الفقر في روايات نجيب الكيلاني

يحظى موضوع الفقر في الوطن العربي بأهمية بالغة عند الأدباء والكتاب والروائيين حيث نجد الروائي (نجيب الكيلاني) قد صور لنا موضوع الفقر في روايته كونه ظاهرة بشرية تهدد حياة الملايين من الشعوب العربية من بيها وطنه مصر فقد وصف الأوضاع المزرية والفقر الذي كانت تعيشه مصر في فترة الاستعمار الإنجليزي لها فيشير في إحدى روايته إلى حالة الشعب فيقول: "أنه مشغول بآماله الكبار وحدها، بقضية الوطن والجماهير المعذبة التي يثقلها العسف والظلم، ويسحقها الفقر والضياع"^(٢).

^١ - معضلة الفقر (اثارها ومظاهرها)، قطوش سامية، المجلة الثقافية المعرفية، العدد ١٤، عام ٢٠١٢، جامعة

الجزائر، ص ١ .

^٢ . رأس الشيطان، ص ٧٦ .

وفي موضع آخر يتحدث الكاتب على لسان ضياء الدين فيقول واصفاً حالة الفلاحين والحياة التي كانوا يعيشونها "الجوع يطحن الملايين والمصانع لا ترحم، ورأس المال يستبد، والعامل يريد أن يأكل ويحمي أسرته من الفقر والموت، إنه يعطي الكثير من طاقاته وقواه مقابل قروش قليلة، ويحيا في ظل قهر وعبودية، وحرمان رفعوا عقيرتهم بالشكوى، لكن الخصم هو الحكم..." (١) .

كما أظهر الكاتب ظلم الحكام واستغلالهم، وتعديهم على أموال الشعب وحقوقهم بالنهب والسلب والاعتصاب، فيقول: "الفلاحون لا أحد منهم يستطيع الاقتراب من القصر الكبير الذي تحرسه الكلاب والرجال والأسلاك الشائكة، ويعودون إلى بيوتهم القميئة بعد أن بسط الليل أوراقه وأحلام الجائعين ترفرف في حجراتهم الضيقة الشحيحة، وغطيط نسائهم الغارقات في السواد ينبعث رتياً متحشراً" (٢) .

وفي موضع آخر يصف حالة الناس المزرية "... الباعة المتجولون يدفعون عربات اليد في أنات رغم البرد الذي ينضب عليهم، ونداءاتهم واهنة متعبة، وبعض الأطفال يرقدون على الأرصفة في عز الزمهرير القارس وأسنانهم تسطك برغم الغطيط الذي ينبعث منهم..." (٣) .

فيبدو أن تصوير الكيلاني لمعاناة الفلاحين والفقراء في قوله: "هذه الحيوانات العجفاء قد حيرني أمرها.. لكم تساءلت بيني وبين نفسي من يكون هؤلاء الفلاحون بالنسبة لي؟ لا صحة ولا مال ولا قوة ولا عصبية.. لكنهم مع ذلك مشاغبون... قد أمسك بتلابيب أحدهم وأشوي جلده بالسياط وهو يتأوه ويتألم ويستغيث" (٤) .

كان يهدف من ورائه إلى الدعوة للتمرد وعلى أسباب المعاناة وذلك العذاب فتعاطفه مع الضعفاء ينبع من إيمانه القوي بحتمية انتصار الحق على الباطل والخير

١ . رأس الشيطان، ص ١٥٤ .

٢ . رأس الشيطان، ص ١١٣ .

٣ . رأس الشيطان، ص ٥٢ .

٤ . رأس الشيطان، ص ٠٨ .

على الشر وهذا ما يؤكد لنا رفض الكيلاني وإدانتته لكل أنواع القمع والاستبداد والاستغلال، ودعوته إلى التضامن والتكافل وانتصار شخصياته المظلومة في صراعها الاجتماعي وعودة الحق إلى أصحابه بحيث يعم الحب والأمن والسلام.

الحرية

مفهوم الحرية

لغة: مصدر حرّ، يحر، القدرة على التصرف بملء الإرادة والخيار، الخلوص من العبودية أو اللوم أو نحوها (١).

واصطلاحاً: "هي ما يميز الإنسان عن غيره، ويتمكن بها من ممارسة أفعاله وأقواله وتصرفاته، بإرادته واختياره عن غير قسر ولا إكراه، ولكن ضمن حدود معينة". (٢)

موضوع الحرية في روايات نجيب الكيلاني:

للحرية وقع خاص في نفوس البشر، إذ تعد أكثر الكلمات تداولاً خصوصاً في العصر الحديث نظراً لتطور الفكر البشري المتزايد حول زيادة المواضيع التي تدخل ضمن نطاقها فالحرية في مفهومها الكلاسيكي تعني قدرة الإنسان على اختيار سلوكه بنفسه، ويشير الفقه إلى أن الحرية هي مجموعة الحقوق المعترف بها والتي اعتبرت أساسية في مستوى ضحاري معين، ووجب بالتالي أن تتمتع بوصفها هذا بحماية قانونية خاصة تكفلها الدولة لها وتضمنها بعدم التعرض لها وبيان وسائل حمايتها، فالرواية العربية كانت من بين الأدوات التي تناولت إشكاليات القمع والحرية في صور وروافد كثيرة، حيث تطرقت إلى هذا المأساة هذه الإشكاليات من زوايا مختلفة وأدانت

١. الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، الطبعة السابعة، عام ١٩٩٢، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص ٣٠٢.

٢. معالجة صحيفة الشروق اليومي الجزائري لقضايا الفساد في الجزائر، ريحة تواتي، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م، جامعة قاصي مرياح، ورقلة، ص ٢٥.

كل أساليب القهر السياسي والاجتماعي من خلال تصويرها وإبرازها لواقع القمع والاضطهاد والتعذيب السياسي والاجتماعي الذي يسيطر على الحياة السياسية العربية ويوجد من حرية الإنسان العربي ويتعدى على حقوقه الإنسانية العامة والخاصة، ويمنعه من تناول أمور مجتمعه ووطنه بحرية وديمقراطية (١) .

ومن الروايات المصرية التي تناولت موضوع الحرية نجد نجيب كيلاني في روايته (رأس الشيطان) التي أدانت ورفضت القهر السياسي والإرهاب الفكري والتعذيب المادي والمعنوي منادية بالحرية والتطلع إلى تجاوز هذا الواقع المدان إلى مستقبل أفضل أكثر إشراقاً وحرية وعدالة:

"نحن نحلم بالحرية ولن نتحقق الأحلام إلا بثمن باهظ بتضحيات غالية أكثر من مجرد المظاهرات والتهتافات.. إننا نكره العنف والدم ونعشق السلام". (٢) .

فالحرية هي مقاومة التماثل ومطاردة النمطية، وأنها كل محاولة لمصادرة حرية الناس وصب أرواحهم في قوالب متماثلة وخنق تطوراتهم وشل طاقاتهم الخلاقة، هي محاولة لإعداد نماذج بشرية كالحجة فارغة من كل إضافة نوعية، وعارية من كل جاذبية أو بريق وخلق من أي معنى كبير، ومثل هذه النماذج البشرية الباهتة لا يقوم بها البناء الجاد ولا يعول عليها في الأمر الجلل لأنها طاقتها الخلاقة معطلة، ومواهبها مدفونة واكتساباتها مكبلة وهي في كل أحوالها تعاني الظلم والقهر والحبس والإحباط بسبب الاستبداد وثمارة المرّة (٣) .

"فالأيدي القذرة هي التي تملك الزمام، وتقرر مصير الأحرار، وتسجن الكلمة الشريفة وتعوق ركب التطور والحرية.. إنهم مجرد أدوات حقيرة، ووسائل سافلة في يد المستعمر، ولو فكر هؤلاء الأوغاد لعلموا أنهم لا يطعنون معارضيتهم فحسب، بل

١ . الرواية السياسية، أحمد محمد عطية، ص ١٧ .

٢ . رأس الشيطان، ص ٨٧ .

٣ . القيم الإنسانية والجمالية في قصص نجيب كيلاني، نصير الدين دلاوي، ص ١٢٢ .

يطعنون أمتهم في الصميم، ويجنون جناية بشعة على مستقبل الأجيال وكفاح الأمة التي حكموها بالحديد والنار.. " (١) .

والحقيقة أن الحرية من مقومات بقاء واستمرار الإنسان والمجتمعات البشرية. ولا نبالغ إذا قلنا الإنسان لا يحيا بدون الحرية. فالكائن البشري لا يستطيع الاستمرار في حياته بدون هذا العامل. فيحتاج إلى الحرية ليؤكد من خلالها إنسانيته وكرامته. ولذلك نرى البشرية منذ وجودها وهي في كفاح ونضال مستمرين من أجل الوصول إليها وامتلاكها والحفاظ عليها (٢) .

"فالمأساة في حقيقتها هي البحث عن عدالة شاملة من حرية كاملة تؤمن بحق الإنسان" (٣) .

استغل عثمان باشا السلطة والنفوذ لقمع الحريات وتحقيق مآربه فقد صورته الراهية شخصاً سياسياً ينتهج الطرق الملتوية لبسط النفوذ وتحقيق مطلبه السياسي، فهو إذ يمارس السلطة لا يمارسها بسمته مسؤولاً وراعياً وإنما بوصفه مركزاً سلطوياً، يعتبر المثقفين هامشاً مُذلاً عليه واجب الطاعة والخضوع لأوامره، "الأوغاد يعطلون الكفاءات ويسكتون الأقلام الحرة بطريقة خبيثة" (٤) .

حيث قام عثمان باشا بمصادر الجريدة "هؤلاء المجرمون يصادرون الجريدة بعد أن تم طبعها ويصيبون ميزانية الجريدة بعطب شديد" (٥) .

هذا ما دفع ضياء الدين وبقية الصحفيين ورئيس التحرير إلى الخروج في مظاهرات، فقد شعروا برغبة قوية بأن ينطلقوا في كل ناحية ليقتلوا ويدمروا ويرفعوا

١ . رأس الشيطان، ص ٣٠٣ .

٢ . مفهوم الحرية بين النقد والدراسة - قراءة تحليلية مقارنة في كتابات صفدي وسارتر - نموذجاً لإضاءات نقدية، أحمد رضا حيدر، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٣ م، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، ص ١ .

٣ . رأس الشيطان، ص ٣٢٥ .

٤ . رأس الشيطان، ص ٤٩ .

٥ . رأس الشيطان، ص ٣٠٢ .

عتيرتهم منددين بالخونة والعملاء، حيث قامت المظاهرات "في كل مكان تعلن سخطها على تصريحات عثمان باشا حول مصادر الجريدة" (١).

أخذت المظاهرات تتدفق من الجامعة والمدارس والمصانع والشركات وقرروا ألا يكفوا عن النضال حتى تنجاب غشاوة حكم الظلام، وتعود للشعب كلمته، إلا أن الشرطة داهمتهم وساقتهم إلى السجن فها هو ضياء الدين "يتلوى كالأسد الحبيس في أعماق السجون مع غيره من الأحرار" (٢).

إلا أن هؤلاء المناضلين نالوا حرمتهم في النهاية فهذا الوطن وجد أشخاصاً يحملون قضيته في أمانة، وضحو من أجله في إخلاص، فالأرض الطيبة التي يحيون فوقها لا تعرف الحقد واليأس، تنادي دائماً أبناءها، وتصرخ فيهم كي يدفنوا آلامهم الذاتية، وينسوا مصالحتهم الشخصية ويفكروا في مأساته هو، لأنه الأم ورمز عزتهم وكرامتهم، ومن العار أن ينصرفوا، وينشغلوا بآمالهم الصغيرة ويغرقوا في مشاكل تافهة من صنع المغرضين والخبثاء.

التدين

يعتبر التدين واحداً من القيم الاجتماعية التي تناولها نجيب الكيلاني في قصصه وطاف بها في إبداعه وهي مبنوثة بإيحاءات مختلفة في مجموعاته القصصية. في ميدان المحطة الذي يضيق بالحركة ويضج بالناس يقف الأسطى دمرداش قلقاً متوفزاً مكدود الأعصاب: إنه صاحب تاكسي متوجه إلى مدينة طنطا وينقصه راكب واحد والركاب الستة يتململون وهم ضائقون:

- ماذا تنتظر يا أسطى.. من ساعة ونحن هنا. وراءنا مشاغل يا أخي..
- تحرك يا أخي ربّما تجد واحداً في الطريق..

١. رأس الشيطان، ص ٣١٢.

٢. رأس الشيطان، ص ٣١٣.

- حاضر يا أفندم.. دقيقة واحدة.. الباقي راكب واحد فقط.. ربّنا
يرزقنا..

يطول الانتظار وتطول المعاناة. لا أحد يُقبل ولا راكب آت الناس في عجلة
يذهبون ويجيئون السيارات مكتظة والقطار ممتليء وهو في حاجة إلى واحد. راكب
واحد:

- واحد طنطا واحد طنطا.

وفي هذه اللحظات الحرجة يُقبل نحوه رجل قبيح الوجه كَثَّ اللحية ذو طاقة
متأكلة يجرّ حذاء مرقعا ويقذف، من حين لآخر، بقطعة من الخبز والطعمية في فمه.
كل ما فيه مُقزّز ويدعو إلى التآفف والضجر يُعرض عنه الدمرداش مخافة ألا يقبله ركباه
المتأثّنون ذوو المكانة واليسار ثم يقبله ويناديه تحت إلحاح هؤلاء ولكن ما يلبث أن
يطرده لأن ما معه أقل من الثمن المستحق وهو خمسة وعشرون قرشاً.

تضيق المرأة الجالسة في المقعد الخلفي وتفيض غيظاً فتنزل حاملة أمتعتها
متوجّهة صوب القطار والأسطى دمرداش يتابعها في حسرة وحنق. يزداد الأمر سوءاً
ويزداد الوضع تعقيداً ويمتلئ الدمرداش توترا. يكبر غيظة وتعظم حسرته: الآن ينقصه
راكبان لا راكب واحد والانتظار طال واستطال وركابه الباقون هم أيضاً قد ينزلون
ويغادرون .

ربّاه.. ماذا يصنع؟ هل يُقلع بالأربعة الباقين فيخسر نصف جنيه؟ وهل يستطيع
تحمل ذلك والمطالب كثيرة لا تنتهي: البنزين، قطع الغيار، الأولاد، المسؤوليات..
وفي هذا الوقت العصيب يجيئه الصوت التّدي:

- السلام عليكم

كان رجلاً يلبس عمامة وجبة وقفطانا وفي يده مسبحة ويضيف:

- طنطا إن شاء الله.

- تفضل.

- على بركة الله.. متى نتوكل على الله؟

- حالاً.

وفي هذه الأثناء يُقبل الفلاح ذو المنظر القبيح نحو دمرdash مترجياً متوسلاً ويهّم أن يدفعه ولكن الرجل المعّم يتدخّل داعياً الفلاح إلى الركوب ومقترحاً أن يدفع كل واحد من الرّكاب تعريفه لاستكمال الثمن ثم يضيف:

- ... سوف أدفع لك الفرق كلّ بعد استئذان الأفندية.. توكل على الله يا

أسطى... (١).

يمكن القول، باطمئنان: بأن نجيب الكيلاني في قصة (واحد.. طنطا) إنما تعرّض للتدين في حياة الأفراد ووقف عند الفكرة الدينية وأثرها في المجتمعات وجدواها.

إن الرجل الذي يلبس عمامة وجبة وقفطانا وفي يده مسبحة قد حلّ مشكلة دمرdash والرّكاب الذين معه ذوي المكانة واليسار الذين لا يركبون القطار الذي يحمل كل الناس بدون تمييز. ويبيّن لنا نجيب الكيلاني، وكأنه يعجب منهم أو يرثي لحالهم، كيف أن هؤلاء الرّكاب وهم العيلة من الناس، كما يلوح من مظهرهم ومن أناقتهم، قد عجزوا عن احتواء مشكلتهم الصغيرة ولم يقدرُوا على إيجاد حلّ لهذه المشكلة أو مخرج من هذا المأزق. وكأنه بهذا الموقف يريد أن يقول لنا إن هؤلاء الذين يُعوزهم الفهم والذكاء في مثل هذا المشكل الصغير وتفوتهم البداهة في هذا الأمر البسيط وتخونهم الإرادة والتصميم في المكان والأوان.

ويمكن الدخول إلى هذه القصة وإضاءتها ومحاولة استكناها بالوقوف عند جانبين اثنين فيها شاء نجيب الكيلاني من خلالهما أن يعرض علينا قيمة التدين كما يراها أو كما تبدو له.

١. قصة (واحد طنطا) في المجموعة القصصية (العالم الضيق)، ص ٧٣.

فأما الجانب الأول فظاهر في تلك الخبيصة الأساسية التي شاء نجيب الكيلاني أن يثبها في نسيج قصته ويركز عليها ويلفت انتباهنا إليها لعظم شأنها، عنده، وثقل وزنها لديها فجعلها دالة على قيمة التدين ومشيرة إليه لأنها واحدة من خصائصه. وأما الجانب الثاني في هذه القصة، المحجوج إلى وقفة متأنية وتحليل فهو بادٍ في هذه الشخصية الإنسانية الدالة، بمظهرها على التدين والمشيرة إليه وأعني بها شخصية الرجل الذي يلبس عمامة وجبة وقفطاناً وفي يده مسبحة.

وفي قصة (رجل على الله) ^(١) نلتقي بعبد الله الشاب ذي التاسعة والعشرين من عمره وهو موظف بمصلحة الجمارك. يجيء إلى عمله في الوقت المحدد لا يؤجل عمله ولا يدع ملفاته تتكدس ثم هو لا يُسيء إلى أحد البتة. وعبد الله لا يتزلف إلى رئيسه في القسم لأنه يعتقد أن الاحترام الوحيد لرئيسه هو إجادة العمل المنوط به كما أنه لم يشارك قط في الصفقات المريبة أو في عمليات تهريب السلع أو تجميع البضائع بئس بخس مقابل نسبة معلومة أو مبلغ محدد.

لهذه الأوصاف مجتمعة يكون عبد الله موضوعاً لكل أنواع السخرية ومحل الهزوء والازدراء وهو في نظر كثيرين من زملائه، رجل ساذج ومثالي أو هو، كما يقولون عنه، تحفة مكانه دار الآثار لأن الدنيا تغيرت ولا مكان لأمثاله فيها. ولكن فضيحة كبرى تهزّ مصلحة الجمارك باكتشاف عملية تهريب واحتيال المتهمون فيها رئيس القسم وبعض العمال. يقع الجميع وينجو عبد الله لأنه رجل طيب ساذج ومثالي إنه رجل على الله ^(٢).

إن نجيب الكيلاني في هذه القصة يحدثنا عن شخصية عبد الله وهو رجل متدين ولكننا لا نحيط علماً بهذه القيمة الاجتماعية التي يبني المجتمعات عليها من خلال الثياب والمظاهر والعناوين بل إننا لنُبصرها من خلال تلك السلوكات التي ينسبها القاص إلى هذه الشخصية والأوصاف التي يُلحقها بها كما نستشفها من خلال عنوان

١. انظر: المجموعة القصصية (عند الرحيل)، ص ٧٨.

٢. انظر: المجموعة القصصية (عند الرحيل)، ص ٨٩.

القصة نفسها. وعند نهاية القصة يثبت في قلوبنا ويحصل في أذهاننا سلوك هذه الشخصية المتدينة وهو مزيج من الجدية والعمل والمسؤولية والنزاهة والطهارة والعفاف. وفي قصة (فارس هوازن) ^(١) تستوقفنا شخصية عاتكة بنت مويهب الأرملة التي يطاردها مالك بن عوف سيد هوازن وفارسها الشجاع الذي يتهياً لقتال جيش المسلمين، ولكن عاتكة تتأبى عليه وتظل ترفقه وتزدرية لأنه خلو، في نظرها، من معاني الرجولة التي تتطلع إليها المرأة.

ولقد كان في مُكنة مالك بن عوف، وهو السيد المطاع ذو الهيبة والسلطان، أن يقهر هذه المرأة المتأبية التي تملك قلبه بل تعذب روحه ويضمها إليه كما يضم الحشم والمتاع. ولكن عاتكة كانت أكبر من قوته وأقوى من بطشه وجبروته وهي المخلوق الوحيد الذي يملك أن يسلبه إرادته ويحطم كبريائه ^(٢).

ومصدر هذا الموقف عند هذه المرأة وسرّ هذه القدرة لديها هو إسلامها وإيمانها بالدين الجديد الذي وهبها هذا الشعور الكبير بالتفوق والامتياز وملأها بمعانٍ ضخمة كالشجاعة والثبات والتحدي والإصرار.

الشجاعة

في قصة (شجاع) ^(٣) يتناول نجيب الكيلاني قيمة الشجاعة والجبن كما تجلّت في نفس أحد المتطوعين الذين كُلفوا بمهاجمة نقطة الحراسة اليهودية في حرب فلسطين سنة ١٩٨٤.

يكتشف هذا المتطوع أن حماسه الذي دفعه دفعاً إلى المعركة وقاده لأن يكون في المكان الذي لا يحبه ولا يتمناه. هذا الحماس قد تخلى عنه أو تراجع وتركه وحيداً عارياً من كل شجاعة وإقدام إلا من جُبنه الذي يفضحه ويعرّيه: "... إنهم ينظرون إلى

^١ . انظر: المجموعة القصصية (فارس هوازن)، ص ٣.

^٢ - انظر: المجموعة القصصية (فارس هوازن)، ص ١٥.

^٣ . انظر: المجموعة القصصية (موعداً غداً) ص ٠٣.

عُودي الفارع في إعجاب ويستمعون إلى آرائي الناضجة في تقدير واحترام (..) ولا يتصوّر أحدهم أنني جبان... " (١) .

وفي رحمة الجبن الذين يخالطه يعجب من رفاقه الذين يتقدمون بلا تردّد أو وَجَل. أمّا هو فالخوف الذي يقيدّه يكاد يُقَعده: "... لماذا أكذب على نفسي وعليهم؟ لماذا أُوهمهم بأنني شجاع لا أخاف؟ ماذا يحدث لو صرّحتُ لهم بجبني وانسللت من بينهم ثم عُدت من حيث أتيت؟..." (٢) وتزداد آلامه وتتضاعف وطأتها حين يذكر، في بَوتقة هذه المعاناة، قريته النائمة على شاطئ النيل التي يسودها الهدوء وتنعم بالأمن والسلام. آهِ ما أجمل السلام، ثم إن هناك سميرة التي يحبها وأشياء أخرى كلها جميلة. وحين تقترب المجموعة من الهدف يُعاد توزيعها وانتشارها ويجد نفسه في المقدمة فيعجب كيف يكون أجبن الناس سائراً في الطليعة! وفي لحظات الهجوم على مركز الحراسة اليهودية ينتصب رفيقه كالمارد متجها صوب هدفه فيُصاب إصابة بالغة ولكنه يظل، رغم إصابته ونزيفه، يحضّه ويستحثّه ويناديه أن امضِ واسرع وتقدم ولا تتوقف ... فيعجب من أمره: ما باله، وهو في لحظاته الأخيرة، لا يفكّر إلا في التقدم والسير والخطة الموضوعية وأمر القيادة والهدف الذي يجب تدميره... هل هذا بشر؟! أما أنا... آه تافه... (٣) .

وسالت دمعة ساخنة فوق خدّه فواصل الرّحف قابضاً على بندقيته وشعر بالقوة تسري بين جوانحه أو كأنّ شيئاً أكبر منه يدفعه دفعا ويُلقي به نحو مركز الحراسة اليهودية حيث الرّصاص والقنّاصة والموت. وأخذ يلفّ ويدور حول الهدف يُلقي القنابل، هنا وهناك، ويرمي ويقذف دون خوف أو شجاعة ودون تفكير في موت أو

^١ - قصة (شجاع) في المجموعة القصصية (موعدنا غداً) ص ٣ .

^٢ - المرجع السابق، ص ٥ .

^٣ - انظر: قصة (شجاع) في المجموعة القصصية (موعدنا غداً) ص ٤ - ٦، إلى ٨ - ١١ .

حياة. وحين انقطع الرصاص وأبيد العدو أحسّ بالقُبلات تُطبع على رأسه وجبينه ووجنتيه وانتهت إليه بعض الكلمات: بطل.. جسور.. شجاع.. (١).

إن نجيب الكيلاني، في هذه القصة، لا يحدثنا عن رجل شجاع أو رجال شُجعان فيصفهم ويقف عند بطولاتهم، ولكنه يتناول الشجاعة كما تجلت له في نموذجين من الرجال: أحدهما أوتيتها فهو يمارسها أولاً وابتداءً والآخر يفتقدها ولا يحوزها ولكنه، رغم خوفه وجُبنه، ينتهي إليها ويحظى بها وتُدركه.

وإذا كان الكيلاني قد تناول نموذجين اثنين للشجاعة، كما يتصورها أو كما خبرها، فليس في هذا التحديد ما يدل على أدنى تحكّم وتوجيه إذ ليس هناك في هذه القصة ما يشير إلى ذلك.

إن واقعية الروائي (نجيب الكيلاني) في رواياته التي تناولت الاجتماع تظهر لنا هول المآسي والمحن التي عصفت بأحلام وآمال الشعب المصري في تحقيق حياة سعيدة، ولهذا اخترنا إحدى رواياته لدراسة الأبعاد الاجتماعية فيها وهي رواية (رأس الشيطان) لأن هذه الرواية هي واقعية ميّزها التفاؤل والرغبة في بناء مجتمع تسوده العدالة والمساواة، كما أن باقي رواياته أيضاً شاملة على الأبعاد الاجتماعية ولكن هذه الرواية أشمل لجميع أبعاد الاجتماع فلماذا اخترناها ودرسنا فيها الأبعاد الاجتماعية في الصفحات السابقة.

لقد أدان نجيب الكيلاني في هذه الرواية كل أنواع القمع والاستبداد المسلط على الفلاحين، فمن خلال تصويره لمعاناة الفلاحين كان يهدف إلى الدعوة للتمرد على أسباب تلك المعاناة، ويتميز الصراع الاجتماعي في الرواية بأنه صراع ناتج عن ضياع الحقوق وفقدان العدالة الاجتماعية بسبب ظهور الطبقة.

١. انظر: المرجع السابق، ص ١١، ١٢.

لم يكفي الإنجليز في هذه الرواية سيطرتهم على السلاطين والباشاوات الذين خضعوا لهم ولم يكفهم تحكّمهم في سياسة البلد بل أثبتوا أنهم أعداء الحرية وأنهم يدوسون كل القيم الشريفة.

إن التبعية للإنجليز في مرحلة من المراحل كان سبب البلاء وعلّة الفقر والجوع والضائقات المالية التي يزرع الناس تحت وقعها حتى تضاعفت المعاناة واشتدت لأنه صعب الحصول على ما يسد الرمق .

الأفكار الاجتماعية في روايات نسيم حجازي

إن نسيم حجازي أول بشائر الأدب الإسلامي والاجتماعي حيث تسمو النفس من بارئها، وبالتالي صياغة الخطاب الأدبي ليكون همزة وصل وتعارف بين الشعوب، قال الله ﷻ: ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. (١).

"والتواصل بين الشعوب ثقافة اجتماعية عمادهم القيم الإسلامية والمبادئ الأصلية والتي تشكل الصورة العامة في الأدب الاجتماعي والإسلامي من حيث الرؤية بغض النظر عن الأداة التي تختلف وفق التنوع المكاني وأثره على الإنسان في شتى مناشط الحياة وانعكاس ذلك اللغة والقيمة الفنية المصاحبة لها مع الأخذ بعين الاعتبار".

"فأراد نسيم حجازي أن يحول الشرارة الكامنة في صدور شباب المسلمين إلى شعلة يمكن أن تجدد عصور البعث الإسلامي ويأخذ من مجتمعاتهم ويطبّقها على المجتمع الباكستاني، وهو يريد أن يضيء أذهان الشباب المسلم بعظمة الإسلام التي تجعلهم يشعرون بالثقة في أنفسهم، وحتى يشعروا أن بإمكانهم القيام بالكثير والكثير، وهو يريد أن يثبت في داخلهم الإيمان بالله والواحد ويذكرهم مرة بعدة مرة بعظمة الإسلام والمجتمع الإسلامي ويبادعات المسلمين".

فقد عالج نسيم حجازي في رواياته كثيراً من الأفكار الاجتماعية ومنها:

التدين:

إن أهم قضايا الدين الإسلامي عالجها نسيم حجازي في روايتها، ومن هذه القضايا أولاً:

١. سورة الحجرات، الآية: ١٣.

فكرة الجهاد:

وهي قضية الجهاد من أهم القضايا التي تناولها نسيم حجازي في رواياته وذلك قبل قيام باكستان كان الفساد الاجتماعي منتشرًا في الهند، كثرة الاضطرابات والمعارك التي كانت تدور بين المسلمين والهنداكة.

في رواية (السد الأخير) بيّن حجازي أهمية الجهاد مثلاً: "كان شوق يوسف للجهاد فلم يخاف ولم ييالي المخاطر لذا حاول الصعود على السور من مسافة بعيدة، وعندما رأى صلاح الدين الأيوبي ذلك المنظر تحير وقال إذا نجح هذا الصبي في صعوده على السور فسأعطيه سيفي، ولكن منزله لم يكن الصعود على السور بل الوصول إلى البرج الذي كانت فيه علامة الصليب، ليكسر الصليب، ويرفع علم الإسلام على البرج، ولكن بدنه يصيب بجروح كثيرة" (١).

وكذلك مثاله في رواية (حكاية مجاهد) عندما استعد نعيم بالرحيل مع جيش محمد بن قاسم، رأى بأن الناس غير مستعدين للذهاب إلى الجهاد لأن رجل من البصرة حرّضهم بعدم المشاركة في الجهاد.

اللجوء إلى الله

ومن القضايا التي ترتبط بالتدين وتبنى عليها المجتمعات إسلامية هي اللجوء إلى الله، فتناول حجازي هذه الفكرة في رواياته، فالراوي يحاول بث هذه الفكرة حتى يلتجئ كل قارئ إلى الله في كل الأحوال، فمثلاً في رواية: (محمد بن قاسم) نجد بطل الرواية محمد بن قاسم يجلى إلى الله قبل خروجه للجهاد إلى بلاد السند حيث دعى ربه بصوت عالٍ "يا رب العالمين إن في كنفّي ضعيفتان مهمة عظيمة فألهمني القوة الكافية حتى أستطيع إنهاء مهمتي، وأهدي الذين مثلي ليجاهدوا في سبيلك من أجل الدين الإسلاميين وأجعل كل حياتي في خدمة دينك الحنيف" (٢).

١. السد الأخير، نسيم حجازي، ص ١٠.

٢. محمد بن قاسم، نسيم حجازي، ص ٥٦.

التربية المجتمع على الإسلام، ونظرة الإسلام إلى التربية:

هذا ما بيّنه الراوي في روايته (السد الأخير) تربية الشيخ أحمد بن حسن لطاهر: "يقول في تربية طاهر "أن أمراء الأتراك والإيرانيين لهم الغلبة على الخلافة، وسيحاولون سد سبيلك بكل ما يستطيعون، ولكن أثق بمواهبك، لأنك تربيت في أعماق بحار العلم، وأناس ذات الأذهان الجيدة سيحسدونك، وأما الجوهر الثاني في حياة المؤمن هي الفروسية، وأيضاً تعلمت اللعب بالسيف، وأما العالم الإسلامي محتاج لسيفك أكثر من علمك" (١) .

وهذا في الحقيقة بيان الشيخ لما ربّى ذلك الشاب ليخدم المجتمع الإسلامي وهذا من أهم القضايا في المجتمع بأن يربي شبابه على الإسلام حتى يكون مجتمعاً إسلامياً ويخدم هذا الجيل الإسلام والمسلمين بسيفه وعلمه.

الأخلاق الحسنة الفاضلة

حيث يرى الحجازي على أن القضايا الاجتماعية تحل عندم يتحلّى المجتمع بالأخلاق الحسنة وهذا يجب على كل مسلم بأن يتحلّى بالأخلاق الحسنة حتى يستطيع أن يبنى مجتمعه مجتمعاً صحيحاً سالمًا من الفساد والغش والخداع، وحتى يستطيع المسلم أن يدعوا الناس إلى الإسلام.

قال حجازي في روايته (محمد بن قاسم) عن حسن الخلق: "بعد انتهاء المعركة قام محمد بن قاسم بجولة حول مدينة (ديبل) وبدأ يدعو أهلها إلى الإسلام، وعاملهم معاملة حسنة، فبسبب أخلاقه الفاضلة اعتنق عدد كبير من أهل ديبل الإسلام، وانضم خمسة آلاف مواطناً في جيش العرب أثناء الرحيل حتى يجاهدوا في سبيل الله وليدافعوا عن وطنهم" (٢) .

١ - السد الأخير، لنسيم حجازي، ص ١٤ و ١٥ .

٢ . محمد بن قاسم، نسيم حجازي، ص ٣١٢ .

بيّن الراوي في هذه الرواية أن معظم أهالي سند دخلوا في الإسلام لأن محمد بن قاسم قد أقام لهم مجتمعاً بعيداً عن الفساد والخيانة والمكر بسبب أخلاقه الكريمة، فالأخلاق الحسنة من أهم القضايا التي تبنى عليه المجتمعات الإسلامية وبها ينتهي الفساد من المجتمعات.

وكذلك في رواية (حكاية مجاهد) لما وصل نعيم إلى إحدى القرى مجروحاً فأخذته (نرجس) إلى بيتها واعتنت به إلى أن شفي، وعامل نعيم أهل القرية معاملة حسنة، وشكر أهل القرية على الضيافة ثم دعاهم إلى الإسلام، فبسبب أخلاقه الحسنة دخل أهل القرية في الدين الإسلامي، فتنورت القرية الصغيرة بنور الإسلام، ثم أخبرهم عن أهمية الجهاد وفضله، ويستأذن منهم ليسمحوا له بالالتحاق بجيش المسلمين حتى يستطيع إكمال مهمته (أي مهمة الجهاد)^(١).

الوفاء للوطن

ومن القضايا التي تهتم ببناء المجتمع هو أن ابن المجتمع عليه أن يكون وفاقاً لوطنه ولا يقوم بالخيانة لوطنه ودينه ذلك ما نراه في (حكاية مجاهد) عن ابن الصادق الذي يحرض الناس على القعود عن الجهاد، قال حجازي: "أخبر صديق نعيم بأن الجيش سيرحل بقيادة محمد بن قاسم لمقاتلة حاكم السند، ولكن هناك رجل في البصرة اسمه (ابن الصادق) الذي يحاول أن ينفر الناس عن الجهاد، ويحاول نشر الفتن بينهم ليبعدهم عن الدين، وكذلك يحرضهم بعدم المشاركة مع الجيش للجهاد"^(٢).

معالجة الفقر

إن من أهم القضايا في الأفكار الاجتماعية هي الفقر، ولكن الراوي في رواياته تناول معالجة الفقر وهو تربية الأيتام، فتناول هذه الفكرة في روايته السد الأخير، لأنه

١ . حكاية مجاهد، نسيم حجازي، ص ١٥٣ .

٢ . حكاية مجاهد، نسيم حجازي، ص ٦٩ .

أراد أن يوضع للناس بأنه يمكن معالجة الفقر وعليهم أن يحسنوا تربية اليتيم والفقير ويحسنوا المعاملة معه، بحيث يختار شخصية (طاهر) بطل الرواية كيتيم ثم بين حسن تربيته .

وإلى هذا يشير الراوي: "رحل أحمد بن حسن إلى بغداد، وعندما وصل هناك علم أن زوجة صديقه يوصف قد توفيت، فاصطحب أحد ابن صديقه طاهر معه ويربيه تربية صالحة كابنه، وعلمه الفروسية والعلوم الكثيرة" (١) .

الشجاعة

أشار الراوي نسيم حجازي إلى الشجاعة في رواياته، كما في روايته (السد الأخير) عندما تضحي صفية بنفسها لتخبر طاهر عن مؤامرة رئيس الوزراء ومهلب بن داود بتسليم جلال الدين إلى التتار.

قال الراوي: "بعد إصرار رئيس الوزراء يكتب الخليفة رسالة إلى بغداد ليدعوه إلى بغداد، وكان رئيس الوزراء قد تأمر مع مهلب بن داود بتسليم جلال الدين للتتار، فثناء ذلك دعى رئيس الوزراء ابنة أخيه (صفية) ليخبرها عن المؤامرة ضد جلال الدين ومن معه قبل قتلهم، فأرادت صفية أن تبلغ عن المؤامرة لطاهر وعبد الملك لينجوا بأنفسهم وعندما خرجت صفية لتخبر طاهر عن المؤامرة يلتحق بها الأعداء ويقبضوا عليها، فتجح صفية بتبليغ الخبر لطاهر وصديقه ولكنها تخسر حياتها في ذلك" (٢) .

المرأة

يرى نسيم حجازي أن المرأة المسلمة تلعب دوراً في بناء المجتمع كما أن لها دوراً بارزاً في الدفاع عن المسلمين والإسلام كما أشار إلى هذا في روايته (السد الأخير) يوضح عن دور صفية في الدفاع عن بطل الرواية طاهر، حيث كان دورها إبلاغ طاهر عن كل المؤامرات التي كانت ضده، فقد كانت تسمع كلام قاسم ابن

١ . السد الأخير، نسيم حجازي، ص ٣٣ .

٢ - السد الأخير، نسيم حجازي، ص ٤٣٨ .

عمها وعن مؤامراته ضد طاهر فتذهب إلى طاهر لتخبره عن المؤامرات ليدافع ويحمي نفسه من الأعداء ولكنها في النهاية تخسر حياتها حيث تقتل على يد الأعداء (١) .

إن نسيم حجازي تحدث في رواياته عن دور المرأة في الإسلام إيجابياً ولم يتحدث عن المرأة في بناء المجتمعات أو ضعفها أو عن المرأة التي لها يد طولى في الحب وبناء المجتمعات وغيرها.

الدفاع عن حرمان المسلمين

وذكر ذلك نسيم حجازي في (السد الأخير) عن ثريا التي دافعت عن نفسها وعن طاهر عندما أراد أحد التتار القضاء على طاهر من الخلف وهو لا يعرف شيئاً، فصرخت (ثرية) وقالت لطاهر "إنني رأيتك عندما وصل على عتبة الباب وأراد القضاء عليك من الخلف بطريقة خفية، فصاحت خوفاً منه"، فقال لها طاهر: "ثريا لا يمكن كسر القوة الإسلامية إذا ما زالت تلد فيها فتيات مثلك، وإنني قبل دقائق قليلة أحس باليأس، ولكن الآن اطمئن قلبي ويشهد على أن القوم تستطيع أن تلد فتيات مثلك فلا يليق بهن أن ينطقن كلمة اليأس لأنهن يستطعن أن تصلن إلى عدوهن حتى مت حتى الثرى، وأما الانقلابات تستطيع أن تغطي عليهم ولكن لا تستطيع أن تدفنهن، وأنها تستطيع نشر حوادث الطوفان ولكنها لا تستطيع أن تنهيا (أي لتخلصها)" (٢) .

وكذلك في رواية (محمد بن قاسم) عن دفاع الحجاج لحرمان المسلمين وذلك عندما وصل زبير الفار من السند برسالة ناهيد التي طلبت المساعدة من خليفة المسلمين ليدافعوا عن النساء اللاتي وقعن في أسر الأعداء، وعن اليتامى، فأمر الحجاج محمد بن قاسم بالذهاب مع زبير لفتح بلاد السند ومساعدة النساء واليتامى وتحريرهم من الأعداء ومقاتلة حاكم السند الذي ارتكب عدة جرائم ضد المسلمين (٣)

١ - السد الأخير، نسيم حجازي، ص ٤٤٠ .

٢ - السد الأخير، نسيم حجازي، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

٣ - محمد بن قاسم، نسيم حجازي، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

هذه بعض القضايا الاجتماعية التي ناولها الراوي الباكستاني نسيم حجازي في رواياته وذكرنا ذلك في بعض رواياته التي درسناها في هذه الرسالة.

أوجه التشابه والتخالف بين روايات الروائيين بوجه عام

أوجه التشابه:

- ١- إن الأدب الذي أنتجه قلم كل من الروائيين دكتور نجيب الكيلاني ونسيم حجازي يجري بسلاسة ويخلو من التكلف والتصنف، ويرفض السجع والزخارف اللفظية، لأن هدهما هو بيان موضوع الروايات، وفكرتها الأساسية بعيداً عن العبارات المسجعة والمقفاة، ولهذا يتميز أسلوبهما بالبساطة والسلاسة.
- ٢- لم يستخدم أحد من الكاتبين الكلمات العامية أو المستهجنة، ولا الكلمات المستعصبة الغريبة في رواياتهما التي تناولت دراستها في هذا البحث .
- ٣- تدور أحداث روايات دكتور نجيب الكيلاني ونسيم حجازي حول شخصيات أساسية، حيث يحيكان حولها نسيج روايتهما، لأن التاريخ موضوع جاف يتعب القارئ بعد قراءة بضع صفحات منه، فلبعد القارئ عن هذا السأم والتعب وضع الكاتبين في روايتهما حلاوة الحب العفيف بين أبطال الشخصيات وهذا الحب يصاحب من البداية حتى النهاية، كما أن نجيب الكيلاني حين يريد أن يحكي عن مجتمعه المصري في رواياته فيتبع نفس الأسلوب حتى يكون بعيداً عن التعب والملل.
- ٤- تحدث كلا الكاتبين عن أهمية التدين الإسلامي وعن الدفاع عن الوطن والوفاء لها وعدم الخيانة، كما تحدثا عن الشجاعة والحرية وغيرها من الموضوعات كالمرأة والفقير والحب والزواج، وحث الناس على التخلص من ذل العبودية والخروج إلى نعمة الحرية .

- ٥- ذكر كلا الكاتبين عن العلماء والخطباء والصحافيين الذين كان يشعلون في قلوب الناس النار بسبب خطبهم البليغة أو منشوراتهم الرفيعة بتحريضهم على حل المشكلات، وقد ألقى كل واحد من الروايين على هذا الأمر نظراً لأهميته.
- ٦- ذكر دكتور نجيب كيلاي ونسيم حجازي في رواياتهما نصوص تلك الخطب والمنشورات التي ألفتها شخصيات روايتهما في مواقع مختلفة، وقد اختار كل واحد منهما هذا الأسلوب لكشف الستار عن القضايا الدينية والاجتماعية وحلها .
- ٧- كان دكتور نجيب الكيلاي ونسيم حجازي رائدين للأدب الإسلامي، فلم يقتحم أحد منهما أبواب المحرمات والفواحش، كما لم يتورط أحد منهما في موضوعات المحرمات بذكر الوقائع الغير جيدة وتصويرها مثل الذي يقوم بها أدباء هذا العصر من أجل أن يكثر عدد قراءهم .
- ٨- تناول كلا الكاتبين أبطال رواياتهما كرمز للشخصيات المتمسكة بالدين، ويراهم القارئ في قتال مستمر مع الأعداء، والمراد من الأعداء أي من يدفعهم إلى الورااء فهم في قتال مستمر بأن يذهبوا إلى الأمام وينهوا عن مجتمعاتهم الذل والعبودية والرق وغيرها من الأعمال السيئة والقبيحة، ويخلص المسلمين الضعفاء من شر الحكام والأعداء، ولا تخاف تلك الشخصيات في ذلك لومة لائم، كما لا تبالي هذه الشخصيات بالأحوال السيئة والظروف القاسية، فهذه الشخصيات تهز كيان القارئ بشجاعتها، ووقوفها بقوة أمام العدو بدون خوف.
- ٩- اختار كلا الكاتبين شخصيات رواياتهما من الشخصيات التاريخية إلا أن نصيبها بأن دكتور نجيب الكيلاي اختار الشخصيات المعاصرة أما نسيم حجازي فقد اختار الشخصيات التاريخية القديمة .

١٠- تناول دكتور نجيب الكيلاني ونسيم حجازي في رواياتهما عن الحياة البشرية كالأرة، والبيت والمجتمع، والسياسة والحب الإنساني والطبيعة، وكذلك حب الله عن طريق إتباع أوامره وحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب الحرمين الشريفين، وذلك من خلال تناولهما فترات المختلفة من حياة شخصياتهما.

١١- إن الإسلام يمنع المسلمين من الذهاب إلى المنجمين والضاربيين بالرمل والقارئين في الكف الذين ينظرون في أقدار الناس، لأكل واحداً من الكتابين المؤمنين، ولم يريدوا من قرائهما أن يوقنوا بخرافاتهم إثر قراءة مثل هذه الروايات، وأنهما ذكرا لاتنجيم في رواياتهما على أنه ضرب من الخيال ولا علاقة له بالحقيقة، كما حاولا إبراز جانبه السيء .

١٢- اختار دكتور نجيب الكيلاني ونسيم حجازي أحداث رواياتهما من فترات تاريخية لأنهما كانا يعتمدان على ما كان واقعاً في بلادهما من ظلم الأعداء، فقد كان في مصر الاحتلال الفرنسي وشجار بين طرفي المسلمين على الحكم، وأما في شبه القارة فقد كان ظلم الهندوس على المسلمين والاحتلال الإنجليزي .

أوجه التخالف

١- نجد أن هناك فرقاً واضحاً في أسلوب سرد الروايات عند الروائيين، أما دكتور نجيب الكيلاني فإنه يجعل البطل مركزاً للرواية، فينسج حوله أحداث الرواية، ولهذا السبب يرى القارئ القصة تدور حول شخصية واحدة، وكأنها تحرك التاريخ حسبما تشاء.

وأما نسيم حجازي يترك التاريخ على حاله ولا تدور الروايات عنده حول شخصية واحدة، فيرى القارئ أن عدة شخصيات يدلون بدلوههم في الروايات حسبما كان لهم نصيب في التاريخ.

٢- وكذلك نرى فرقاً واضحاً في عمل كلا الروائيين بناء المجتمع على التدين أو الدين الإسلامي فإن كلام الراوي دكتور نجيب الكيلاني عن الإسلام والتدين كان محصوراً على بناء مجتمعه وأتى بأدوار من داخل المجتمع كما رأينا ذلك في بعض الروايات فكان لشيخ المسجد وللرجل العالم أو القارئ مقام عنده ينصح الناس، وبعضهم كانوا متمسكين بالدين الإسلامي فكانوا قدوة لغيرهم في هذا العالم.

أما نسيم حجازي فكان كلامه في التدين يدور حول الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك كان يدور كلامه عن اللجوء إلى الله وأتى بدور الأبطال في الجهاد والدعوة وغيرها.

٣- وكذلك نرى الفرق واضحاً بين عمل الروائيين في تعريف الشجاعة، فيصور لنا دكتور نجيب الكيلاني شجاعة الأبطال عند محاربتهم للفقير والذل، فأبطاله شجعان في مناطقهم يعملون للحرية ضد العبودية، ولكن حربهم بدون سلاح وإما هو حرب الكلام والكتابة والخطابة والصحافة.

أما نسيم حجازي فإنه يصور لنا شجاعة الأبطال في ميادين الجهاد، وتدور شجاعة الأبطال في رواياته حول الجهاد بأنهم كيف كانوا أصحاب

الشجاعة يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون في ذلك لومة لائم، وكذلك كان قتالهم بالسيف والرمح دون المحاربة بالكتابة أو الكلام.

٤- ومن مواضع التخالف بين أعمال الروائيين هو موضوع الحب، فإن روايات دكتور نجيب الكيلاني تدور حول الحب سواء كان حلالاً أم حراماً أم كان من جانب واحدٍ أو من جانبيين، وكذلك يفيدنا عن عاطفة الحب فتوجد في رواياته الحب والأنسة ويتلذذ بها القارئ ويشير مشاعره حول الحب .
أما نسيم حجازي فهو لم يتطرق إلى موضوع الحب بهذا الشكل ولم يتناول الحب العاطفي.

٥- ومن ومواضع التخالف بين أعمال الروائيين في رواياتهما هو موضوع الزواج، فالحب العاطفي الذي أشرنا إليه من قبل في روايات دكتور نجيب الكيلاني ينتج منه الزواج مع شخص واحد ويكون المحبوب الثاني يبقى في الانتظار، أو لم ينته ذلك الحب العاطفي بالزواج بل يبقى الحبيبان متابعان من الزواج .

أما في روايات نسيم حجازي فإن الزواج يتحقق بين البطل وزوجته من دون وقوع الحب أو المشاعر العاطفية أو مشاعر الحب .

٦- ومن مواضع الاختلاف بين روايات الروائيين هو موضوع الفقر ومعالجته، فإن دكتور نجيب الكيلاني تناول موضوع الفقر وتكلم فيه عن فقر الفلاحين وكذلك فقر المستضعفين وذكر علاجه بأنه يمكن التخلص من الفقر بأخذ الحرية والاستقلال من ظلم هؤلاء المستبدين والملوك الظالمين.
وأما نسيم حجازي فقد تناول موضوع الفقر ومعالجته في رواياته قليلة، كما ذكر حال اليتيم وذكر لعلاج الفقر والتخلص منه بأنه يجب على المسلمين أن يحسنوا تربية الفقراء وكذلك عليهم أن يأخذوا في كفالتهم الأيتام والأرامل والفقراء.

- ٧- ومن مواضع الاختلاف بين روايات الروائيين هو موضوع الحرية، فإن كلا الروائيين تناولوا موضوع الحرية، ولكن لكل منهم أسلوب خاص ومعنى خاصة للحرية، فإن دكتور نجيب الكيلاني تناول موضوع الحرية وجعل أن على الفقراء والمستضعفين والمظلومين أن يأخذوا الحرية من ملوكهم الظالمين وكذلك من المستبدين المسلطين عليهم.
- وأما نسيم حجازي فتناول على أنه يجب على المسلمين أن يأخذوا الحرية من المشركين ويجاهدوا في سبيل الله ويخلصوا مناطق المسلمين التي هي تحت سلطة الكفار، وكذلك يخلصوا المستضعفين من الرجال من غلبة الكفار واستبدادهم .
- ٨- وكذلك من مواضع الاختلاف بين أعمال الروائيين في رواياتهما هو موضوع المرأة، فدكتور نجيب الكيلاني يذكر جميع الأدوار للمرأة بأنها تكون داعية إلى الإسلام وأنها تكون متمسكة بالدين الإسلامي فيذكر أدوارها الإيجابية في الإسلام وبناء المجتمع، وكذلك يذكر أدوارها السلبية في فساد المجتمع والحروب وإفشاء الرذيلة والعدوان والخيانة بين الناس.
- أما نسيم حجازي فهو يحاول أن يذكر الأدوار الإيجابية للمرأة في بناء المجتمع وكذلك في الدعوة إلى الإسلام بغض النظر عن أدوارها السلبية .
- ٩- ونرى أن الشخصيات في روايات دكتور نسيم حجازي شخصيات تاريخية حقيقية، وأما شخصيات في روايات حجازي خيالية، اخترعها ذهن الكاتب ولا علاقة لها بالتاريخ.
- ١٠- حصل دكتور نجيب الكيلاني على مواد روايته من المصادر العربية والتاريخية والأدبية، وأما نسيم حجازي قد اعتمد على المراجع من كتب التاريخ بالأردية، والفارسية، والإنجليزية.
- ١١- أخذ كلا الروائيين أحداث رواياتهما من صفحات التاريخ، إلا أن هناك تفاوتاً بينهما، فإن دكتور نجيب الكيلاني أكثر اهتماماً باستلهما الأحداث

والشخصيات من التاريخ، وكذلك يركز على الأحداث والتاريخ المعاصر للمصر، بينما نرى نسيم حجازي يعطي نفسه الحرية في هذا حيث يصور حادثة من الحوادث، ثم يضيف عليها من أسلوبه وفنه .

١٢- اختار دكتور نجيب الكيلاني الشخصيات في رواياته من أسر ملكية أو غنية وكذلك من الشخصيات المشهورة في أدوارهم، ولكن نسيم حجازي اختار شخصيات رواياته من عامة الناس أو من أسر فقيرة.

خاتمة البحث

خلاصة البحث

الرواية نوع من أنواع سرد القصص تحتوي على العديد من الشخصيات لكل منها اختلاجاتها وتداخلاتها وانفعالاتها الخاصة، فالرواية أحدث أنواع القصة، والأكثر تطوراً وتغيراً في الشكل والمضمون بحكم حداثة وما له صلة بالرواية.

وكذلك تعتبر الرواية من أشهر أنواع الأدب النثري، فالروايات تساعد القارئ على التفكير في القضايا المختلفة من تاريخية واجتماعية وأخلاقية وفلسفية، ومنها ما تكون هدفها مجرد التسلية، وكذلك يستطيع القارئ أن يقارن بين الروايات المكتوبة بلغات مختلفة بمختلف الأساليب.

المقارنة أو الموازنة مصدر خصب من مصادر المعرفة الإنسانية، فالإنسان في مختلف دراساته يتخذ المقارنة سبيلاً للوصول إلى الحقائق الجوهرية المتعلقة بميادين يحته، فالأدب المقارن في صورته الحالية ثمرة لتصور الدراسات الأدبية في العصر الحديث، فلذا اخترت موضوع البحث في الدراسات الأدبية "الاتجاه الاجتماعي في روايات نجيب الكيلاني ونسيم حجازي".

أولاً: بدأت البحث بالتمهيد عن الرواية في لأدب العربي ولأردني، ثم كتبت عن نشأة وتطور الروايات خاصة التاريخية في البلاد العربية وشبه القارة الهندية.

ثانياً: في الفصل الأول: تحدثت عن حياة الروائيين وأعمالهما الأدبية حيث يعدان من كبار كتّاب الرواية في الأدب العربي والأردني.

وثالثاً: في الفصل الثاني: تناولت بعض الروايات التي التاريخية والاجتماعية لكلا الروائيين فاخترت ثلاث روايات لكل كاتبٍ.

- ٢- عرضت روايتين "النداء الخالد" و"حكاية المجاهد" ولخصتهما.
 ٣- عرضت روايتين "ملكة العنب" و"محمد بن قاسم" ولخصتهما.

ورابعاً: في الفصل الثالث من البحث: قمت بدراسة عن الشكل والمضمون للروايات المختارة الستة، وضمن هذه الدراسة تعرضت للسمات الأسلوبية للكاتبين وقارنت بين الشخصيات والأسلوب واللغة والسرد للكاتبين كما أنني لم أكتف في هذا المبحث على هذه الروايات الستة بل تتبعت أسلوب الروائيين في بقية رواياتهما أيضاً وذكرت من ذلك شواهد في أمكنتها، وجعلت هذا كمبحث أول لهذا الفصل.

وأما المبحث الثاني فذكرت فيه الأبعاد والأفكار الاجتماعية مع تعريف علم الاجتماع وصلته بعلم الأدب ونشأته وتطوره وأسسها ثم ذكرت بما تناول الروائيين من الأفكار والأبعاد الاجتماعية في رواياتهما، حيث أوردت كلا الروائيين التدين والفقر والمرأة والحب والشجاعة والحرية وما إلى آخره من الأبعاد الاجتماعية.

ثم بينت أوجه التشابه والتخالف بين رواياتهما بوجه عام، فذكرت فيها أن أعمال الروائيين دكتور نجيب الكيلاني ونسيم حجازي تتفقان في اثنا عشر موضعاً تقريباً وعددها واحدة واحدة، وأعقبتهما بمواضع الاختلاف بين عمل الروائيين ووضحت الفرق بين عمل الروائيين في كل من الأبعاد الاجتماعية فكل من الروائيين ينظر بنظره وحسب مجتمعه إلى الأبعاد والأفكار الاجتماعية التي تناولهما في أعمالهما الروائية.

نتائج البحث

- ١- يعتبر دكتور نجيب الكيلاني في البلاد العربية، ونسيم حجازي في باكستان من أوائل المنددين إلى الأدب التاريخي الإسلامي خاصة في رواياتهما التاريخية الإسلامية والاجتماعية من حيث خصوبة نتائجها وتنوعها.
- ٢- تناول دكتور نجيب الكيلاني في رواياته الأوضح السياسية والاجتماعية في مصر خلال الاحتلال الفرنسي، وأما نسيم حجازي فعالج الأوضاع السياسية والاجتماعية في شبه القارة خلال احتلال الإنجليز، وظلم الهندوس على المسلمين، حيث يعتمد الروائيان على الحقيقة أي ما كان واقعاً في بلادهما.
- ٣- كان دكتور نجيب كيلاني حساساً يحس بالألم والحزن فأراد إخراج الناس من هذه الآلام والأحزان، وأما نسيم حجازي فأراد إيقاف ظلم الإنجليز والهندوس عن مسلمي شبه القارة الهندية.
- ٤- حاول دكتور نجيب كيلاني ونسيم حجازي إصلاح مجتمعهما عن طريق روايتهما، حيث دعوا إلى التدين بالدين الإسلامي والتخلق بالأخلاق الحسنة الفاضلة.
- ٥- وضع دكتور نجيب كيلاني عن أهمية الحرية والخروج عن ذل العبودية والرق وعن ظلم المستبدين والملوك المقهورين، وكذلك وضع نسيم حجازي أهمية الجهاد والدفاع عن الوطن وفقاً للتصور الإسلامي .
- ٦- تناول دكتور نجيب الكيلاني ونسيم حجازي في رواياتهما أبطال شجعان، لأنهما أراد أن يحررا المسلم من كل التقاليد والقيود التي تبعده عن الدين والوطن.
- ٧- إن الشخصيات في روايات دكتور نجيب كيلاني نماذج إنسانية حقيقية، خاصة أنها تمثل من طبقات ذلك المجتمع ويمثل فيهما العلماء

والخطابين والصحافيين، فيستعملون ما بوسعهم لدفاع عن طبقاتهم وعن أهاليهم وعن المجتمع الذي يسكنون فيهم، وأما شخصيات نسيم حجازي فهي خيالية ولكننا تمثل من الطبقات الفقيرة، وهي تفكر عن الجهاد أكثر من أي شيء.

٨- اهتم دكتور نجيب كيلاني ونسيم حجازي على المرأة في أعمالهما فذكرها دكتور نجيب كيلاني مبيناً دورها الإيجابي والسلبي في بناء المجتمع وخرابه، واكتفى نسيم حجازي على ذكر الدور الإيجابي للمرأة المسلمة في بناء المجتمع الإسلامي.

٩- إن دكتور نجيب كيلاني ونسيم حجازي لا يبحثان في التاريخ عن الأمجاد والانتصارات بقدر ما يبحثان عن معادل موضوعي لمشكلتهما، ومشاكل عصرهما.

١٠- يتميز عمل الروائيان بروحهما العذبة وخطوتهما الرائعة في طريق الأدب التاريخي الإسلامي والاجتماعي، حيث نجد في رواياتهما أملاً للمستقبل الزاهر.

١١- يتميز دكتور نجيب كيلاني بالسلاسة والحب العاطفي ويؤثر الفصحى والتركيب الصحيح على العامية والمصطلحات الشعبية أو الغربية، وأما نسيم حجازي فيتميز بأسلوب شيق وسلس واستعمل اللغة الأردية الفصحى دون العامية.

١٢- لاشك أن دكتور نجيب كيلاني ونسيم حجازي روايان تاريخيان إسلاميان، فهما أعطيا للرواية شكلاً جديداً محكوماً بالتصوير الاجتماعي والإسلامي والتاريخي.

التوصيات:

أوصي الباحثون من شبه القارة الهندية:

- ١- أن لا يستغني الباحثون من دراسة روايات التي صنفت في شبه القارة الهندية فتوجد فيها الأشياء الكثيرة التي تحتاج إلى البحث والدراسة .
- ٢- على الباحثين في شبه القارة الهندية أن يأخذ أعمال الروائيين في شبه القارة الهندية ويقارنوها بأعمال الروائيين من دول الخليج ومصر وغيرها ويذكرون أوجه التشابه والاختلاف بينهما .
- ٣- إن اللغة الأردنية مليئة بالعبارات العربية وكذلك بالشواهد العربية وأمثالها فعلى الباحثين أن يدرسوا هذه الظواهر ويستخرجوا من الأدب الأردني ما يوافق مع الأدب العربي حتى يظهر لنا مدى موافقة اللغة الأردنية مع اللغة العربية، وكم اللغة العربية مستعملة في اللغة الأردنية.
- ٤- إن اللغة الأردنية وأدبها غنية وشاملة للأدب العربي والفارسي وكذلك الأدب الإنجليزي فعلى الباحثين أن يدرسوا أعمال الروائيين حتى يظهر لنا ماذا أخذت اللغة الأردنية من الآداب من اللغات الأخرى.
- ٥- إن بعض الروائيين في اللغة الأردنية قد ترجموا أعمال الروائيين العرب فعلى الباحثين أن يدرسوا هذه الأعمال أيضاً ويمكنوا من كشف الحقائق عن تطبيق أساليب الترجمة وقواعدها عند ترجمة الأعمال العربية إلى الأردنية.

وأخيراً لا أدعي أنني قد وفيت حق البحث كله، لأن مجال دراسة الأدب المقارن خاصة في الرواية واسع جداً، فلا يمكن الإحاطة به كاملة، وأوصي نفسي وكل من يأتي بعدي من الباحثين والباحثات أن يدلوا بدلهم في خدمة الأدب والمجتمع.

وأدعو الله تعالى أن يجعل حياتي كلها وفقاً لخدمة العلم والإسلام وأسأله حسن
الخاتمة والثبات على دين الإسلام.

وصلى الله على خير خلقه وشفوة رسله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق.

فهرس المصادر

والمراجع

فهرس الآيات الواردة في البحث

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية	رقم المسلسل
٩١	٣٠	الفصلت	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ	.١
٩٥	٨٠	النساء	مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ	.٢
٩٦	١٠٣	آل عمران	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا	.٣
٩٦	٣٩	الأنفال	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ.	.٤
٩٦	١٦٢	لأنعام	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ	.٥
٩٨	١١-١٠	سبأ	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا	.٦
٢٠٠	١٣	الحجرات	أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ	.٧

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

رقم الصفحة	الحديث	رقم المسلسل
٩١	بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ	١

فهرس الأبيات الواردة في البحث

رقم الصفحة	الشرط الأول من البيت	رقم المسلسل
٨٨	سوف أدفنك حية	.١
٨٨	على شط بحر الحقيقية ناس صيادين	.٢
٨٨	إمبارح العصر جاني الحب في قلبي	.٣
٨٩	ياواخذ العهد صونه وأوعى تفرط فيه	.٤

رقم المسلسل	فهرس المصادر والمراجع
المصادر والمراجع العربية	
أ	
١	الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٠ م، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان.
٢	أثر الفساد الإداري على أبعاد التنمية المستدامة في الجزائر ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤، الوزاني كنزة، الطبعة الأولى عام ٢٠١٥، المكتبة العلمية، الجزائر.
٣	الأدب الإسلامي قضية وبناء، د. سعد ابو الرضا، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣ م، دار التراث الإسلامي، بيروت - لبنان.
٤	الأدب الإسلامي، (عدد خاص عن الكيلاني) العدد رقم ٩ و ١٠، السنة ١٤١٦ هـ الموافق ١٩٩٦ م.
٥	الأدب القصصي والمسرحي، د. أحمد هيكل، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٨، دار المعارف - مصر.
٦	الأدب تعريف، أنواعه، مذاهبه، أنطونيوس بطرس، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥ م، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان.
٧	الأدب والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأدب)، أحمد رشوان حسين عبد الحميد، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤ م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
٨	الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، الطبعة الخامسة، عام ١٩٩٣ م، دار الفكر - عمان - الأردن.
٩	الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة، أحمد رشوان حسين عبد الحميد، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣ م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.
١٠	الاعتصاب بين الأدب العربي وسريالية الواقع، سوسن جميل حسن، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٦، منبر ثقافي عربي.
ب	
١١	بنية الشخص الروائي (الفضاء - الزمان - الشخصية)، حسن بحراوي، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٠، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب.

ت	
١٢	تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سينمائية مركبة لرواية (زقاق المدق)، عبد المالك مرتاض، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٥م، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عنكون الجزائر.
١٣	تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، محمد بو عزة، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٠م، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان.
١٤	تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شربيط أحمد شربيط، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩م، دار القصة، الجزائر.
١٥	التفكير الاجتماعي الخلدوني علاقته بعض النظريات الاجتماعية، إدريس خضير، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
ث	
١٦	الثقافة الإسلامية في الرواية الأدبية، د. فاروق عثمان، ص ٢٧٨ .
ج	
١٧	جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحة عودة زعرب، غسان كتفاني، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦م، دار مجلاوي عمان، الأردن.
١٨	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، سيد أحمد الهاشمي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥م، دار العربي للكتب، بيروت - لبنان.
ح	
١٩	خمسون سنة من الأدب الأردني في باكستان، شهزاد منظر، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩م، دار النشر، إسلام آباد.
د	
٢٠	دراسات في النقد الأدبي، د. كامل السوافيري، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٠م، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان.

٢١	الدرس السردي في الخطاب النقدي المعاصر، زهيرة بارش، رسالة ماجستير، تحت إشراف: حسان راشدي، مقدمة إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، بجامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.
ر	
٢٢	الرائد معجم لغوي عصري، جبران مسعود، الطبعة السابعة، عام ١٩٩٢، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
٢٣	الرواية الأردنية وتقسيم الهند، عقيل أحمد، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٧ م، المطبع الحديثة للنشر، دهلي.
س	
٢٤	السرد في الرواية المعاصرة، عبد الرحيم الكردي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥ م، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر .
٢٥	السرد ومنهاج النقد الأدبي، عبد الرحيم الكردي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤ م، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر .
ش	
٢٦	الشخصية الإشكالية مقارنة سوسولوجية ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي، حميد عبد الوهاب البدراني، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣ م، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن .
ص	
٢٧	صورة المجتمع في رواية ليل وقضبان لنجيب الكيلاني، خنش زهوة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي حديث، قسم اللغة والأدب العربي، إشراف: د. واسيني بن عبد الله، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، عام ٢٠١٥ م.
٢٨	صورة المرأة في الرواية الجزائرية (رواية الوصف المخيف لرابح بوكريش أنموذجاً)، عدوان رانية، آية يخلف منيرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، إشراف: مسالي ليندة،

جامعة بجاية، الجزائر، عام ٢٠١٢م.	
ط	
طرائق تحليل السرد الأدبي، مجموعة من المؤلفين، تعريب: حسن بحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢م، اتحاد كتاب العرب، بيروت، لبنان.	٢٩
الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥م، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة .	٣٠
الطريق الطويل، نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥م، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة .	٣١
ع	
علم اجتماع الأدب، محمد لبيدي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤م، دار المعركة الجماعية، السويس.	٣٢
علم الاجتماع العائلي، محمد القصاص مهدي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٨م، جامعة منصور، مصر.	٣٣
علم الاجتماع مفهومات وموضوعات قسم الاجتماع، عبد السميع غريب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩م، مؤسسة شباب الجامعة، مصر.	٣٤
علم الاجتماع، عبد الحميد لطفي، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٧م، دار النهضة العربية لطباعة والنشر والتوزيع.	٣٥
ف	
في أديب نجيب كيلاني - أبعاد الصراع وامتداده -، أحمد موساوي.	٣٦
في الأدب الإسلامي، تجارب ومواقف، د. محمد عادل الهاشمي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٧م، دار الملايين، دمشق.	٣٧
في الميزان الجديد، د. محمد مندور، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٨م، دار القاهرة، مصر.	٣٨

٣٩	في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) عبد المالك مرتاض، الطبعة الأولى، (ب.ت)، دار المغرب، وهران - الجزائر.
ق	
٤٠	قاموس السرديات، جerald برنس، تعريب: السيد إمام، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - مصر.
٤١	قراءة سردية في مفكرة (رجل أمي) أمداد الآداب، العدد ٧، أكتوبر ٢٠١٣، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق.
٤٢	القصة الاجتماعية في مصر وباكستان في العقد السادس من القرن العشرين، دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأردني، رسالة دكتوراه، للأستاذ الدكتور محمد علي غوري، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد .
٤٣	القصة والرواية، د. عزيزة مريدن، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠ م، دار الفكر - دمشق.
٤٤	القصص القصيرة في مصر، د. شكري عباد، الطبعة الثانية، عام ١٩٧٩ م، دار المعرفة، القاهرة - مصر .
٤٥	القيم الإنسانية والجمالية في قصص نجيب الكيلاني، نصير الدين دلاوي.
ك	
٤٦	كتابة القصة القصيرة، هالي بيرنت، تعريب: أحمد عمر شاهين، (د. ت)، دار الهلال، مصر.
ل	
٤٧	لمحات من حياتي، نجيب الكيلاني، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥ م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٤٨	مختارات من روائع الأدب، د. عبد السلام سرحان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣ م، دار الكتب، بيروت - لبنان.
٤٩	المدخل الاختصاصي للأدب، شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، (ب.ت)، دار المعارف، مصر.
٥٠	مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شريفة، وحسن لاقى قزق، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٣ م، دار الفكر، عمان - الأردن.
٥١	مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري عياد، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢، دار الصادر، بيروت - لبنان.
٥٢	مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوقي وجميل شاكرا، الطبعة الأولى، (ب.ت)، الدار التونسية، تونس.
٥٣	المرأة في الرواية العربية، صالح مفقودة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٩، جامعة محمد خيضر، دار الشروق للطباعة والنشر، سكرة.
٥٤	المشكاة (عدد خاص عن الكيلاني) عام ١٩٩٦، المراكش - مغرب.
٥٢	معالجة صحيفة الشروق اليومي الجزائري لقضايا الفساد في الجزائر، ربيحة تواتي، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٥ م، جامعة قاصي مرياح، ورقلة.
٥٥	معجم الأدباء، يوسف محمد محمد عبد الوهاب السباعي، الطبعة الأولى، عام ١٩١٧ م.
٥٦	معجم المصطلحات الأدبية، د. سعيد غلوش، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥ م، دار الكتاب اللبناني، - لبنان.
٥٧	المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. حمد التونجي، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢ م، دار صادر - بيروت - لبنان.
٥٨	معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٢، دار النهار، لبنان.
٥٩	معضلة الفقر (اثارها ومظاهرها)، قطوش سامية، المجلة الثقافية

المعرفية، العدد ١٤، عام ٢٠١٢، جامعة الجزائر.	
مفهوم الحرية بين النقد والدراسة - قراءة تحليلية مقارنة في كتابات صفدي وسارتر - أنموذجا إضاءات نقدية، أحمد رضا حيدر، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٣ م، جامعة آزاد الإسلامية، إيران.	٦٠
مكونات السرد في النص القصصي الجديد، عبد القادر بن سالم، الطبعة الأولى، (ب.ت)، دار القصة، الجزائر.	٦١
من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله عقيل سليمان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣ هـ، دار التوزيع والنشر، القاهرة - مصر.	٦٠
من القصة الطويلة إلى الرواية، د. وقار عظيم، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤ م، أردو مركز، لاهور - باكستان.	٦٢
مناهج النقد الأدبي الحديث، إبراهيم الشافعين، وخليل الشيخ، الطبعة الثانية، عام ٢٠١٣ م، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة - مصر.	٦٣
مناهج النقد الأدبي، وليد قصاب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٧، دار الفكر، دمشق، سوريا.	٦٤
الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، د. ياسين صلواتي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢ هـ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.	٦٥
ن	
نجيب الكيلاني والقصة الشعرية، د. جابر قيمة، مقال منشور بمجلة فيصل في العدد ٢٥٠ عام يناير ١٩٩٥ م.	٦٦
النداء الخالد، نجيب الكيلاني، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٩ م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان .	٦٧
النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوره، إضاءات نقدية، أزادة منتظري، وآخرون، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٢ م، جامعة آزاد الإسلامية، خزيران - إيران .	٦٨

٦٩	النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، أحمد كمال زكي، الطبعة الأولى، (ب.ت)، الشركة العالمية المصرية للنشر لونغمان - لبنان .
٧٠	النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٣ م، دار النهضة - مصر.
٧١	النقد الأدبي، أحمد أمين، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٦ م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
و	
٧٢	الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، حلمي القاعود، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٦ م، دار النشر، عمان - الأردن
المصادر والمراجع الأردنية / الأجنبية	
أ	
٧٣	اخرى جتان، نسيم حجازي، الطبعة العاشرة، عام ٢٠١٦ م، جهانكير بك دبو، لاهور - باكستان.
٧٤	أردو أدب كي مختصر ترين تاريخ، د. سليم اختر، الطبعة الأولى، عام ١٩٨١ م، اردو مركز - لاهور.
د	
٧٥	داستان مجاهد، نسيم حجازي، الطبعة التاسعة، عام ٢٠١٥ م، جهانكير بك دبو،

لاهور - باكستان.	
ر	
رواية محمد بن قاسم، نسيم حجازي، النسخة العربية، ترجمة: د. ظهور أحمد أظهر، الطبعة الأولى، (ب.ت)، قومي كتب خانه لاهور.	٧٦
ك	
كتابات عن نسيم حجازي، د. تصدق حسين راجا، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٨ م نشر في مقتدره قومي زبان إسلام آباد.	٧٧
م	
محمد بن قاسم، نسيم حجازي، الطبعة الخامسة، عام ٢٠١٣ م، جهانكير بك دبو، لاهور - باكستان.	٧٨
ن	
نسيم حجازي ايك مطالعه، (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، د. تصدق حسين راجا، (ب.ت)، نشر في قومي كتب خانه لاهور.	٧٩
المجلات العربية و الأردية	
م	
مجلة الأدب البيروتية، السنة الثامنة، عام ١٩٦٠، عدد ٩.	٨٠
مجلة الأدب الإسلامي، مقال بعنوان: الرواية الإسلامية المعاصرة، بقلم: د. حلمي محمد القاعود، العدد ٣١ سنة ١٤١٨ هـ.	٨١

٨٢	مجلة الأدب الإسلامي، مقال بعنوان: الرواية الإسلامية وبنائها الموضوعي والفني، بقلم، د. عبد الفتاح محمد عثمان، العدد ٣٨، سنة ١٤٢٤ هـ.
٨٣	مجلة الأدب الباكستاني، مقال بعنوان: الأردية في باكستان، بقلم: سيد يونس شاه.
	مجلة الفيصل، مقال بعنوان: (مستقبل الرواية) العدد ٥٤، فبراير عام ١٩٨١.
٨٤	مجلة الفيصل، العدد ٢٢٣، الصادرة في عام ٢٠٠١ شهر أبريل.
٨٥	مجلة الفيصل، العدد ٤٥ مطبوع في فبراير عام ١٩٨١ م، السعودية.
٨٦	مجلة الفيصل، مقال بعنوان: الرواية بين المضمون وتعدد الرؤى، بقلم: عبد القادر عنداني، العدد ٢١١، محرم عام ١٤١٥ هـ.
٨٧	مجلة الفيصل، مقال بعنوان: الصراع بين المذهبية والفن في الرواية التاريخية، بقلم: د. طه وادي، العدد ٢٢٩.
٨٨	مجلة جامعة الإمام سعود، مقال بعنوان: (الأندلس بين الروايتين العربية والأردية)، بقلم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، العدد (٢١) محرم، عام ١٤١٩ هـ.
	الأعلام
٨٩	الدكتور نجيب عبد اللطيف الكيلاني نجيب الكيلاني والقصة الشعرية، د. جابر قيمة، مقال منشور بمجلة فيصل في العدد ٢٥٠ عام يناير ١٩٩٥ م
٩٠	نسليم حجازي نسليم حجازي ايك مطالعه (نسليم حجازي دراسة وتحليل)، ص ٢٢ .
٩١	فدبتي نذير أحمد

القصة الطويلة إلى الرواية، د. وقار عظيم، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤ م، أردو مركز، لاهور - باكستان.	
صادق صديقي سرد هندي.	٩٢
سجاد حسين	٩٣
مرزا محمد هادي رسوا	٩٤
رشيدہ بيغهم	٩٥